حلية الصالحين

في ظلال دعاء مكارم الأخلاق
للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام

محاضرات

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى

السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله

بسم الله الرحمن الرحيم

حلیة الصالحین

کاتب:

صادق حسینی شیرازی

نشرت فی الطباعة:

صادق حسینی شیرازی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
حلیة الصالحین ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
مقدّمة ----- ۱۶
دعاء مکارم الأخلاق ----- ۱۷
الصلاة علی محمّد وآله ----- ۱۹
الدعاء والاستعانة بالله ----- ۱۹
الدعاء والاستعانة بالله ----- ۱۹
الإنسان بحاجة إلی تسدید الله دوماً ----- ۱۹
لزوم العمل إلی جنب الدعاء ----- ۲۰
الأدب فی الدعاء ----- ۲۰
العلاقة بین الإیمان والیقین والنیة والعمل ----- ۲۱
أکمل الإیمان ----- ۲۲
أکمل الإیمان ----- ۲۲
•صهر الأمیر المیرداماد ----- ۲۳
•الشیخ الأنصاری والشیخ خنفر رحمهما الله ----- ۲۳
تعلّم علوم أهل البیت علیهم السلام من شروط الإیمان الکامل ----- ۲۴
أحسن الأعمال ----- ۲۴
أحسن الأعمال ----- ۲۴
من لباب النصائح ----- ۲۴
توبة أحد کتّاب بنی أمیّة ----- ۲۵
ما المقصود بأحسن الأعمال؟ ----- ۲۶
العمل بالسنّة أحسن الأعمال ----- ۲۷

نماذج عملیة ----- ۲۷
أحسن الأعمال فی لیلة عرفة ویومها والعیدین ----- ۳۰
توفّر النیّة ----- ۳۰
توفّر النیّة ----- ۳۰
النیّة إطار العمل ومانحة لونه ----- ۳۱
لا عمل إلا بنیّة ----- ۳۲
ولا عمل ولا نیّة إلا بإصابة السّنّة ----- ۳۲
النیّة قبل العمل وحینه وبعده ----- ۳۳
مثال من واقع الحیاة ----- ۳۳
الخلود بسبب النیّة ----- ۳۴
أمثلة علی النیّة الحسنة ----- ۳۴
لابدّ من النیّة والتوکّل معا ----- ۳۵
لنعمل علی توفیر النیّة ----- ۳۵
تصحیح الیقین ----- ۳۶
تصحیح الیقین ----- ۳۶
الیقین بالله أفضل الیقین ----- ۳۶
الیقین باعث علی الطمأنینة ----- ۳۷
من یصحّح الیقین غیر الله عزّ وجلّ؟ ----- ۳۸
استصلاح الفساد ----- ۳۸
استصلاح الفساد ----- ۳۸
الإصلاح بحاجة إلی قدرة الله تعالی ----- ۳۹
ما یُشغل الإنسان ----- ۳۹
العمل للآخرة ----- ۴۰
العمل للآخرة ----- ۴۰

سيرة النبى مما يُسأل العبد عنه يوم القيامة ---- ۴۰
التفرّغ لعبادة الله تعالى ---- ۴۲
التفرّغ لعبادة الله تعالى ---- ۴۲
الهدف من الخلق ---- ۴۳
أفضل العبادة ---- ۴۳
بناء النفس والتفكّر فى الله عزّ وجل ---- ۴۴
أمثلة من الواقع ---- ۴۴
النعم المادّية وسيلة اختبار ومقدّمات وجود ---- ۴۴
الغنى وسِعةُ الرزق ---- ۴۵
الغنى وسِعةُ الرزق ---- ۴۵
الغنى والفقر درجات ---- ۴۶
نكتة لغوية ---- ۴۶
نكتتان بلاغيّتان ---- ۴۷
دواعى الفقر ---- ۴۷
لابدّ من السعى والتوكّل معاً ---- ۴۸
العزّة وعدم الابتلاء بالكبر ---- ۴۹
العزّة وعدم الابتلاء بالكبر ---- ۴۹
العزّة والدخول تحت القدرة ---- ۴۹
هيهات منّا الذلّة ---- ۵۰
أبو ذر مثالاً على عزّة النفس ---- ۵۰
أمثلة على المفهوم الخاطئ للعزّة ---- ۵۰
حاجة العقل لنور الوحى ---- ۵۱
ولا تبتلِيَنّى بالكبر ---- ۵۲
الاعتبار بما جرى لعلماء السوء ---- ۵۲

العجب آفة العبادة ----- ۵۲
العجب آفة العبادة ----- ۵۲
معنى التعبيد ----- ۵۳
العبادة الصحيحة ما كانت مرضيّة عند الله تعالى ----- ۵۴
آفة العجب ----- ۵۴
الإفساد، واختيار الإنسان ----- ۵۵
لله الحجّة البالغة ----- ۵۶
ثلاث فوائد ----- ۵۶
عبادة الله فخر وشرف ----- ۵۶
إجراء الخير بلا منّ ----- ۵۷
إجراء الخير بلا منّ ----- ۵۷
الإسلام يريد الخير لجميع الناس ----- ۵۷
على يدى أو على يدىّ ----- ۵۷
المنّ يمحق عمل الخير ----- ۵۸
قصّة فيها عبرة ----- ۵۸
معالى الأخلاق والعصمة من الفخر ----- ۵۹
معالى الأخلاق والعصمة من الفخر ----- ۵۹
وقفات مع مفردات الدعاء ----- ۵۹
الفرق بين معالى الأخلاق ومحاسنها ----- ۶۰
بين الرفعة والعزّة والحطّ والذلة ----- ۶۱
العزّة الظاهرة والذلّة الباطنة ----- ۶۲
العزّة الظاهرة والذلّة الباطنة ----- ۶۲
الله ولىّ كلّ نعمة ----- ۶۲
أهمية التوازن فى النفس الإنسانية ----- ۶۳

أهمية التوازن فى النفس الإنسانية ۶۳
ضرورة السعى والدعاء ۶۴
التأسّى بالناجحين ۶۴
الهدى الصالح وعدم الاستبدال ۶۶
طريق الحقّ وعدم الزيغ ۶۶
نية الرشد والثبات عليها ۶۸
نية الرشد والثبات عليها ۶۸
كيف نحصّن نيّاتنا؟ ۶۸
أهل البيت هم المعيار لمعرفة الحقّ ۶۹
الحذر من كلّ أنواع العيوب وإصلاحها ۷۰
الحذر من كلّ أنواع العيوب وإصلاحها ۷۰
العيوب العرفية من منافيات العدالة ۷۰
الحذر من القصور ومن الجهل المركّب ۷۱
ولنا فى علمائنا أسوة ۷۱
لنكسب رضا إمامنا عجّل الله تعالى فرجه الشريف ۷۲
الفرق بين العيب والعائبة والنقص ۷۳
الورع وترويض النفس ۷۴
الورع وترويض النفس ۷۵
صفة المتّقين ۷۵
من يرى الجنّة لا يبالى بالصعاب ۷۵
لننتهز الفرص من أجل بناء أنفسنا ۷۶
الورع واجب فى كلّ حال ۷۷
حذار ألّا ننتصح بما ننصح ۷۸
إبدال الشنآن والبغى إلى المحبّة والمودّة ۷۸

إبدال الشنآن والبغی إلی المحبّة والمودّة ---- ۷۸
ما المقصود بالشنآن، ومن هم أهل الشنآن؟ ---- ۷۸
کیف نتعامل مع أهل الشنآن؟ ---- ۷۹
دعم الدعاء بالعمل ---- ۷۹
الاقتداء بعلمائنا الأعلام ---- ۸۰
أهل البغی وکیفیة التعامل معهم ---- ۸۱
إبدال الظنّة والعداوة إلی الثقة والولایة ---- ۸۲
إبدال الظنّة والعداوة إلی الثقة والولایة ---- ۸۲
إبدال عداوة الأدنین إلی الولایة ---- ۸۲
معنی الولایة فی الدعاء ---- ۸۳
ضرورة التدبّر فی کلمات الدعاء ---- ۸۳
ما أعظم الذین وثقهم المعصومون صلوات الله علیهم ---- ۸۵
المعصومون یشهدوننا ---- ۸۶
بمقدور کلّ مؤمن أن یحوز ثقة المعصوم ---- ۸۶
إبدال العقوق والخذلان، وتطویر المداراة ---- ۸۶
إبدال العقوق والخذلان، وتطویر المداراة ---- ۸۶
نصرة الأقربین ---- ۸۷
مداراة الناس ---- ۸۷
الاستفادة من بلاغة المعصومین علیهم السلام ---- ۸۸
لنتعلّم من القرآن ومن أهل البیت ---- ۸۸
طلب فنّ المعاشرة، والأمن من الظالمین ---- ۸۸
طلب فنّ المعاشرة، والأمن من الظالمین ---- ۸۸
الأمن من الظالمین ---- ۸۹
قصّة فیها عبرة ---- ۸۹

الدعاء دعوة للتغيير وتحصيل ملكة العدالة ---- ۹۰
دفع الظلم والمخاصمة ---- ۹۱
الظفر بالمعاندين والمكر بالكائدين ---- ۹۱
الظفر بالمعاندين والمكر بالكائدين ---- ۹۱
المكر على الكائدين ---- ۹۲
القدرة على المضطهدين ---- ۹۲
تكذيب القاصبين ---- ۹۳
السلامة من المتوعّدين ---- ۹۳
السلامة من المتوعّدين ---- ۹۳
عظة أخلاقية ---- ۹۳
لابدّ من ترويض النفس ---- ۹۴
الفرق بين السداد والرشد ---- ۹۵
بَسْط الْعَدْل، وَكَظْم الْغَيْظ، وَإِطْفَاء النَّائِرَة ---- ۹۶
بَسْط الْعَدْل، وَكَظْم الْغَيْظ، وَإِطْفَاء النَّائِرَة ---- ۹۶
حلية الصالحين وزينة المتّقين ---- ۹۶
بسط العدل ---- ۹۷
كظم الغيظ وحدوده ---- ۹۷
إطفاء النائرة ---- ۹۸
ضَمّ أهْل الْفُرْقَة، وَإِصْلاح ذَات البَين ---- ۹۹
ضَمّ أهْل الْفُرْقَة، وَإِصْلاح ذَات البَين ---- ۹۹
هل هما خصلتان أم خصلة واحدة؟ ---- ۹۹
ضمّ بالحقّ وتفريق الباطل ---- ۹۹
بين الصلاح والإصلاح ---- ۱۰۰
حذار من التسويف ---- ۱۰۱

إفْشاء العَارِفَة، وسَتر العائبَة ----- ۱۰۱
إفْشاء العَارِفَة، وسَتر العائبَة ----- ۱۰۱
الاقتداء بسيرة العلماء ----- ۱۰۲
الإسلام وستر العائبة ----- ۱۰۲
ومن عبر القصص ----- ۱۰۳
لين العريكة ----- ۱۰۵
لين العريكة ----- ۱۰۵
ألم الحسرة على تفويت الفرصة ----- ۱۰۵
رسول الله ألينهم عريكة ----- ۱۰۶
خَفْضُ الجَناحِ، وَحُسْنُ السّيرة ----- ۱۰۶
خَفْضُ الجَناحِ، وَحُسْنُ السّيرة ----- ۱۰۶
خفض الجناح نيّة وسجيّة ----- ۱۰۷
إمكان التغيير رغم صعوبته ----- ۱۰۷
الأئمة سلام الله عليهم أفضل قدوة ----- ۱۰۸
تأسّى العلماء ----- ۱۰۸
بنود خفض الجناح ----- ۱۰۹
حسن السيرة وقوّة الشخصية ----- ۱۱۰
سكون الريح ----- ۱۱۰
مثال على الذين يميلون مع الريح ----- ۱۱۰
الكذب والفجور ----- ۱۱۱
الاعتبار بقصص الماضين ----- ۱۱۱
عوامل انكشاف السريرة ----- ۱۱۲
مثال لحسن السيرة ----- ۱۱۲
طيب المخالقة والسبق إلى الفضيلة ----- ۱۱۳

طيب المخالقة والسبق إلى الفضيلة ---- ۱۱۳
طيب المخالقة ---- ۱۱۳
أهل البيت سلام الله عليهم وطيب المخالقة ---- ۱۱۴
طيب المخالقة تنفع صاحبها ---- ۱۱۴
السبق إلى الفضيلة ---- ۱۱۵
قول الحقّ وإن عزّ ---- ۱۱۵
قول الحقّ وإن عزّ ---- ۱۱۵
ملاحظتان فی البدء ---- ۱۱۵
لماذا القول وليس العمل؟ ---- ۱۱۶
ما هو الحقّ؟ ---- ۱۱۶
أفضل الحق ---- ۱۱۷
وفی الزهراء قدوة ---- ۱۱۸
استقلال الخير واستكثار الشرّ ---- ۱۱۸
استقلال الخير واستكثار الشرّ ---- ۱۱۸
بين الاستقلال والاستكثار ---- ۱۱۹
استقلال الخير ---- ۱۲۰
استكثار الشرّ ---- ۱۲۱
هل يصدر الشرّ من الإمام ليستكثره؟! ---- ۱۲۱
دوام الطاعة ---- ۱۲۲
قصّة الابتلاء وعبرة الإجابة ---- ۱۲۲
إغتنام الفرص ---- ۱۲۳
أوسع الرزق وأقوى القوّة ---- ۱۲۴
أوسع الرزق وأقوى القوّة ---- ۱۲۴
بحث فی الرزق ---- ۱۲۴

نکته أدبیة ----- ۱۲۵
القوّة والنصَب ----- ۱۲۵
الابتلاء بالکسل عن العبادة والعمی عن سبیل الله ----- ۱۲۶
الابتلاء بالکسل عن العبادة والعمی عن سبیل الله ----- ۱۲۶
الکسل عن العبادة ----- ۱۲۶
الاقتداء برسول الله فی الاهتمام بالعبادة ----- ۱۲۷
الاستعداد للبلاء ----- ۱۲۷
العمی عن سبیل الله ----- ۱۲۸
أهل البیت سلام الله علیهم هم سبیل الله تعالی ----- ۱۲۸
عدم التعرض لخلاف محبة الله ----- ۱۲۸
عدم التعرض لخلاف محبة الله ----- ۱۲۸
فی معنی التعرض ----- ۱۲۹
فی معنی الخلاف ----- ۱۲۹
فی معنی حبّ الله تعالی ----- ۱۳۰
ثلاثة مقترحات فی شهر رمضان المبارک ----- ۱۳۰
المعرفة شرط ----- ۱۳۱
الحسبان نوعان ----- ۱۳۱
العلم وحده لا یکفی ----- ۱۳۲
زکاة العلم تعلیمه ----- ۱۳۲
الصولة بالله، والسؤال من الله، والتضرّع إلیه ----- ۱۳۲
اشارة ----- ۱۳۲
۱. الصولة بالله تعالی ----- ۱۳۳
۱. الصولة بالله تعالی ----- ۱۳۳
النموذج العملی للصولة ----- ۱۳۳

الدعاء وحده لا يكفى ---------- ۱۳۴

۲. السؤال من الله تعالى ---------- ۱۳۴

۳. التضرّع إلى الله تعالى ---------- ۱۳۵

الفهارس ---------- ۱۳۵

الفهارس ---------- ۱۳۵

فهرس الآيات ---------- ۱۳۵

فهرس الأحاديث ---------- ۱۴۰

فهرس المصادر ---------- ۱۴۸

پی نوشتها ---------- ۱۵۲

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---------- ۱۷۲

حلیة الصالحین

اشارة

اسم الکتاب: حلیة الصالحین

المؤلف: حسینی شیرازی، صادق

الموضوع: فقه

اللغة: عربی

عدد المجلدات: ۱

الناشر: سلسله

مکان الطبع: قم

تاریخ الطبع: ۱۴۲۶

الطبعة: اول

بسم الله الرحمن الرحیم

مقدّمة

الحمد لله رب العالمین وصلی الله علی سیّدنا محمد وآله الطاهرین، واللعن الدائم علی أعدائهم أجمعین إلی قیام یوم الدین.

لقد تظافرت الروایات الشریفة فی الدعوة لحضور مجالس العلماء للاستفادة من علومهم والاسترشاد بتعالیمهم الروحیة والفکریة والخُلُقیة؛ فعن رسول الله صلّی الله علیه وآله أنّه قال: «مجالسة العلماء عبادة». وعن أمیر المؤمنین سلام الله علیه أنّه قال: «العقل ولادة، والعلم إفادة، ومجالسة العلماء زیادة».

کما حثّت الروایات علی تدوین العلم وتقییده بالکتابة، مثل قول النبی صلّی الله علیه وآله: «قیّدوا العلم» قیل: وما تقییده؟ قال: «کتابته».

ومن بین تلک المجالس المملیئة بالمعارف والعبر، مجالس سماحة المرجع الدینی آیة الله العظمی السیّد صادق الحسینی الشیرازی دام ظلّه، الذی طالما أتحف مستمعیه بالنکات الخفیة والمعارف الدقیقة الکامنة فی طیّ کلمات أهل البیت سلام الله علیهم وسیرتهم، فکانت مجالسه تُعَدُّ بحقّ منابع تربویّة کفیلة بأن ترشد المؤمنین إلی الاقتداء بأهل البیت علیهم السلام وتحثّهم فی السیر علی نهجهم، عقیدةً وفکراً، وأدباً وخُلُقاً.

فمن منطلق العمل بالأحادیث الشریفة الداعیة إلی الاستفادة من مجالس العلماء، وحرصاً علی نشر ما حملته تلک المحاضرات من المفاهیم الإسلامیة الأصیلة، باشر قسم التحقیق والترجمة فی مؤسّسة الرسول الأکرم صلّی الله علیه وآله بعون الله تعالی وتوفیقه بتنقیحها بعد تتبع مدالیلها الروائیة والتاریخیة عبر مظانّها، ثمّ إخراجها بهذه الحلّة القشیبة. فکانت (نفحات الهدایة) المجموعة الأولی التی قدّمناها للقرّاء الکرام، والتی ضمّت طائفة قیّمة من أحادیث سماحته التربویة فی مناسبات مختلفة.

ونستتبع فی هذا الکتاب ما أفاض به سماحته من الإرشادات التربویة والخلقیة فی ضوء دعاء «مکارم الأخلاق ومرضیّ الأفعال» للإمام زین العابدین علی بن الحسین سلام الله علیهما حیث تناول سماحته (خلال الفترة من ۱۰ ذی القعدة ۱۴۲۰ه حتی ۲۷ رمضان ۱۴۲۲ ه) بعض فقرات هذا الدعاء الشریف بالشرح والتحلیل، متوخّیاً بذلک استلهام الدروس والعبر منها، وذلک من خلال محاضرات الأخلاق التی کان یلقیها کلّ یوم أربعاء من کلّ أسبوع.

وفی هذه المناسبة تجدّد المؤسّسة شکرها لکلّ الذین ساهموا فی تنقیح وإخراج هذا الکتاب، بالأخصّ الإخوة: عبد الرضا افتخاری،

والسيّد خلدون العسكرى، وعلاء حسين. سائلين الله العلىّ القدير أن يسدّدنا وإياهم ويوفّقنا لتقديم المزيد لكلّ ما يحبّه ويرضاه، وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

المؤسّسة

دعاء مكارم الأخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ بَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَى أَحْسَنِ النِّيَّاتِ، وَبِعَمَلِي إِلَى أَحْسَنِ الأَعْمَالِ. اللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الاهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ، وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَلا تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي وَلا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلا تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدِيَ الْخَيْرَ وَلا تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الأَخْلَاقِ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلا تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلَّا حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إِلَّا أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمَتِّعْنِي بِهُدًى صَالِحٍ لا أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لا أَزِيغُ عَنْهَا، وَنِيَّةِ رُشْدٍ لا أَشُكُّ فِيهَا، وَعَمِّرْنِي مَا كَانَ عُمُرِي بِذْلَةً فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمُرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ.

اللَّهُمَّ لا تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إِلَّا أَصْلَحْتَهَا، وَلا عَائِبَةً أُوَنَّبُ بِهَا إِلَّا حَسَّنْتَهَا، وَلا أُكْرُومَةً فِيَّ نَاقِصَةً إِلَّا أَتْمَمْتَهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَبْدِلْنِي مِنْ بُغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَآنِ الْمَحَبَّةَ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلاحِ الثِّقَةَ، وَمِنْ عَدَاوَةِ الأَدْنَيْنَ الْوَلايَةَ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الأَرْحَامِ الْمَبَرَّةَ، وَمِنْ خِذْلانِ الأَقْرَبِينَ النُّصْرَةَ، وَمِنْ حُبِّ الْمُدَارِينَ تَصْحِيحَ الْمِقَةِ، وَمِنْ رَدِّ الْمُلابِسِينَ كَرَمَ الْعِشْرَةِ، وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حَلاوَةَ الأَمَنَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ لِي يَداً عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، وَلِسَاناً عَلَى مَنْ خَاصَمَنِي، وَظَفَراً بِمَنْ عَانَدَنِي، وَهَبْ لِي مَكْراً عَلَى مَنْ كَايَدَنِي، وَقُدْرَةً عَلَى مَنِ اضْطَهَدَنِي، وَتَكْذِيباً لِمَنْ قَصَبَنِي، وَسَلامَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَنِي، وَوَفِّقْنِي لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِي، وَمُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَنِي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْنِي لأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ، وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ، وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ، وَأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ، وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَإِصْلاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ، وَلِينِ الْعَرِيكَةِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ، وَطِيبِ الْمُخَالَقَةِ، وَالسَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ، وَإِيثَارِ التَّفَضُّلِ، وَتَرْكِ التَّعْيِيرِ، وَالإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ، وَالْقَوْلِ بِالْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ، وَاسْتِقْلالِ الْخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَاسْتِكْثَارِ الشَّرِّ وَإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ، وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَمُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبِرْتُ، وَأَقْوَى قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصِبْتُ، وَ لا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ، وَلا بِالْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ، وَلا بِالتَّعَرُّضِ لِخِلافِ مَحَبَّتِكَ، وَلا مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَلا مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَصُولُ بِكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَنَةِ، وَلا تَفْتِنِّي بِالاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطُرِرْتُ، وَلا بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَا افْتَقَرْتُ، وَلا بِالتَّضَرُّعِ إِلَى مَنْ دُونَكَ إِذَا رَهِبْتُ، فَأَسْتَحِقَّ بِذَلِكَ خِذْلانَكَ وَمَنْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رُوعِي مِنَ التَّمَنِّي وَالتَّظَنِّي وَالْحَسَدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ، وَتَدْبِيراً عَلَى عَدُوِّكَ، وَمَا

أَجْرَى عَلَى لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ أَوْ هُجْرٍ أَوْ شَتْمِ عِرْضٍ أَوْ شَهَادَةِ بَاطِلٍ أَوِ اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ أَوْ سَبِّ حَاضِرٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ نُطْقاً بِالْحَمْدِ لَكَ، وَإِغْرَاقاً فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ، وَذَهَاباً فِي تَمْجِيدِكَ، وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ، وَاعْتِرَافاً بِإِحْسَانِكَ، وَإِحْصَاءً لِمِنَنِكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلا أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي، وَلا أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى الْقَبْضِ مِنِّي، وَلا أَضِلَّنَّ وَقَدْ أَمْكَنَتْكَ هِدَايَتِي، وَلا أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعِي، وَلا أَطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدِي.

اللَّهُمَّ إِلَى مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ، وَإِلَى عَفْوِكَ قَصَدْتُ، وَإِلَى تَجَاوُزِكَ اشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ، وَلا فِي عَمَلِي مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ، وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا فَضْلُكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ.

اللَّهُمَّ وَأَنْطِقْنِي بِالْهُدَى، وَأَلْهِمْنِي التَّقْوَى، وَوَفِّقْنِي لِلَّتِي هِيَ أَزْكَى، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَرْضَى. اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِيَ الطَّرِيقَةَ الْمُثْلَى، وَاجْعَلْنِي عَلَى مِلَّتِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَتِّعْنِي بِالاقْتِصَادِ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ السَّدَادِ، وَمِنْ أَدِلَّةِ الرَّشَادِ، وَمِنْ صَالِحِ الْعِبَادِ، وَارْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَادِ، وَسَلامَةَ الْمِرْصَادِ.

اللَّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخَلِّصُهَا، وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا، فَإِنَّ نَفْسِي هَالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمَهَا.

اللَّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتِي إِنْ حَزِنْتُ، وَأَنْتَ مُنْتَجَعِي إِنْ حُرِمْتُ، وَبِكَ اسْتِغَاثَتِي إِنْ كَرِثْتُ، وَعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلَفٌ، وَلِمَا فَسَدَ صَلاحٌ، وَفِيمَا أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ، فَامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ الْبَلاءِ بِالْعَافِيَةِ، وَقَبْلَ الطَّلَبِ بِالْجِدَةِ، وَقَبْلَ الضَّلالِ بِالرَّشَادِ، وَاكْفِنِي مَئُونَةَ مَعَرَّةِ الْعِبَادِ، وَهَبْ لِي أَمْنَ يَوْمِ الْمَعَادِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الإِرْشَادِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَادْرَأْ عَنِّي بِلُطْفِكَ، وَاغْذُنِي بِنِعْمَتِكَ، وَأَصْلِحْنِي بِكَرَمِكَ، وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ، وَأَظِلَّنِي فِي ذَرَاكَ، وَجَلِّلْنِي رِضَاكَ، وَوَفِّقْنِي إِذَا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الأُمُورُ لأَهْدَاهَا، وَإِذَا تَشَابَهَتِ الأَعْمَالُ لأَزْكَاهَا، وَإِذَا تَنَاقَضَتِ الْمِلَلُ لأَرْضَاهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوِّجْنِي بِالْكِفَايَةِ، وَسُمْنِي حُسْنَ الْوِلايَةِ، وَهَبْ لِي صِدْقَ الْهِدَايَةِ، وَلا تَفْتِنِّي بِالسَّعَةِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ، وَلا تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً، وَلا تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدّاً، فَإِنِّي لا أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً، وَلا أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَامْنَعْنِي مِنَ السَّرَفِ، وَحَصِّنْ رِزْقِي مِنَ التَّلَفِ، وَوَفِّرْ مَلَكَتِي بِالْبَرَكَةِ فِيهِ، وَأَصِبْ بِي سَبِيلَ الْهِدَايَةِ لِلْبِرِّ فِيمَا أُنْفِقُ مِنْهُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَئُونَةَ الاكْتِسَابِ، وَارْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ احْتِسَابٍ، فَلا أَشْتَغِلَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالطَّلَبِ، وَلا أَحْتَمِلَ إِصْرَ تَبِعَاتِ الْمَكْسَبِ. اللَّهُمَّ فَأَطْلِبْنِي بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ، وَأَجِرْنِي بِعِزَّتِكَ مِمَّا أَرْهَبُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلا تَبْتَذِلْ جَاهِي بِالإِقْتَارِ فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِيَ شِرَارَ خَلْقِكَ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُبْتَلَى بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِي عِبَادَةٍ، وَفَرَاغاً فِي زَهَادَةٍ، وَعِلْماً فِي اسْتِعْمَالٍ، وَوَرَعاً فِي إِجْمَالٍ.

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلِي، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَسَهِّلْ إِلَى بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي، وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِي عَمَلِي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ، وَانْهَجْ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ سَبِيلاً سَهْلَةً، أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ، وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَهُ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنِي بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ النَّارِ.

اللّهُمَّ صَلِّ على محمَّدٍ وَآلِه، وَبلِّغ بإيمانى أكمَلَ الإيمانِ، وَاجْعَلْ يَقينى أفضَلَ اليَقينِ، وَانتَهِ بِنِيَّتى إلى أحْسَنِ النِّيَّاتِ، وَبِعَمَلى إلى أحْسَنِ الأعْمَال..اللّهُمَّ وَفِّرْ بُلُطْفِكَ نِيَّتى، وَصَحِّحْ بِما عِنْدَكَ يَقِينى، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنّى.

?الصلاة على محمد وآله

?الدعاء والاستعانة بالله

?أكمل الإيمان

?أحسن الأعمال

?توفّر النيّة

?تصحيح اليقين

?استصلاح الفساد

الصلاة على محمّد وآله

يفتتح إمامنا زين العابدين سلام الله عليه دعاءه بالصلاة على محمد وآله، بل يجعلها مفتاحاً لكلّ فقرة من فقراته كما ترى وذلك للمأثور عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أنّ الصلاة على محمد وآله تعتبر من الأسباب الرئيسية لاستجابة الدعاء، وقد ورد ذلك فى روايات متواترة عن مختلف فرق المسلمين؛ فقد روى عن النبى صلّى الله عليه وآله أنّه قال: كلّ دعاء محجوب عن الله حتى يصلَّى على محمّد وأهل بيته.

وهذه حقيقة تكوينية واقعية وإن كانت أسرارها خفيّة بالنسبة لنا، كما فى بعض الأمور الواقعية فى هذا الكون والتى نؤمن بها؛ لإدراكنا لها، وإن كنّا لا نحسّها بالحواسّ، كالجاذبية مثلاً.

لقد ربط الله سبحانه وتعالى بين إجابة الدعاء وبين الصلاة على النبى وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام.

والمظهِر لذلك ومقام إثباته الروايات المصرّحة بذلك والتى تكشف أنّ من أسباب إجابة الله تعالى للدعاء أن يُفتتح بالصلاة على محمد وآله، كما فى الحديث المتقدّم.

إذاً فهذا تعليم وإرشاد لنا من الإمام عليه السلام، وهو فى الوقت نفسه وقبل أن يكون تعليماً، عمل من الإمام بالواقع الذى يعلمه ويعرفه.

الدعاء والاستعانة بالله

الدعاء والاستعانة بالله

بعد أن افتتح الإمام دعاءه بالصلاة على محمد وآله، انتقل عليه السلام إلى مقام سؤال حوائجه من الله تعالى مبتدئاً بهذه الكلمات الأربع: (بلّغ بإيمانى أكمل الإيمان) أى أنا لا أستطيع الصعود والبلوغ بإيمانى إلى أكمل الإيمان من دون عونك وتسديدك يا ربّ، وأنت الكفيل بذلك فأعنّى.

الإنسان بحاجة إلى تسديد الله دوماً

مهما بلغ الإنسان من المراتب العالية سواء الدينية أو الدنيوية فهو بحاجة إلى عون الله تعالى وتسديده.

حتى الذين توفّرت فيهم ملكة العدالة بأعلى درجاتها وأصدق معانيها، واجتنبوا فى مقام العمل كلَّ المحرّمات، وأتوا بكلّ الواجبات، وكان عندهم فوق ذلك كلّه ورع كامل، ليسوا بقادرين على النهوض والارتقاء من دون أن يعينهم الله تعالى على ذلك ويأخذ بأيديهم؛ لأنّ الشهوات المختلفة من شأنها أن تحول ولو شيئاً دون ذلك.

إنّ الإنسان محاطٌ بالشهوات شاء ذلك أم أبى، والتفت أم تغافل. فقد يتأمّل الإنسان فيلتفت إلى مختلف شهواته، وقد يغفل فلا يلتفت.

إنّ الله سبحانه وتعالى أودع فينا الشهوات لكى يختبرنا ويَميز الخبيث من الطيّب.

قد ينجح المرء فى كبح بعض شهواته، كالمرتاضين الذين يحقّقون ذلك ببعض الممارسات، ولكن ماذا يفعل الإنسان حيال الشهوات التى لا تعدّ ولا تحصى؟ وإن استطاع الإنسان أن يخفف من غلواء بعضها بالترويض والتمرين فإنّ هذا وحده لا يكون كفيلاً بكبح بعضها الآخر الذى يمكن أن يثقله ويشدّه إلى الأرض؛ وإليك مثالاً واحداً على تنوّع الشهوات وشدة ابتلاء الإنسان بها:

يقول بعض الفقهاء: إنّ الرياء قد يكون بترك الرياء!! مثلاً: قد يطيل شخص ركوعه وسجوده ويُحسن القراءة ويتظاهر بالخشوع بسبب وجود شخص آخر ملتفت إليه. فهذا هو الرياء المتعارف.

وقد يعمد إلى خلاف ذلك إذا علم أنّ الملتفت إليه إنسان ذكىّ يعرِف من حاله فيما لو أطال وحسّن من ظاهر صلاته أنّها ليست صلاته العادية وأنّه يرائى فيها فيأتى بصلاة عاديّة لكى لا يقول عنه الناظر إنّه مراءٍ. وهذا هو المقصود من قولهم: إنّ الرياء قد يكون فى ترك الرياء، أى فى ترك التظاهر بالخشوع وما أشبه.

هكذا هو الحال فى الشهوات فهى تحيط بنا من كلّ صوب وجانب. ولعلّ أكثر الناس يفهمون هذه الأمور جيداً وإن لم يستطيعوا التعبير عنها بشكل جيد.

إنّ مثَلنا فى هذا الطريق مثَل الإنسان البدين أو الشخص الذى يحمل أثقالاً كثيرة، فهو لا يستطيع تسلّق الجبال أو القفز والوثوب بسهولة، وربّما هوى وسط الطريق.

مهما كان الإنسان ذكياً وواعياً ونشطاً، مستوعباً لأطرافه وما يحيط به، غير أنّه لا يستطيع أن يصنع شيئاً مع ما عليه من ثقل الشهوات وهو ثقل واقعى غالباً ما يحول دون الإنسان ورقيّه ما لم يُعنْه الله تعالى ويأخذ بيده، وهذا بحاجة إلى الدعاء؛ قال سبحانه وتعالى?: قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ. ?والإمام السجّاد عليه السلام يرشدنا فى هذا الدعاء ويعلّمنا أن نطلب من الله تعالى أن يأخذ بأيدينا ليبلغ بنا أكمل الإيمان.

لزوم العمل إلى جنب الدعاء

قد يجرى الإنسان ألفاظ الدعاء على لسانه فقط، فيكون دعاؤه سطحياً. وقد ينطلق الدعاء من أعماقه، وهذا أفضل من الأول بلاشكّ، ولكنّه أيضاً لا يكفى، بل لا بدّ أن يكون إلى جانب الدعاء والخشوع سعى من قبل الإنسان نفسه لتحصيل ما يطلب من الله مستفيداً مما أعدّه الله سبحانه وتعالى للعباد، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: الداعى بلا عمل كالرامى بلا وتر.

الأدب فى الدعاء

ثمّ إنّ هاهنا نكتة مهمة تتطلّب المزيد من الالتفات، وهى أن يهتمّ الإنسان بجمال العبارة وصياغتها وصبّها فى وعاء جميل؛ فإنّ الإمام لم يغفل عن هذا الجانب حتى حين يدعو الله سبحانه وتعالى، بل ثمّة نكات لغوية نجدها فى كلمات الإمام سلام الله عليه ذات آفاق فوق الإدراك المتعارف، ولكنّنا نشير إلى نكتة واحدة فيها وهى البلاغة والبراعة فى استعمال الألفاظ؛ فالإمام لم يقل مثلاً: «وبلِّغ بإيمانى أكمل الإيمان وبيقينى إلى أكمل اليقين وبنيتى إلى أكمل النيات وبعملى إلى أكمل الأعمال» بل أبدل الفعل فى كلّ جملة كما أبدل صيغة التفضيل فيها، فاستعمل سلام الله عليه من الأفعال: (اجعل، انتهِ)، ومن صيغ التفضيل: (أفضل، وأحسن) ولم يقتصر على «بلّغ» و «أكمل» فى باقى الجمل.

صحيح أنّ هناك واقعيّة وراء هذه التعابير والألفاظ، ولكن فى التغيير تجميل للعبارة أيضاً، والجمال فى كلّ أمر محمود، كما روى عن الإمام أمير المؤمنينسلام الله عليه أنّه قال: إنّ الله جميل يحبّ الجمال.

إنّ الإمام فى حالة دعاء وتضرّع ومناجاة مع الله تعالى. إنّه فى حالة سؤال وطلب من الربّ الجليل، وليس فى مقام الحديث مع الناس، ومع ذلك نراه لم يغفل هذا الجانب، بل أولاه الأهمية أيضاً، فهو يغيّر التعبير ويقلّل من التكرار لملاحظة تستوجب ذلك، فلم يكرّر

مثلاً كلمة «بلغ» أو «الكمال» بل استعمل المترادفات مع ملاحظة الفروق الدقيقة بينها؛ الأمر الذى يدلّ على أنّ المطلوب من الإنسان الداعى أن يصبّ دعاءه فى قوالب جميلة حينما يسأل الله تعالى.

العلاقة بين الإيمان واليقين والنية والعمل

ثمّة نقطة أخرى تجدر الإشارة إليها قبل التعرّض إلى جمل هذه الفقرة والترابط فيما بينها، وهى أنّه ليس كلّ من كان قريباً من النور يمكن أن يستفيد منه، ما لم يكن أهلاً للاستفادة، كما هو الحال فى القريب من البحر الفرات فإمّا أن ينهل من دره وعطاياه ويرتوى من عذب مائه أو يغرق فيه ويكون من الهالكين.

وهكذا هو الحال فيمن كانوا قريبين من أهل البيت سلام الله عليهم والذين عاشوا فى عصرهم، حيث قُيّض لكثير منهم أن غنم وفاز فى الدارين، حتى جاء فى بعضهم المدح والدعاء عن المعصوم بينما تاه البعض الآخر فى ضلالته وتردّى فى غوايته رغم أنّه كان قريباً من المعصوم أو معاصراً له.

ونحن اليوم عندما نقرأ أدعيتهم عليهم السلام ونستلهم العبر من أقوالهم، فهذا يعنى أنّنا قريبون منهم، وإن كنّا لا نرى أشخاصهم ونعيش فى غير عصرهم، أمّا من لم يطّلع على أدعيتهم ولم ينهل من معين علومهم، فليس بمستوى أن يوفّق إلى الخير لأنه لم يتعرّف عليهم ولم يعرف قدرهم وعظمتهم التى يقصر البيان عن وصفها.

ففى هذه الفقرة من دعاء مكارم الأخلاق وحدها على سبيل المثال لا الحصر يكمن مفتاح كلّ خير؛ فالإمام يطلب من الله تعالى من الإيمان أكمله، ومن اليقين أفضله، ومن النيّات والأعمال أحسنها، ولاشكّ أنّ هذه الخصال صنعت عظماء كأبى ذر وسلمان وحبيب بن مظاهر والشيخ المفيد والسيّد بحر العلوم والمقدّس الأردبيلى وأمثالهم.

بعد هذه المقدّمة نقول:

لعلّ هذا الترتيب الوارد فى هذه الفقرة من دعاء الإمام عليه السلام (الإيمان، اليقين، النيّة الحسنة ثمّ العمل الحسن) يبيّن نوعاً من التسبيب الخارجى الواقعى. فبنسبة درجات الإيمان يكون المجال مفتوحاً أمام النسبة المناسبة من اليقين، وبنسبة درجات اليقين يكون المجال مفتوحاً أمام النسبة المناسبة من النيّة الحسنة، وبنسبة درجات النيّة الحسنة يكون المجال مفتوحاً للنسبة المناسبة من العمل الحسن.

ومن دون اكتمال هذه الحلقات الأربع لا يتحقّق التكامل. فالإيمان وحده غير كاف بل لابدّ له من اليقين، واليقين وحده غير مجدٍ من دون النيّة الحسنة، والنيّة الحسنة لا معنى لها إن لم تترجم إلى عمل حسن.

فهذه العناصر الأربعة تكمل بعضها بعضاً ويدعو بعضها لبعض. فالإيمان يدعو إلى اليقين، واليقين يدعو إلى النيّة الحسنة، والنيّة الحسنة تدعو إلى العمل الحسن. ولكن حيث إنّ هناك جواذب ومؤثّرات ضخمة وقويّة تثقل من حركة الإنسان نحو التكامل وتبطئه، اقتضى الأمر أن يُعمل الإنسان كلّ قدراته وطاقاته من أجل أن يجمع بين هذه العناصر كلّها.

ومن هنا يمكن أن نفهم موقف مسلم بن عقيل رضوان الله عليه وعدم إقدامه عندما عُرض عليه أن يفتك بابن زياد، مبيّناً ذلك بقوله: لحديث حدّثنيه الناس عن النبى صلى الله عليه وآله: أنّ الإيمان قيّد الفتك.

وعلى النقيض من ذلك ما حكاه الكتاب العزيز عن بعض الكافرين الذين لم يردعهم يقينهم عن الجحود والإنكار للحقّ، كما فى قوله سبحانه?: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ، ?وهو ما يعنى أنّ يقين بعض الكافرين فى أمر مّا قد يفوق يقين بعض المؤمنين، ولكنّهم يجحدونه، فلا يعملون به، ومن ثمّ فلا قيمة ليقينهم هذا.

ولا ينصرف لذهن أحد منكم أنّ اليقين المشار إليه فى الآية الكريمة إنّما هو مجاز. بل هى كلمة مستعملة فى معناها الحقيقى، ولكنّه يقين أبتر لا يتبعه نيّة ولا عمل، ولذلك يؤول إلى الجحود والكفر.

إنّ العلاقة بين العناصر الواردة فى هذه الفقرة من الدعاء تشبه ما يصطلح عليه أهل العلم بالعلاقة بين أجزاء المركب الارتباطى؛ أى بعضها مرتبط ببعض. فإذا فُقد جزء منها فُقد الكلّ، وإذا عرض لبعضها مانع فكأنّما عرض للكلّ. فإذا وجدت فى النفس نيّة صدّقتها الجوارح، ويكون التصديق هذا متناسباً مع النيّة قوّة وضعفاً.

ولتقريب المطلب أذكر هذا المثال:

أتذكر مولّدة الكهرباء القديمة فى مدينة سامراء وفّقنا الله جميعاً لزيارة مشاهد الأئمة سلام الله عليهم فيها وفى غيرها وكيف أنّها كانت ضعيفة، فكان الزوّار الذين يفدون إلى سامراء لا يشاهدون حتى المنارة أثناء الليل، وكانوا يقولون عن المصابيح التى تعمل على هذه المولّدة إنّها لا تُرى إلا نفسها!!

فكلّما كانت المولّدة قوية كانت الإضاءة الصادرة منها مثلها، أمّا إذا كانت ضعيفة فلا يمكن أن نتوقّع منها إلا النور الضعيف الذى لا يكاد يبين ما حوله.

وهكذا الحال بالنسبة لانعكاس الإيمان والحالات النفسية للإنسان على أعماله وتصرّفاته. فذو النفس الكريمة لا تبخل يده، ومن كان شجاع النفس لا يصفرّ وجهه، وصاحب اليقين لا تحطّم المشكلات أعصابه، ومن كانت نيّته خالصة لله لا يعير لمدح الناس أو ذمّهم أدنى أهمّية.

ولئن خفيت عنّا بعض الآثار فإنّها لا تخفى على الله تعالى فإنّه يعلم ما فى نفوسنا، كما يعلم كلٌّ منّا ما فى نفسه?؛ بَلِ الإنْسَانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ.?

أكمل الإيمان

أكمل الإيمان

إنّ الإمام سلام الله عليه لم يستعمل كلمة «أبلغ» بل قال: «بلِّغ». ومن الواضح أنّ هذه الصيغة يستفاد منها معنى التدرّج الذى يدلّ على أنّ التغيّر لا يحصل دفعة واحدة وإن كانت المراتب تختلف من شخص لآخر بل الأمر كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الخير عادة.

روى عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أنّه قال: إذا صعدت روح المؤمن إلى السماء تعجّبت الملائكة وقالت: عجباً كيف نجا من دار فسد فيها خيارنا؟!.

وهذا معناه أنّ المؤمن عملة نادرة. فالفرد كلّما حاول أن يصبح إنساناً جيّداً واجهته صعوبات كثيرة تحاول أن تثنيه، وربما أثنته. وليس ذلك لضعف فى عطاء الله تعالى، بل لتقصير من جانب الإنسان نفسه؛ فإنّ شهواته قد تبلغ من الكثرة والقوّة ما تتطلّب جهداً إضافياً للسيطرة عليها. ونيلُ المعنويات والتغلّب على الشهوات يتطلّبان دائماً قوّة أكثر وعزماً أكبر مما هو مطلوب فى سبيل نيل الشهوات، ولذلك ترى الناس عادة ما يبلغون المقصود فى تحقيق شهواتهم أكثر مما يبلغون فى كسب المعنويات.

فكما أنّه لا خلاف فى صعوبة الالتزام بالمعنويات، فكذلك لا خلاف فى أنّه كلّما أراد الإنسان أن يحتلّ مساحة أوسع من المعنويات كلّفه ذلك جهداً أكبر، حاله فى ذلك حال من يريد الحصول على مساحة أوسع فى المادّيات؛ فإنّ ذلك يتطّلب منه بذلاً أكثر. فمثلاً: تكون كلفة شراء بيت سعته ألف متر، أكثر مما هو مطلوب لبيت مساحته مئة متر فقط.

وإذا عرفنا أنّ الشهوات المحيطة بالإنسان كثيرة جدّاً، أدركنا مدى صعوبة صراعه مع المغريات التى يمكن أن تجذبه لتحول دون ارتقائه سلّم المعنويات التى من خلالها يروم الوصول إلى أكمل الإيمان. ولهذا نرى المؤمنين فى تفاوت بدرجات الإيمان كما جاء فى قوله تعالى?: هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ.?

رُوى عن أبى عمرو الزبيرى أنّه قال: قلت للإمام الصادق عليه السلام: إنّ للإيمان درجات ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عند الله؟ قال: «نعم».

إنّه لفوز عظيم أن يبلّغ الله تعالى بإيماننا أكمل الإيمان ولو فى آخر ساعة من العمر، فنكون ممن حباهم الله تعالى بحسن العاقبة.

وفيما يلى نذكر نماذج من الذين سعوا للإيمان الكامل:

•صهر الأمير الميرداماد

يُنقل أنّ بنت الأمير فى إحدى مدن إيران كانت عائدة إلى بيتها فى وقت متأخّر من ليلة شاتية، إذ صادفت فى طريقها مدرسة دينية، ففكّرت أن تلجأ إليها حتى الصباح، طلباً للأمان، ولم يكن فى المدرسة فى تلك الليلة إلا طالب علم أعزب ينام فى إحدى الغرف وحيداً فريداً. فلما طرقت الباب فوجئ الطالب بشابّة تطلب اللجوء فى المبيت عنده حتى الصباح؛ فأدخلها الطالب حينئذ حجرته على وجل! ونامت آمنة مطمئنة حتى الصباح، ثمّ غادرت إلى بيت أبيها الأمير.

عندما سألها أبوها الأمير عن مكان مبيتها ليلة أمس حكت له القصّة. فشكّ الأمير وأرسل خلف طالب العلم ليستوضح الأمر، فتبيّن له بعد ذلك أنّ هذا الطالب منعه تقواه من أن يتكلّم معها فضلاً عن أن يدنو منها أو غير ذلك!

وعندما أراد الأمير أن يشكر الطالب اكتشف أنّ إحدى أصابعه قد أُحرقت حديثاً، فسأله عن السبب فقال: تعلم أنّى شابّ وأعزب، واتّفق أن نامت فى غرفتى ابنتك وهى امرأة شابّة ولم يكن معنا أحد غيرنا، فأخذ الشيطان يوسوس لى، فخفت أن أفشل فى مقاومته، فكانت فى غرفتى شعلة نفطية، فبدأتُ أقرّب إصبعى من النار كلّما وسوس لى الشيطان وقديماً قيل: والجرح يُسكنه الذى هو آلم فصرتُ أسكّن ألم الشهوة بألم الاحتراق، وبقيت هكذا إلى الصباح حتى نجّانى الله من الوقوع فى فخّ الشيطان وما توسوس به النفس الأمّارة بالسوء.

وعندما سمعت الفتاة ذلك قالت: هو كذلك، لأنّى كنت أشمّ رائحة شواء، ولم أكن أعلم أنّ هذا المسكين إنّما كان يشوى إصبعه!

وقيل: إنّ الأمير زوّجها إياه بعد ذلك لما رأى من جلَده وتقواه.

وهذا الشابّ هو أحد علمائنا الأعلام الذى عرف فيما بعد ب «ميرداماد» أى صهر الأمير.

•الشيخ الأنصارى والشيخ خنفر رحمهما الله

كان الشيخ الأنصارى رحمه الله طالب علم ثمّ أصبح مدرّساً فمرجعاً عامّاً للتقليد يرجع إليه الملايين من المسلمين وتجبى إليه الأموال الكثيرة، وعندما مات لم تزد تركته على سبعة عشر تومانا مع أنّه كان يعيل زوجة وأطفالاً وكذلك أمّه التى كانت تعيش معه، كما كان يأتيه الضيوف من كلّ مكان.

وكان يعاصر الشيخ الأنصارى عالم جليل القدر يدعى الشيخ محسن خنفر، وكان رحمه الله أكبر سنّاً منه وإن كان دونه فى المنزلة العلمية.

مرض (الشيخ خنفر) أخريات أيّام حياته مرضاً ألزمه داره، فأُخبر الشيخ الأنصارى بذلك؛ فتألّم ودعا له، ولما أعوز الشيخ خنفر بعض المال أرسل له الشيخ الأنصارى كيساً من الذهب وكانت عمدة الأموال يومئذ الذهب والفضّة، وكانت تجبى فى أكياس لكى يأخذ حاجته منه.

وفعلاً فإنّ الشيخ خنفر لم يكن ليأخذ أكثر من دينار وثلاثة أرباع الدينار أى مثقالاً من الذهب وثلاثة أرباع المثقال ثمّ أرجع الباقى وقال: أبلغوا شكرى للشيخ مرتضى وأخبروه أنّنى أخذت كفايتى!

وعندما توفّى الشيخ خنفر بعد مدّة وجيزة تبيّن أنّ ما أخذه كان فعلاً بمقدار حاجته لما تبقّى من حياته.

فإذا كانت كلّ تلك الأموال الضخمة ترد على الشيخ الأنصارى ولكنّه لم يترك أكثر من سبعة عشر تومانا، وأنّ الشيخ خنفر قد اكتفى بما يسدّ عوزه، أفلا يعنى هذا أنّهما رحمهما الله تعالى قد ارتقيا درجات رفيعة فى سلّم أكمل الإيمان؟

لاشكّ أنّ هذا يتطلّب عملاً كبيراً يسبقه عزم أكيد وتوكّل على الله، لأنّ المغريات والشهوات ليست بالقليلة، ومنها شهوة المال والاكتناز، والرئاسة والحكم، والتفوّق والغرور، والجهل والتظاهر بالعلم و...

إذاً فلنتوجّه إلى الله تعالى ونطلب منه أن يبلّغ بإيماننا أكمل الإيمان، وأن نتعظ بالعلماء الأتقياء؛ فإنّهم لم يبلغوا تلك المرتبة الرفيعة دفعة واحدة، بل على القاعدة هُم أيضاً طلبوا أن يبلّغ الله بإيمانهم إلى الكمال، فأعانهم الله تعالى وأخذ بأيديهم، بعد أن استوفوا شروط ذلك فى الورع والتقوى والاجتهاد، فهو سبحانه باسط اليدين بالعطية.

فإذا كان الله لا يمنعنا عطاءه، وخلقنا ليرحمنا لا ليمنعنا، فلماذا لا نسعى ونهتمّ قليلاً ثمّ نضاعف سعينا لكى يشملنا فيض الله تعالى ونكون من الذين بلّغ بإيمانهم أكمل الإيمان؟ وأوّل شروط الإيمان الكامل هو الالتزام بالواجبات والكفّ عن المحرّمات.

تعلّم علوم أهل البيت عليهم السلام من شروط الإيمان الكامل

•روى عن أبى الصلت أنّه قال: سمعت أبا الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبداً أحيى أمرنا. فقلت له: كيف يحيى أمركم؟ قال عليه السلام: يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس.

وإذا كان علماء اللغة والأدب يقولون: إنّ الجمع المضاف يفيد العموم، كان معنى العبارة: «يتعلم كلّ علومنا». وهذا الكلام موجّه بالدرجة الأولى لنا نحن طلاب العلم.

فكلّ من تتوفّر فيه شروط الاستطاعة يكون عليه لزاماً أن يتعلّم علوم أهل البيت سلام الله عليهم ليعلّمها الناس فيهتدوا بهديهم سلام الله عليهم.

?ينقل الشيخ شريف العلماء فى بعض دروسه مناقشات السيّد مهدى بحر العلوم رحمه الله مع بعض علماء اليهود والنصارى وكيفية إفحامه لهم. فإذا لم يكن عند السيّد بحر العلوم من علوم أهل البيت سلام الله عليهم فهل كان يتمكّن أن يناقش علماء اليهود والنصارى ويفحمهم.

فلنقتدِ بأهل البيت سلام الله عليهم ولنقتفِ آثارهم، ولنعمل بالواجبات ومن أهمّها تعلّم علومهم سلام الله عليهم وتعليمها للناس؛ عسى الله تعالى أن يأخذ بأيدينا إلى أكمل الإيمان ببركة محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم.

أحسن الأعمال

أحسن الأعمال

قال الإمام عليه السلام: وَبلِّغْ بإيمانى أكمَلَ الإيمانِ، وَاجْعَلْ يَقينى أفْضَلَ اليَقينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتى إلى أحْسَنِ النِّيَاتِ، وَبِعَمَلى إلى أحْسَنِ الأعْمَال.

لقد تحدّثنا فى ما تقدّم عن أكمل الإيمان، وكان من المفروض أن يجرى الحديث الآن عن أفضل اليقين وأحسن النيات كما يقتضيه السياق ولكن بما أنّنا سنتعرّض لموضوع النيّة واليقين عند قول الإمام فى الجملة التالية: اللّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيّتى، وَصَحِّحْ بِما عِنْدَكَ يقينى، وَاسْتَصْلِحْ بقُدْرَتِكَ ما فسدَ مِنّى. لذا سنتناول الآن قوله سلام الله عليه: وبعملى إلى أحْسَنِ الأعْمال؛ لنرى ماذا يقصد الإمام ويعنى ب «أحسن الأعمال» التى ينبغى للمؤمن أن يطلبها من الله تعالى وأن يجعلها غاية عمله؟

من لباب النصائح

روى الحسين بن أبى العلا قال: خرجنا إلى مكّة نيف وعشرون رجلاً، فكنت أذبح لهم فى كلّ منزل شاة، فلما أردت أن أدخل على أبى عبد الله عليه السلام قال لى: يا حسين وتذلّ المؤمنين؟! قلت: أعوذ بالله من ذلك.

فقال عليه السلام: بلغنى أنّك كنت تذبح لهم فى كلّ منزل شاة؟!

قلت: ما أردت إلا الله.

فقال: أما كنت ترى أنّ فيهم من يحبّ أن يفعل فعالك فلا يبلغ مقدرته ذلك فتتقاصر إليه نفسه.

قلت: أستغفر الله ولا أعود.

وهذا العمل كما هو واضح لا إشكال فيه ولا شبهة، ولولا بقية الرواية لقلنا إنّه من أفضل الأعمال وأحسنها. فما أفضل إطعام المؤمنين وهم فى طريق الحجّ إلى بيت الله الحرام؟! إذا كان الإطعام فى حدّ ذاته عملاً مستحبّاً فكيف بإطعام المؤمنين؟ وكيف إذا كانوا فى طاعة الله تعالى؟

إنّ الحسين بن أبى العلاء لم يكن إنساناً عادياً بل كان قريباً من نور الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وكان يريد بعمله وجه الله تعالى، كما يظهر من جوابه للإمام سلام الله عليه. وعدمُ إنكار الإمام لصنيعه والاكتفاء بعتابه يدلّ على صدق نيّته.

لقد أراد الإمام من هذه النصيحة أن يلفت نظر الحسين بن أبى العلاء إلى ما ينبغى له وهو أن يتحرّى «أحسن الأعمال» وأن يعلم أنّ بلوغه لذلك يتطلّب وعياً دقيقاً وعوناً من الله تعالى.

فمع أنّ الإطعام الذى قام به كان عملاً حسناً، خاصّة وأنّه كان لله تعالى، ولكنّه فى الوقت نفسه لم يكن أحسن الأعمال؛ كما وضّحه الإمام بقوله: أما كنت ترى أنّ فيهم من يحبّ أن يفعل فعلك فلا يبلغ مقدرته ذلك فتتقاصر إليه نفسه. فربما كان فى هؤلاء الذين تطعمهم من يحبّ أن يفعل الشىء ذاته، أى يقوم هو بإطعام المجموع ولو مرّة واحدة، كما تقوم أنت بذلك، لمكان الفعل ومحبوبيّته، ولكن لم تكن لديه القدرة المالية على ذلك، فيحسّ حينئذ بالضعف أو الضعة أو شىء من الذلّ.

لا شكّ أنّ ما كان من فعل الحسين بن أبى العلاء لم يكن من الإذلال المقصود، وإلا ردعه الإمام ونهاه. ثمّ إنّ الإمام ههنا ليس فى مقام النهى عن منكرٍ ما بقدر ما هو بصدد الإرشاد إلى أحسن الأعمال، فكان الأولى بالمنفق هنا أن يلتفت إلى هذه النكتة الدقيقة التى أشار إليها الإمام ويعالجها بطريقة ذكية كأن لا يُظهر أنّ الإطعام كلّه منه.

وهذا يعدّ من لباب النصائح، وقل من يتحمّلها إلا من أوتى حظّاً من العلم والأخلاق. ولذلك نلاحظ أنّ الحسين بن أبى العلاء أدرك مقصود الإمام فوراً وقال: «أستغفر الله ولا أعود» أى سوف أكفّ عن الإطعام بنحو يشعر الآخرين بشىء من القصور أو الإذلال، وما أشبه.

حقّاً لولا أهل البيت سلام الله عليهم لما عُبد الله حقّ عبادته، كما روى عن الإمام الصادق سلام الله عليه: لولانا ما عُبد الله.

فلنتوقّف قليلاً ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسَب فقد روى عن الإمام أبى الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قوله: ليس منّا من لم يحاسب نفسه فى كلّ يوم؛ فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيّئاً استغفر الله منه وتاب إليه ولنعتبر بقصص المسترشدين؛ ومنها القصة التالية:

توبة أحد كتّاب بنى أميّة

عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ حَمَّاد عَنْ عَلِىِّ بْنِ أَبِى حَمْزَةَ قَالَ: كَانَ لى صَدِيقٌ منْ كُتَّاب بَنى أُمَيَّةَ فَقَالَ لى: اسْتَأْذِن لى على أَبى عَبْدِ اللَّه عليه السلام. فَاسْتَأْذَنْتُ لَهُ عَلَيْه، فَأَذنَ لَهُ. فَلَمَّا أَنْ دخل سَلَّمَ وَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ: جُعلْتُ فداكَ إِنِّى كُنْتُ فى ديوان هؤلاء القَوم فَأَصَبْتُ منْ دُنياهُمْ مَالاً كَثيراً وَأَغْمَضْتُ فى مَطَالبِهِ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله سلام الله عليه: لولا أنّ بنى أميَّةَ وَجَدوا مَنْ يَكْتُبُ لَهُمْ وَيَجْبى لَهُمُ الْفَىْءَ ويُقَاتلُ عَنْهُمْ وَيَشْهَدُ جَمَاعَتَهُمْ لما سَلبونا حَقَّنا، وَلو تَرَكَهُمُ النَّاسُ وَمَا فى أيْديهمْ ما وجدوا شَيْئاً إِلا ما وقَعَ فى أيْديهمْ.

قَالَ: فَقَالَ الْفَتَى: جُعلتُ فداكَ فهل لى مَخْرَجٌ منْه؟ قَالَ: إن قُلْتُ لكَ تفْعلُ؟ قَالَ: أَفْعَلُ. قَالَ لَهُ: فَاخْرُجْ منْ جميع مَا اكْتَسَبْتَ فى ديوانهمْ؛ فَمَنْ عَرَفْتَ منهُمْ رَدَدْتَ عَليه مالَهُ، وَمَنْ لَمْ تَعْرفْ تَصَدَّقْتَ به، وَأَنَا أَضْمَنُ لَكَ عَلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ الجَنَّةَ.

قَالَ: فَأَطْرَقَ الْفَتَى رَأْسَهُ طَويلاً ثُمَّ قَالَ له: قَدْ فَعَلْتُ جُعلتُ فداكَ.

قَالَ ابْنُ أَبى حَمْزَةَ: فَرَجَعَ الْفَتَى مَعَنا إلى الْكُوفَة فَمَا تَرَكَ شَيْئاً عَلَى وَجْه الأَرْض إلا خَرَجَ منْهُ حَتَّى ثيابه الَّتى كَانَتْ عَلَى بَدَنه.

قَالَ: فَقَسَمْتُ لَهُ قسْمَةً وَاشْتَرَيْنَا لَهُ ثيَاباً وَبَعَثْنَا إلَيْه بنَفَقَة. قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَيْه إلا أَشْهُرٌ قَلائلُ حَتَّى مَرضَ، فَكُنَّا نَعُودُهُ...

ومعنى قول الرجل «وأغمضت فى مطالبه» أى لم أتحرّ أصله أمن حلال أم حرام.

وهـذا الإغماض هو أحـد مصاديق الزلل التى يمكن أن يتعرّض لها كلّ إنسان، وقـد يكون فى العلم أيضاً كما لو احتال المـدرّس ولم يعط الـدرس حقّه أو لم يتثبّت فيما يلقيه على الطلبـة فيتحدّث بشـىء لا يعرفه أو لا يتقنه، وهكذا الحال بالنسـبة للطالب إن لم يَستوفِ المباحثة حقّها، وكذا غيره.

وهـذا الفتى عنـدما قال له الإمام: «تخرج من كلّ مالك» أدرك أنّ هـذه الكلمة حقيقة وليست مجازاً، ولذلك «أطرق رأسه طويلاً ثمّ قال: قـد فعلت». وعندما رجع إلى الكوفة خرج من كلّ أمواله حتى الثياب التى كانت عليه! ولذلك اشترى له أصـحاب الإمام الصادق عليه السلام ثياباً وأعطوها له مع بعض المال لكى يعيش، ثمّ مات بعد ذلك بفترة قصيرة!

والغريب أنّ الـذى جاء بالرجل إلى الإمام الصادق سـلام الله عليه وصار سـبباً لتوبته هو على بن أبى حمزة البطائنى، وهو من أصـحاب الإمـام الصـادق والإمـام موسـى بن جعفر سـلام الله عليهما ومن وكلائهما ولكنّه انحرف بعـد ذلك وكان أحـد الثلاثـة الـذين أبـدعوا مذهب الوقف!

فيجـدر مراجعـة كتب السـير؛ ففيها دواعى الاعتبار بحال أمثال هـذين الرجلين، فـذاك الـذى كان عاملاً لبنى أميّة كيف اهتدى، وهذا الذى كان من أصحاب الأئمة كيف انحرف!

إذاً علينـا أن نلتفت إلى مـا نعمـل وأن لا ـ يكون عملنـا مصـلحاً من جـانب ومفسـداً من جانب آخر، وعلينا أن نطرد الوساوس لأنّها من الشيطان، فلا نترك العمل الذى بدأناه بل نصلحه ونتقنه، وأن نستلهم فى هذا الطريق كلّ الدروس والعبر ونستفيد من النصائح والحكم التى وصلتنا عن النبى صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت سلام الله عليهم.

وهذا الأمر بحاجة إلى قليل من الالتفات والتأمّل، فلا ندَع العمل ولا نندفع وراءه دون وعى، بل نكون كما أرادنا الله تعالى أمّة وسطاً.

وعلينـا فى كـلّ حـال أن لا ـ نغفـل عن حبائل الشـيطان، الـذى أجراه الله تعالى فينا مجرى الـدم فى العروق، فلنكن منه ومن حبائله على حذر.

ما المقصود بأحسن الأعمال؟

لقـد وُجّه هـذا السؤال إلى الإمام زين العابدين عليه السـلام كما وُجّه إلى سائر الأئمة المعصومين سـلام الله عليهم فأجاب كلّ إمام بما يتناسب وظرف السؤال وطبيعته، ولربما أجاب أحدهم صـلوات الله عليهم بأكثر من إجابة حسب الموقف والمناسـبة التى تقتضيه. فمثلاً هناك روايات تقول: إنّ الصـلاة أحسن الأعمال، وأخرى تقول: إنّ صـلة الرحم أحسن الأعمال. إذاً ما المقصود حقّاً بأحسن الأعمال؟ سيّما وأنّ كلمة «أعمال» وردت بصيغة الجمع المحلّى بالألف واللام وهى صيغة تفيد العموم، فيكون المقصود منها «كلّ الأعمال».

يَجمع الفقهاء عادةً بين روايات كهـذه إمّا على المعنى الإضافى أى النسبى، أو على اعتبار درجات الحسن والتفاضل؛ لأنّ الأئمة سـلام الله عليهم كانوا يجيبون أحياناً بمقتضى حال الشخص السائل، أى على نحو ما يصطلح عليه العلماء بالقضية الخارجية.

توضـيح ذلـك: الإجابـات المختلفـة عن أحسن الأعمـال فى كلمات المعصومين سـلام الله عليهم إمّا أن تحمل على درجات الأفضـلية المطلقـة، وإمّـا أن تحمـل على الأفضـلية النسبيـة، أى إنّ العمـل الفلانى أحسن عمل بالنسـبة لكـذا موقف أو لفلان من الناس، والعمل

الآخر أحسن بالنسبة لشخص آخر أو موقف آخر. وما أكثر الموارد المشابهة لذلك فى الكتب الفقهية والتى عولجت بأحد هذين النحوين.

العمل بالسنّة أحسن الأعمال

ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال: إنّ أفضل الأعمال عند الله ما عُمل بالسنّة وإن قلّ، والمقصود بالسنّة هنا معناها الأعمّ وتشمل الفريضة، لأنّ السنّة قد تطلق ويراد بها معناها الأخصّ وهى ما يقابل الفريضة كما فى كثير من المستحبّات، وقد تطلق ويراد بها المعنى الأعمّ فتشمل الفريضة. وهذا بحث علميّ استدلالى وله شواهد كثيرة.

فيكون معنى الحديث: إنّ على كلّ إنسان أن يعرف ما هى مسؤوليته الشرعية فيعمل بها، لأنّها هى أحسن الأعمال بالنسبة إليه.

فأفضل الأعمال بالنسبة لصاحب العيال شحيح المال هو الاكتساب الحلال للحصول على المال والإنفاق على من تجب عليه نفقتهم.

وأفضل الأعمال لمن يرى العالَم منغمساً فى الضلالة أن يبادر لتعلّم علوم أهل البيت سلام الله عليهم ويعلّمها الناس، كما فى صحيحة عبد السلام بن صالح الهروى المذكورة سابقاً.

وأفضل الأعمال للذى بينه وبين رحمه قطيعة أن يصلهم ويُحسن إليهم، ولا تكون صلاة الليل مثلاً أحسن الأعمال بالنسبة إليه؛ وهو قاطع لرحمه، وإن كانت حسنة فى نفسها.

عندما يقال إنّ أفضل الأعمال صلة الرحم، فمعناه أنّ على الشخص الذى بينه وبين رحمه قطيعة أن يبادر لصلتها قبل القيام بأىّ عمل آخر، لأنّها أفضل عمل يطلبه الله تعالى منه، فهى أحسن من صلاة الليل ومن الدراسة ومن قراءة القرآن من باب الأولوية وهذا معنى: أفضل الأعمال ما عُمل بالسنّة.

فهذا الحديث المروىّ عن الإمام السجّاد سلام الله عليه يعدّ قرينة ودليلاً على أنّ التباين فى الروايات المتعددة عن المعصومين سلام الله عليهم فى تبيين أحسن الأعمال إنّما لأجل إختلاف القضايا الخارجيّة، وليس تبايناً حقيقيّاً.

وفيما نحن فيه حيث يعلّمنا الإمام السجّاد سلام الله عليه أن نسأل الله تعالى ونطلب منه أن ينتهى بعملنا إلى أحسن الأعمال يجب علينا أن نبحث فى التزاماتنا التى ينبغى فعلها سواء كانت واجبة أو مستحبّة لمعرفة الأولوية فيها، لنضمن بعد ذاك الوصول الى أحسن الأعمال ونسعى إلى تحقيقها. فمن يحبّ شيئاً ويطلبه من الله تعالى لابدّ أن يسعى إليه، كما أنّ من يطلب معيشة أفضل يسعى نحوها؛ فمن عرف مثلاً أنّ الأجرة فى مكان ما دينار وفى مكان آخر ديناران، لا يتردّد فى الذهاب إلى المكان الثانى مادام يبحث عن أحسن مستوىً للدخل.

نماذج عملية

•لما دخل مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه الكوفة سكن فى دار سالم بن المسيب فبايعه اثنا عشر ألف رجل. فلما دخل ابن زياد الكوفة انتقل مسلم من دار سالم إلى دار هانى فى جوف الليل ودخل فى أمانه، وكان يبايعه الناس حتى بايعه خمسة وعشرون ألف رجل.

فعزم على الخروج، فقال له هانى: لا تعجل. وكان شريك بن الأعور الهمدانى جاء من البصرة مع عبيد الله بن زياد فمرض فنزل دار هانى أيّاماً، ثمّ قال لمسلم: إنّ عبيد الله يعودنى وإنّى مطاوله الحديث فاخرج إليه بسيفك فاقتله، وعلامتك أن أقول اسقونى ماء، ونهاه هانى عن ذلك فلما دخل عبيد الله على شريك وسأله عن وجعه وطال سؤاله ورأى أنّ أحداً لا يخرج فخشى أن يفوته فأخذ يقول:

ما الانتظار بسلمى أن تحيّوها حيّوا سليمى وحيّوا من يحييها

فتوهّم ابن زياد وخرج.

فلمّا خرج ابن زياد دخل مسلم والسيف فى كفّه. فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ قال: خصلتان أمّا إحداهما فكراهية هانى أن يُقتل فى داره، وأمّا الأخرى فحديث حدّثنيه الناس عن النبى صلّى الله عليه وآله: إنّ الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن.

حقّاً ما أعظم هذه الكلمات الثلاث؟! أجل إنّها ثلاث كلمات فقط، ولكن الدنيا تزول فى يوم ما، وتبقى هذه الكلمات خالدة.

فكما أنّ الإنسان المقيّد بالسلسلة لا يستطيع التصرّف بحريّة لأنّها تقيّده وتمنعه من الحركة فكذلك الإسلام يمنع الإنسان المؤمن من الفتك، فإذا فتك فذلك يعنى أنّه قد تحرّر من الإسلام ولم يعد متقيّداً به.

وبهذا يكون مسلم رضوان الله عليه قد اتّخذ الموقف الأمثل الذى ينبغى له، أى عمل بما تقتضيه السنّة، فكان موقفه هذا أحسن الأعمال.

صحيح أنّ مسلماً قد فوّت فرصة سياسية ذهبية لقلب المعادلة لصالحه وصالح الإمام الحسين عليه السلام من الناحية المادّية والدنيوية وإن لم تكن كذلك حسب المفهوم الإسلامى، لأنّ سياسة الغدر بعيدة عن روح الإسلام إلّا أنّه رضوان الله عليه لم يفوّت ما هو أعظم منها فى الدارين؛ فتمسّك بما حفظه عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

فالغلبة المادّية من خلال الغدر والفتك ليس فيها بقاء لروح الإسلام الذى هو فوق المادّيات وتوابعها، وما عمله مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه كان عملاً بالسنّة وهو أحسن الأعمال.

•كما أنّ هناك رواية صحيحة السند، عن الحسن بن محبوب يقول: عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِى الصَّبَّاحِ الْكِنَانِىِّ قَالَ: قُلْتُ لأبى عَبْدِ الله عليه السلام: إنّ لنا جاراً من هَمْدَانَ يُقَالُ لَهُ الْجَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وهُوَ يَجْلِسُ إِلَيْنَا فَنَذْكُرُ عَلِيّاً أَمِيرَ الْمُؤْمنين عليه السلام وفَضْلَهُ فَيَقَعُ فيه، أَفَتَأْذَنُ لى فيه؟ قَال: فَقَال: يَا أَبَا الصَّبَّاحِ أَوَ كُنْتَ فَاعلاً؟ فَقُلْتُ: إى والله لَئِنْ أَذِنْتَ لى فيه لأرصُدَنَّهُ، فَإِذَا صَارَ فِيهَا اقْتَحَمْتُ عَلَيْه بسَيْفى فَخَبَطْتُهُ حَتَّى أَقْتُلَهُ. قَالَ: فَقَال: يَا أَبَا الصَّبَّاحِ هَذَا الْفَتْكُ، وقَدْ نَهَى رَسُولُ الله صلّى الله عليه وآله عَن الْفَتْكِ، يَا أَبَا الصَّبَّاحِ إِنَّ الإسلامَ قَيَّدَ الْفَتْكَ.

فالقتال والدفاع عن النفس والمبارزة فى الميدان أمور مفهومة من قِبل الإسلام، أمّا الغدر فلا يجوز أبداً. أجل إنّ الحرب خدعة والخدعة جائزة فى الحرب، ولكن الغدر غير الخدعة. فالخدعة تصحّ والحرب قائمة، أمّا أن تقتل رجلاً ـ جاء لزيارتك أو حضر مجلسك فهذا ليس من شيم الإسلام.

ويمكن تصوّر الخدعة أثناء الحرب كخلق أجواء خاصّة فى صفوف العدوّ بالصراخ وغيره، كما حدث فى حرب الجمل، عندما صاح الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه بأعلى صوته والحرب محتدمة: يا محمد بن أبى بكر، انظر إذا عرقب الجمل فأدرك أختك فوارها، وكانت عائشة تقود الجيش المعادى؛ فتصوّروا أنّ عائشة إمّا سقطت وإمّا أوشكت على السقوط، فتفرّقوا عنها وانهزم الجيش. فهذه تسمّى خدعة، أمّا الغدر فهو أن تعطى الأمان لخصمك ثمّ تفتك به، وهذا ما لا يقرّه الإسلام.

صحيح أنّ ابن زياد كان من أشرّ الناس على أهل البيت سلام الله عليهم، ولكنه لم يأت إلى بيت هانى بصفته محارباً بل جاء عائداً؛ ولذلك لم يبادر مسلم لقتله غيلة، وهاهنا تكمن عظمة مسلم التى يقف حتى التاريخ إجلالاً لها.

•نقل أحد تلاميذ السيّد الوالد رحمه الله قال: ذهبت يوماً إلى السيّد قبل الدرس، وقلت له: عندى سؤال مهم، وأرجو منكم أن تجيبوا عليه.

قال السيّد: تفضل، إسأل.

قلت: سيّدى، إذا علمتَ أنكَ ستفارق الدنيا بعد ساعة أو يوم، فماذا أنت فاعل خلال هذه المدّة القصيرة الباقية من عمرك؟

فأجابنى السيّد على الفور ودون أدنى تأمّل أى على خلاف عادته التى عُرف بها فى أوساط المحيطين به، وهى أنّه لا يجيب على أىّ سؤال بسرعة بل كان يتأمّل ولو قليلاً ـ ثمّ يجيب؛ الأمر الذى يكشف عن أنّه كان قد فكّر سابقاً فى هذا الأمر، ولذلك كان جوابه حاضراً عنده قائلاً: أعمل هذا الذى أنا مشغول به الآن – وكان جالساً يطالع كتاب الجواهر متهيّئاً لإلقاء الدرس وكان الوقت قبيل وقت

إلقاء درسه كما قلنا.

فقد يكون هذا هو أفضل الأعمال بالنسبة إلى مرجع تقليد، أعنى مطالعة الأحكام الشرعية والتوفّر عليها ليتسنّى له الإجابة على أسئلة الناس واستفتاءاتهم، فضلاً عن تدريس الطلبة وتعليمهم، فهذه من الواجبات المهمّة، فيكون ما أجاب به رحمه الله هو العمل بالسنّة أى العمل بالمسؤولية وهو أفضل الأعمال كما يقول الإمام زين العابدين سلام الله عليه.

•كان محمد بن مسعود العياشى أحد علماء العامّة، ألّف كتباً عديدة تأييداً لمذهبه، وكان الشيعة يومذاك أقلّية من ناحية العدد، ولكن كان هناك شباب من علماء الشيعة الذين لم يذكرهم التاريخ والذين سيُكشف عنهم حتماً وعن دورهم فى يوم القيامة- استطاعوا أن يغيّروا فكر العياشى ويحوّلوه عن مذهبه ويجعلوه شيعياً من أتباع أهل البيت سلام الله عليهم، حتى ذكر أصحاب السير والتراجم أنّ مسعود العياشى (الأب) كان من التجّار الكبار وورث منه ابنه محمّد هذا ثلاثمئة ألف دينار أى أكثر من طنّ من الذهب أنفقها كلّها فى سبيل العلم ونشر مذهب أهل البيت سلام الله عليهم.

لاشكّ أنّ الشخص الذى كان وراء تغيير عقيدة العيّاشى قد عمل بأحسن الأعمال حين استطاع أن يغيّر عالِماً ويهديه، مع أنّ العالِم لايتغيّر بسهولة، فليس هو كالإنسان العادى يتغيّر فى جلسة أوجلستين، مضافاً إلى أنّ تغيير العالِم يعنى تغيير العالَم، لأنّ العالِم اذا صلح، صلح العالم. أفلا يكون تغيير العيّاشى وأمثاله من أفضل الأعمال؟!

•كان المرحوم السيّد البروجردى رحمه الله، يدرّس الأصول فى مسجد «عشق على» عصراً، وفى أحد الأيّام وبينما السيّد يلقى الدرس من على المنبر وجّه أحد التلاميذ الحاضرين إشكالاً على الموضوع الذى كان يطرحه السيّد. فأجاب السيّد على الإشكال، ولكن التلميذ استشكل مرّة أخرى، وأجاب السيّد أيضاً، ولكنه احتدّ هذه المرّة فى كلامه بعض الشىء، فسكت التلميذ.

يقول السيّد الخونسارى: كنت قد أتممت صلاة المغرب فى اليوم نفسه ولم أصلّ العشاء بعد عندما جاءنى خادم السيّد البروجردى وقال لى: «يطلب منك السيّد أن تحضر عنده الآن». أسرعت الى السيّد فرأيت التأثّر بادياً عليه وكان واقفاً عند باب مكتبته متعجّلاً قدومى؛ فقال لى: لقد صدرت حدّة فى كلامى مع ذلك التلميذ الذى استشكل علىّ اليوم وأريد منك أن تأخذنى إليه قبل أن أصلّى المغرب والعشاء لأعتذر منه، فلم يكن ما قد صدر منّى تجاهه صحيحاً.

يقول السيّد الخونسارى: قلت للسيد: ان الشيخ (التلميذ) يؤمّ جماعة المصلّين فى المسجد الفلانى ثمّ يذكر بعد ذلك بعض المسائل الشرعية للناس ويجيب على أسئلتهم، فهناك أمامنا زهاء ساعتين ريثما يذهب الشيخ إلى بيته، فلأذهب الليلة وحدى إلى بيته وأخبره بالأمر وأُرتّب معه موعداً لزيارته غداً، لكى نذهب سويّة إلى منزله.

وهكذا حدَث، فلقد أخبرت الشيخ بالأمر ليلاً، وفى الصباح الباكر ذهبت إلى حرم السيّدة المعصومة عليها السلام كما جرت عادتى على ذلك، ثمّ رجعت الى البيت وإذا بى أرى السيّد البروجردى مستقلّاً عربته، مستعدّاً أمام بيتى ينتظرنى، وكان رحمه الله كبير السنّ لايستطيع المشى بسهولة، فركبت معه العربة وانطلقنا إلى بيت الشيخ الذى ما إن سمع طرق الباب حتى أسرع إلى فتحه ورحّب بالسيّد كثيراً. كيف لا وقد كان طالباً بين يديه والسيّد يومذاك كان مرجعاً عامّاً للشيعة، وكان الشيخ من مقلّديه.

يقول السيّد الخونسارى: عندما دخل السيّد أمسك بيد الشيخ وهمّ بتقبيلها لولا أنّ الشيخ سحب يده بقوّة ممتنعاً!!

قال السيّد البروجردى: اعذرنى على شدّتى فى الكلام معك أمس، فما كان ينبغى لى أن أفعل ذلك!

فقال له الشيخ: أنت سيّدنا ومولانا ومرجع المسلمين وأنا أحدهم، وتوجّهك هذا إلىّ يعدّ فضلاً منك علىّ.

ولكن السيّد البروجردى كرّر قوله بطلب العفو والصفح.

وهنا نسأل: اذا صدر من الإنسان شىء لم يكن أو شعر أنّه لم يكن فى محلّه، ألا ـ يجدر به العمل بما وافق السنّة؟ فإن عمل به فهو أحسن الأعمال وإلا ـ فلا. ولو لم يكن السيّد البروجردى رحمه الله ممتلئاً بعلوم أهل البيت سلام الله عليهم لما وُفق لهذا التوفيق ببلوغ أحسن الأعمال؛ الأمر الذى يجعلنا ندرك مدى أهميّة الحديث المتقدّم المروىّ عن الإمام الرضا سلام الله عليه والذى يقول فيه: يتعلّم

علومنا ويعلّمها الناس.

أحسن الأعمال فى ليلة عرفة ويومها والعيدين

للإمام الحسين سلام الله عليه دعاء فى يوم عرفة كما هناك دعاء للإمام السجّاد وآخر للإمام الصادق سلام الله عليهما، ومن وُفّق لقراءة هذه الأدعية الثلاثة بتدبّر فقد نال خيراً كثيراً؛ لأنّها كنوز عظيمة فى الحقيقة. وقد ذكر المرحوم الشيخ عباس القمّى صاحب كتاب مفاتيح الجنان من هذه الأدعية الثلاثة دعاء الإمام الحسين سلام الله عليه، أمّا الأدعية الأخرى فقد وردت فى كتب الزيارات والأدعية الأخرى.

وعمدة الأعمال فى يوم عرفة وليلتها ويوم العيد وليلته سواء كان عيد الأضحى أو عيد الفطر هى أن يتعلّم المرء فيها علوم أهل البيت سلام الله عليهم ويعلّمها الناس، ومن جملة علومهم تلك الأدعية التى أشرنا إليها آنفاً، كما يستحبّ فى ليلة عرفة ويوم العيد أيضاً أن يضمّ إلى تلك الأدعية كما جاء فى بعض الروايات قراءة زيارة الإمام الحسين سلام الله عليه لما فيها من علوم آل البيت عليهم السلام ولغناها بمعارف التوحيد والنبوّة والعدل والإمامة والمعاد، علاوة على بيانها صفات الله الثبوتية والسلبية، وما يجوز إطلاقه على الله وما لا يجوز. فهذه الأدعية والزيارات المرويّة عن أهل البيت سلام الله عليهم هى أوسع باب وأقوم طريق لمعرفة الله تعالى والاهتداء إلى أصول دينه الحنيف.

لذا ينبغى لنا أن نتعلّم هذه الأدعية والزيارات لكى نفهم عبرها أصول الدين وأحكامه، ولا نكتفى بالقراءة فقط. فمن عكف على تعلّمها وتدبّر فى آفاقها لابدّ وأن تتغيّر حالته نحو الأفضل ويسمو فى آفاق العلم والمعرفة.

فهناك بعض الناس قد يصاب بآفة التكبّر والغرور لمجرد أنّه تعلم كلمتين أو درس مرحلتين أوطالع كتابين أو حفظ بعض المصطلحات، فى حين ترى مرجعاً بمستوى السيّد البروجردى رحمه الله مثلاً لايهدأ له بال قبل أن يذهب ويعتذر من تلميذه لمجرد أنّه احتدّ معه فى الكلام، ويرى أنّ هذا الاعتذار أوجب الأعمال عليه وأحسنها، حتى أنّه فوّت على نفسه فضيلة أداء الصلاة فى أوّل وقتها وعدّ وقت طلب العذر مقدّماً عليها.

وهذا الاستعداد للاعتذار عند السيّد البروجردى مع مكانته العلمية والاجتماعية، لم يأت اعتباطاً بل هو نتيجة تربية وخلفية ضخمة أوجدت فيه هذه الحالة؛ فهل نحن مستعدّون إن اقتنعنا بصدور خطأ منّا فى حقّ شخص ما أن نعمل الشىء نفسه الذى عمله السيّد البروجردى مع أنّنا لم نبلغ مكانته؟ أسأل الله تعالى أن يجعلنا كذلك وأن يوفّقنا ببركة أهل البيت سلام الله عليهم للتحلّى بأحسن الأعمال.

توفّر النيّة

توفّر النيّة

مهما أوتى الإنسان من الإحاطة فى البلاغة والدراية إلا أنّه يبقى على سواحل بحار معانى كلمات أهل البيت سلام الله عليهم لأنّهم أرومة اللغة وسادات الأدب والبلاغة؛ ومن الأمثلة على ذلك كلمات الإمام السجّاد سلام الله عليه فى هذا الدعاء.

ما يبدو لنا فى هذا المجال أنّ الإمام السجّاد عليه السلام يمزج المعانى هنا بعضها ببعض ويُشرب بعض الألفاظ بمعانى ألفاظ أخرى؛ هذا الإشراب الأدبى للفظ بمعنى لفظٍ آخر يجعله قالباً وقابلاً للمعنيين معاً.

تستعمل مفردة وفر فى اللغة تارة متعدية وأخرى لازمة، وكلٌّ بلحاظ يختلف عن الآخر. تقول: (وفُرَ المالُ) أى كثر واتّسع، وتقول (وفِّرِ الشىء) أى كمّله واجعله وافراً. كما يستعمل التوفير بمعنى الصيانة والحفظ أيضاً.

وقد استعمل الإمام هذه الكلمة بشأن النيّة لأنّ ما يطلبه الإمام من الله تعالى هو المراتب العالية من الشيء وليس أصل الشيء كما في طلبنا نحن. فإنّ الإمام يطلب هنا توفير النيّة بمعنى الوصول بها إلى الكمال وثبوتها، لا بمعنى إيجادها في نفسه.

إنّ الثبات على النيّة أصعب شيء على النفس لأنّها متذبذبة بالنسبة إلى النيّة ذبذبة غريبة، ومثاله التذبذب الذي يحصل لنا في الصلاة. فربما تبدلت نيّة بعضنا في الصلاة الواحدة أكثر من عشرين مرة! فقد يبدأ الشخص صلاته بنيّة تنسجم وقول أمير المؤمنين سلام الله عليه: إلهي ما عبدتُك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنّتك ولكن وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتك، فيبدأ تكبيرته بهذه النيّة، ولكن بمجرّد أن يُتمّ التكبير تهجم على ذهنه الأفكار، فإذا كان خطيباً مثلاً فكّر في المجلس الذي ينتظره، وإذا كان تاجراً فكّر في تجارته وهكذا. فهل هذا هو المراد من التكبير؟! هل كبّر الخطيب ليبدأ الإعداد لمجلسه مثلاً؟ إنّ الإعداد للمجلس أمر حسن ولا بأس به، ولكن ليس أثناء الصلاة.

إنّ مسألة الثبات على النيّة تعتبر بحدّ ذاتها مسألة صعبة جدّاً. فإنّ الإنسان مهما أوتي من توفيق وإخلاص حتى لو استمرّ عليه سبعين سنة فإنّه لا يؤمَن من تزلزل النيّة في نفسه، لأنّ الإنسان كما هو معلوم مكبّل ومشدود بغرائز وأهواء مختلفة. وقد ورد في كثير من الآيات الكريمة والأحاديث القدسية والروايات الشريفة أنّ جمهرة عظيمة وكبيرة من الناس يدخلون جهنم والعياذ بالله لعدم ثبات نياتهم؛ قال تعالى?: مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاَء وَلاَ الَى هَؤُلاَء.?

ولذلك يطلب الإمام من الله تعالى إكمال النيّة وإبعاد النقص فيها، ويطلب كذلك صيانتها، فهي معرّضة للتأثيرات المختلفة، الأمر الذي يجدر بنا بعد انعقاد نوايانا في نفوسنا أن نطلب من الله تعالى توفيرها وصيانتها من أخطار الشيطان والشهوات وتأثيراتها المختلفة.

ولذلك فإنّ الإمام لم يقل: «وفِّر نيّتي» بل قال: وفّر بلطفك نيّتي. فهذه الباء هي باء السببية، أي ليتدخّل لطفك يا إلهي في توفّر نيتي، وإلاّ فإنّي غير مستحقّ لولا لطفك ورحمتك. فما هو المراد من اللطف هنا؟

إنّ كلّ كلمة من كلمات هذا الدعاء يعدّ كتاباً حقّاً، ولو عرضتَ هذا الدعاء وحده على شخص لا يعرف أهل البيت وكان أديباً وعارفاً بالمعاني ومنصفاً مع نفسه لغيّر نظرته وتحوّل إلى أهل البيت عليهم السلام!

اللطيف: صفة من صفات الله تعالى وأسمائه، وفي اللغة له عدّة معان، ومن تلك المعاني: الرفيق أي صاحب الرفق. ومن معاني اللطف: التوفيق والعصمة. وغير مستبعد أن يريد الإمام كلا المعنيَين.

فكأنّ الداعي يقول: يا إلهي أنت رفيق بعبادك (ترفق بهم) فبرفقك يا إلهي وفّر نيتي، ويا الهي أنت الموفّق والعاصم لعبادك توفّق وتعصم وِفْقَ مشيئتك، فبتوفيقك يا إلهي اعصِم نيّتي.

لقد أودع الله تعالى في الإنسان من الطاقات ما هي كفيلة بتصحيح مساره، لكنّه الإنسان كثيراً ما يضعف عن صيانة نيّته وحفظها عن الزيغ والتذبذب، فتراه يعجز عن الصعود والارتقاء بها إلى درجات الكمال العليا؛ ولذا يقول الإمام السجّاد عليه السلام: اللهم وفّر بلطفك نيّتي. أي يا إلهي خذ بيدي واصعد بنيّتي، فلا أستطيع الارتقاء من دون عونك.

النيّة إطار العمل ومانحة لونه

والنيّة إطار العمل، فالعمل لا لون له، مثل الماء الصافي الذي لم تخالطه أجزاء ترابية أو شوائب أخرى. فلو كان الماء صافياً جداً وصُبّ في إناء زجاجي شفّاف، حينها لا يتمكّن الإنسان أن يبصر حدّ الماء من بعيد بسهولة، خصوصاً إذا كان ساكناً لا تموّج فيه، وذلك لأنّ الماء في الأصل لا لون فيه وإنّما يكتسب لون الإناء الذي يوضع فيه أو لون الشيء الذي يمتزج معه، أو غير ذلك.

فالعمل كالماء بصفائه، وإنّ النيّة هي ذلك الشيء الذي يمنحه لونه.

فمثلاً ـ زيد يدرّس، ولكن المهمّ هو الهدف الذي يدرّس من أجله فإن كان إلهياً قلنا إنّ عمله إلهي، وإلا كان له لون آخر. وهكذا الحال مع كلّ عمل سواء كان تدريساً أو دراسة أو خطابة أو تأليفاً أو بناء مسجد أو أيّ عمل آخر.

•مثال آخر: شخص شتمك، ولكنّك حلمت عليه، فالحلم شيء صعب وجميل فى نفس الوقت، ولكن الأصعب من الحلم تأطيره بنية إلهية. أمّا إذا كان الدافع لاستعمالك الحلم أن تقوّى مكانتك بين الأصدقاء أو يقال عنك حليم، أو تعلن للناس من خلاله أنك قوىّ الإرادة، فهذا يختلف عمّن يحلم لعلمه أنّ الله يحبّ الحلم ويدعو إليه، ولكلٍّ حساب.

لا عمل إلا بنيّة

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا قول إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنيّة، ولا قول ولا عمل ولا نيّة إلا بإصابة السنّة.

وهناك أحاديث كثيرة بهذا المضمون، ذكر بعضها الحرّ العاملى رحمه الله فى كتابه.

و «لا» هنا نافية للجنس؛ لأنّ اسمها مبنيّ على الفتح، وهى تختلف فى أدائها ومدلولها عن «لا» المشبّهة ب «ليس» فى كون النافية للجنس تنفى جنس الشيء وهو العمل فى المقام، وهذا معناه أنّ العمل واللاعمل سيّان إن لم يكن العمل مصحوباً بنيّة حسنة، وليس المقصود نفى الحقيقة والواقع الخارجى بل نفى الاعتبار. فمن واصل الدراسة لمدّة عشرين أو ثلاثين سنة حتى بلغ مرحلة الاجتهاد، إنّما يعبّر عن وجود همّةٍ صاحبُها رجل مثابر، إذاً فكيف لا يعدّ كلّ ما بذله من جهد عملاً؟! وهكذا من بذل إطعاماً أو ألقى خطاباً استوجب مدح الناس وإعجابهم، كيف يقال عمّا صدر عنه أنّه لم يكن عملاً؟ لا شكّ أنّ المقصود هو نفى الاعتبار وليس الحقيقة.

وتوضيحه بمثال:

لو أنّ شخصاً ألّف كتاباً ضخماً وأتعب نفسه فى تأليفه ثمّ قدّمه لعالِم والتمسه أن يكتب له تقريظاً، ولكن العالم اكتشف بعد مطالعته الكتاب أنّه لا قيمة له من الناحية العلمية والموضوعية واعتذر لصاحبه عن كتابة التقريظ قائلاً: إنّ هذا ليس بكتاب أصلاً! فماذا يُفهم؟ هل نفى الواقع المادّى الملموس للكتاب ككتاب مؤلَّف من أوراق كتبت عليها عبارات وخطوط، أم نفى توفّر الكتاب على الشروط التى يستحقّ بها أن يسمّى كتاباً كما ينبغى.

إذاً ما كتبه الكاتب فى المثال هو كتاب، وفى الوقت نفسه ليس بكتاب. هو كتاب خارجاً وحقيقة، ولكنّه ليس كتاباً اعتباراً، أى وفق الشروط التى يعتبرها أهل الفنّ.

إذا اتّضح هذا المثال نقول: هكذا يجب أن نفهم مراد الأحاديث الشريفة التى تقول إنّه لا عمل إلا بنيّة.

والخوف كلّ الخوف أن يأتى اليوم الذى ينتشر فيه هذا اللاعمل. فلكلّ فرد منّا مئات الملايين من الأعمال فى حياته، لأنّ العمل ليس منبراً أو تأليفاً أو تدريساً أو بناء حسينية فحسب، بل كلّ نظرة وكلّ نفحة، وكلّ تأمّل وتفكّر وكلّ لمسة وهمسة ولمزة وخلسة، وكلّ استماع ونجوى وتعبير، ولابدّ أن تحصى هذه الأعمال كلّها عند الله تعالى وتنشر يوم القيامة، ليكشف عن عدد هائل من اللاعمل بعدد مصاديق الأعمال المجرّدة عن النيّة الحسنة.

ولا عمل ولا نيّة إلا بإصابة السنّة

وهذا تتمّة الحديث، وإن لم يكن مورد بحثنا الآن، ولكن لا بأس بإشارة إليه لأهمّيته. ولعل أقرب مثال يوضّح هذا المعنى قد تجسّد فى أولئك الذين عادوا الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه وشهروا سيوفهم فى وجهه بنيّة التقرّب إلى الله تعالى!

فكيف يُتصوّر قبول عمل من شهر سيفه فى وجه الإمام على عليه السلام وهو ميزان الأعمال يوم القيامة؟! أى بمودّة على عليهم السلام توزن أعمال العباد ليعرف ثقلها، ويتحقّق قول الله تعالى?: فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ? فَهُوَ فى عيشَةٍ راضِيَة ? وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ? فأُمُّهُ هاوِيَة.?

أيعقل أن يجعل اللهُ تعالى علياً عليه السلام ميزاناً ومعياراً لأعمال الخلائق وفيصلاً بين الحقّ والباطل، يدور الحقّ معه حيثما دار، ثمّ يرضى بمحاربته وإشهار السيف بوجهه؟!

ورغم ذلك نرى قوماً كان هذا فعلهم. ولذلك يذكر المؤرّخون أنّه عندما طُعن أحد الخوارج يوم النهروان، مشى فى الرمح وهو شاهر سيفه إلى أن وصل إلى طاعنه فضربه فقتله وهو يقرأ?: وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ?طه: ۸۴. فهذا عنده نيّة وعمل ولكن عمله ونيّته لم يصيبا السنّة، فيكون عمله بذلك من مصاديق اللاعمل.

النيّة قبل العمل وحينه وبعده

يظهر من مضمون الأحاديث والروايات أنّ النيّة تؤثّر فى العمل سواء كانت قبل العمل أو حينه أو بعده لا فرق، سوى أنّ فسادها بعد العمل يفسده دون أن يبطله. والفقهاء رضوان الله عليهم قد فصّلوا الأمر وقالوا: إنّ النيّة إذا كانت فاسدة حين العمل أى كان العمل لغير الله كما لو كان رياءً مثلاً فهذه النية الفاسدة تفسد العمل وتبطله، ولكنّها إن فسدت بعد العمل فهى لا تبطل العمل بل تفسده فقط. و لا يتناقض هذا الفهم مع مفهوم الروايات المتقدّمة فضلاً عن منطوقها بل هو فهم يفرّق بين البطلان الذى يعنى لزوم إعادة العمل وبين الإفساد الذى يعنى عدم القبول.

فلو أنّ شخصاً صدر منه الرياء أثناء الصلاة، فلا شكّ حينئذ بفساد الصلاة وبطلانها فى الحالتين، الأمر الذى يستوجب الإعادة فى الوقت، والقضاء خارج الوقت إن فاته.

ولكن لو فرضنا أنّ الشخص لم تكن هذه نيّته ولكنّه بعد أن أتمّ الصلاة حدّثته نفسه بالرياء والتظاهر، وعمل بذلك، فتحدّث لغيره عن صلاته وخشوعه فيها، فهنا يقول الفقهاء إنّ الصلاة وإن فسدت فهى لا تبطل، ويعنون بذلك عدم بطلانها الظاهرى، وهذا المعنى مساوق لعدم وجوب الإعادة أو القضاء.

أمّا الروايات التى تقول باشتراط حسن النيّة حتى بعد العمل فهى ناظرة إلى القبول، ولذلك فإنّ هذه الصلاة تساوق العدم من حيث الأجر والقبول وإن لم تستلزم الإعادة فى الدنيا لسقوط التكليف بالفراغ منها قبل حصول الخلل فى النيّة. أمّا الخلل الحاصل حين العمل فهو مخلّ بالركنين الصحّة والقبول معاً، ولذلك عُدّ من رائى أثناء صلاته كمن صلّى بلا وضوء أو مستدبرَ القبلة أو مع النجاسة غير المعفوّ عنها وما أشبه، ومن ثمّ فتجب عليه الإعادة، والقضاء إن لم يُعد فى الوقت، بل تجب على ورثته قضاؤها إن لم يقضها، على التفصيل المذكور فى الكتب الفقهية.

مثال من واقع الحياة

واشتراط النيّة وصحّتها فى قبول العمل من الأمور التى جرت عليها سيرة العقلاء فى حياتهم العملية، والأمثلة ليست عزيزة فى هذا المجال، فكثيرة هى الأمور التى قد يُتعب الإنسان نفسه عليها، ثمّ يفرّط بها ويتلفها بسهولة وربّما باندفاع لأنّه يرى أنّها كانت عديمة الفائدة، وإن شكلت كمّاً ضخماً فى الواقع الخارجى.

نقل لى أحد العلماء رحمه الله قال: لقد ألّفت مجموعة من الكتب خلال عشرين سنة ثمّ بدا لى بعد ذلك أنّى غير راغب فيها – من الناحية الدينية طبعاً وليس السياسية – ولا أريد بقاءها عندى، ففكّرت بطريقة للتخلّص منها، لأنّنى لا أستطيع إحراقها بسبب وجود أسماء الله تعالى وآيات قرآنية وروايات للمعصومين فيها، يقول: ففكّرت أن أعطيها لشخص لكى يرميها فى النهر ولكنّى خشيت أن لا يرميها فى الماء أو أن يبقى منها ما قد يدركه أحد ويستخرجه، فرأيت أنّ أفضل طريقة هى أن أدفنها فى حفرة أحتفرها فى داخل بيتى، فاستأجرت حفّاراً ليحفر لى بئراً فى موضع من البيت، وبعد أن حفر مقداراً أعطيته أجرته وطلبت منه أن ينصرف. وعندما خرج من البيت أسرعت بوضع الكتب فى الحفرة وفتحت عليها الماء ثمّ أهلت التراب حتى اختفت ثمّ سوّيت ما عليها!

هكذا يفعل الله مع أعمالنا الباطلة، يقول تعالى?: وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً. ?حقّاً ما آلمه من عذاب، ذلك عذاب اليوم الآخر الذى يهون عنده كلّ أنواع العذاب فى دار الدنيا، لأنّ الإنسان المؤمن سيرتاح بالموت من عذاب الدنيا وهمومها،

ولكن لا راحة من العذاب الأخروى لسواه، سيّان النفسى منه والجسدى.

إنّ المفتاح بيد الإنسان وإن لم يخلُ الأمر من صعوبة ولكنّه ممكن، غايته أنّه يتطلّب إرادة وتوكّلاً على الله تعالى. والنيّة تؤطّر العمل فى كلّ حال. فهى تؤطّر الخطابة والتدريس والبذل والإطعام، وهى تؤطّر عمل المرجع والمؤلّف والمبلّغ وإمام الجماعة والقاضى، كما تؤطّر العمل فى سائر المجالات.

الخلود بسبب النيّة

يقول العلاّمة المجلسى: ومن هذا يظهر سرّ أنّ أهل الجنّة يخلدون فيها بنيّاتهم، لأنّ النيّة الحسنة تستلزم طينة طيّبة، وصفات حسنة، وملكات جميلة تستحقّ الخلود بذلك؛ إذ لم يكن مانع العمل من قبله فهو بتلك الحالة مهيّأ للأعمال الحسنة والأفعال الجميلة، والكافر مهيّأ لضدّ ذلك، وبتلك الصفات الخبيثة المستلزمة لتلك النيّة الرديئة استحقّ الخلود فى النار.

توضيحه: إنّ المؤمن الثابت على الإيمان مهما مدّ الله فى عمره أقام على الطاعة فهذه نيّته، والعاصى المصرّ على العصيان مهما عاش فى الدنيا استمرّ على عصيانه، وهذا عزمه.

أمثلة على النيّة الحسنة

•للشيخ عباس القمّى رحمه الله كتب عديدة منها «مفاتيح الجنان» وله كتاب عميق المحتوى كتبه باللغة الفارسية وتمّت ترجمته مؤخّراً إلى اللغة العربية، أسماه «منازل الآخرة» وهو حقّاً يعبّر عن محتواه.

كان أبوه (محمد رضا) رجلاً عادياً، ومن الكسبة الأخيار، فكان ملتزماً بالحضور فى مسجد الإمام الحسن العسكرى سلام الله عليه المعروف فى مدينة قم المقدّسة، حيث كان هناك خطيب قد تأثّر بخطابه وبوعظه وإرشاده؛ فقد كان خطيباً جيّداً، وفى نفس الوقت كان من الذين يخدمون أهل البيت سلام الله عليهم عن هذا الطريق.

أمّا الشيخ عباس القمّى فلم تكن حرفته الأصلية الخطابة بل كان مؤلفاً محققاً، ولكنّه مع ذلك كان يصعد المنبر أحياناً، وكان المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائرى (زعيم الحوزة العلمية) يدعوه لارتقاء المنبر فى مدينة قم، كما كان السيّد حسين القمّى رحمه الله يدعوه أحياناً ليصعد المنبر فى بيته فى مدينة مشهد المقدّسة. وكان غالباً ما يأخذ معه كتاباً بيده ويقرأ منه، لأنّه كان يخشى الزيادة والنقيصة ويتورّع فى ذلك.

كان محمد رضا يسأل ابنه «الشيخ عبّاس» مراراً: لماذا لا تزيد من معلوماتك وتصعد المنبر مثل الخطيب الفلانى الذى أحضرُ مجلسه فى مسجد الإمام العسكرى سلام الله عليه، فهو خطيب جيّد يحضر منبره جمهور كثير وهو يقرأ من كتاب معه يحوى مواعظ وحكماً وحكايات مؤثّرة؟

وكان الكتاب الذى يطالع فيه ذلك الخطيب هو كتاب «منازل الآخرة» للشيخ عبّاس القمّى، ولكن الشيخ مع ذلك لم يخبر أباه أبداً أنّ هذا الخطيب إنّما يقرأ من كتاب «منازل الآخرة» وأنّه من تأليفى.

وهذه الحالة تكشف عن الإخلاص فى النيّة.

•للشيخ ابن فهد الحلّى رحمه الله تأليفات كثيرة منها كتاب «عدّة الداعى» كنت سابقاً قد سمعت عن الكتاب ورأيت بعض ما نُقل عنه، ولكنّى لم أكن قد رأيت الكتاب نفسه. وعندما حصلت عليه، بعد أن جاءنى به شخص فى أوّل الليل، أخذت فى قراءته وسهرت بذلك الليل كلّه تقريباً، فشعرت بتأثير مطالبه علىّ مع أنّى كنت قد سمعت بمعظمها، حتى إنّه يمكننى القول أنّى لم أجد شيئاً جديداً سوى جملة واحدة لا تزيد على سطر واحد.

وكعادة طلاب العلوم الدينية الذين يبحثون دائماً عن جذور الأشياء وأسبابها، فكّرت عند نفسى عن السبب الذى يكمن وراء كلّ هذا

التأثير الـذى وجـدته من وراء هـذا الكتاب رغم أنّ معظم مطالبه لم تكن جديـدة لى فلم أصل إلّا إلى أمر واحد فقط وهو أنّ المؤلّف كتب كتابه هذا بنيّة خالصة!

لقد كان الشيخ ابن فهد الحلّى رحمه الله من الفقهاء الأتقياء وصاحب كرامات وقد نُقلت عنه أشياء نادرة وأمور مبتكرة ولعلّها فريدة.

ولقد كانت نيّته موفّرة وخالصة لدرجة أنّ عمله فى كتابه هذا على وجه الخصوص، يؤثّر فى النفوس رغم مرور مئات السنين عليه!

•لما أظفر الله تعالى أمير المؤمنين سـلام الله عليه: بأصـحاب الجمل قال له بعض أصـحابه: وددت أنّ أخى فلاناً كان شاهـدنا ليرى ما نصـرك الله به على أعدائك. فقال سـلام الله عليه: أ هوى أخيك معنا؟ قال: نعم. قال: فقد شـهدنا، ولقد شهدنا فى عسكرنا هذا، أقوامٌ فى أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الإيمان.

لابدّ من النيّة والتوكّل معا

إنّ النيّة هى الأسـاس فى العمل، وهى إطار العمل كما أسـلفنا، والاختيار يبقى بيـد الإنسان، ولكن بما أنّه مكبّل ومشـدود إلى الأرض فهو بحاجة إلى تأييد ربّانى. نضرب لذلك مثلاً:

إنّ الـذين يتسـلّقون الجبال يمسـكون بحبل أحـد طرفيه مثبت فى أعلى الجبل، فالمتسـلّق منهم وإن تراه يصـعد بعزيمته وجهده وفكره وأعصـابه إلّا أنّه مع ذلك لابـدّ له من وجود ذلك الحبل لأنّ أدنى زلّة منه قـد تودى بحياته أو تهشّم عظامه، إذا ما هوى. فلا العزيمة وحـدها كافية دون الحبل ولا الحبل وحده كاف دون العزيمة، لأنّ من لا عزيمة وقوّة له لا يسـتطيع التسـلّق وإن كان هناك حبل، كما أنّ الإرادة والعزيمة غير كافيتين دون الحبل لأنّ الطريق صـعب ومحفوف بالمخاطر، وأنّ أدنى غفلة أو زلّة تنتهى بصاحبها إلى التحطّم والهلاك.

وهكـذا الحال بالنسـبة للنيّة ونجاحها، فإنّها تتطلب إرادة وعزيمة وتصـميماً من العبد، وتوكّلاً منه على الله تعالى إلى جانب ذلك. فإنّ التوكّل وحـده دون إرادة واختيار من العبـد لا يكفى، كما أنّ اعتماد العبـد على إرادته وحدها دون مدد من الله هو أيضاً غير مضـمون النتائج.

وتلك الوسيلة التى تعين العبد على تسلّق درجات المعرفة والكمال والفلاح، هى النيّة والتوكّل على الله تعالى.

•كان أبو حمزة الثمالى شخصـية عظيمـة، ويكفى أنّ واحدة من حسـناته روايته الدعاء المعروف بدعاء أبى حمزة الثمالى، الذى كان يدعو به الإمام زين العابدين سلام الله عليه فى أسحار شهر رمضان المبارك.

روى أنّ سبطه حسيناً روى عن أبيه، عن أبى حمزة أنّه قال: «والله إنّى لعلى ظهر بعيرى بالبقيع إذ جاءنى رسولٌ فقال: أجب يا أبا حمزة! فجئت وأبو عبدالله عليه السلام جالس، فقال: إنّى لأستريح إذا رأيتك.

هـذه كلمة عظيمة جدّاً، فالإمام الصادق سـلام الله عليه كان له أصـحاب كثيرون، فلماذا كان يستريح لأبى حمزة بالخصوص؟ هل كان سلام الله عليه يستريـح لشـكله أو منطقه أو لسانه أو ماله أم كان يستريـح لإخلاصه؟ لاشكّ أنّ إخلاص أبى حمزة هو الذى رفعه إلى هذه الدرجة العظيمة، وأنّ الإمام كان يستريح لخلوص نيّته.

لنعمل على توفير النيّة

فلنتجاوز هـذه العقبة الكؤود عقبة التذبذب فى النية ولنؤطّر أعمالنا بنيّة خالصة مادمنا على الطريق، نؤمن بالله واليوم الآخر، ونؤدّى سائر الفروض والواجبات، وندرس وندرّس العلوم الدينية ونعظ الناس ويؤلّف بعضـنا الكتب لهدايتهم أو لبيان معالم الدين، لأنّنا مع الأسف نرى أنّ بعض الناس بعيـدون حتى عن أوليات الدين الحنيف، لذا يلزم أن نبذل جهداً متميّزاً فى الوصول إلى أحسن النيّات. غاية الأمر أنّه يحتـاج إلى تركيز وتصـميم وتوسّـل بـالله تعـالى واستشـفاع بأهـل البيت سـلام الله عليهم. فإنّ العمل الخالص هو الـذى لا تريـد أن

يمدحك عليه أحد كما أشار إليه الأئمّة المعصومون سلام الله عليهم وإن كان هذا أمراً صعب المنال ولكنّه ممكن.

بعد ساعات أو أيّام أو شهور أو سنين كلٌّ حسب أجله سننتقل إلى الدار الآخرة، حينها نتأسف لعدم استثمار حياتنا وأعمارنا فى العمل بإخلاص، وأنّ عمدة همّنا كان منصبّاً فى التظاهر بأعمالنا وذواتنا.

صحيح أنّه ينبغى فى بعض الموارد أو يستحبّ بل قد يجب أن يُظهر الإنسان نفسه، ومثاله: أن تكتب اسمك على الكتاب الذى تؤلّفه ليُعرف أنّه لك فيؤخذ بما فيه إن كنتَ ممن يوثق بكلامه. ولكن ليكن كتابة اسمك من أجل التوثيق لا لكى ترى نفسك وتظهر ذاتك لأجل التفاخر وما أشبه.

وهذا الأمر يتطلّب انتباهاً مستمرّاً وتوكّلاً على الله تعالى، فربّ غفلة أدّت إلى سقوط مميت! كالذين يقودون سيّاراتهم فى طرق ذات منعطفات ومزالق خطيرة تتطلب منهم انتباهاً ويقظة وحذراً لكى لا تؤدّى بهم الغفلة إلى خسارة أعمارهم أو البقاء معوقين طيلة حياتهم!

تصحيح اليقين

تصحيح اليقين

إنّ أعلى درجات العلم عند الإنسان هو اليقين. فقد يسير الإنسان على طريق ما بهدف الوصول إلى غايته، وفى الوقت نفسه يكون شاكّاً فى سلامة هذا الطريق ومدى صوابه، ومع ذلك يصل إلى مرامه ومقصوده إن استعمل الاحتياط. وقد يسير الإنسان على الظنّ، فيكون احتمال نجاحه أكبر. ولكن مهما قوى الظنّ فإنّه لا يبلغ مرحلة اليقين، لأنّ اليقين أعلى مرتبة فى العلم يمكن أن يبلغها الإنسان.

بيد أنّه حتى اليقين كثيراً ما ينكشف أنّه كان خلاف الواقع، فهناك حالات كثيرة من اليقين يتبيّن أنّ الإنسان كان مخطئاً فيها.

وهذا الانكشاف قد يكون بعد آن وقد يكون بعد مرور أشهر، وقد لا يتحقّق إلا بعد مرور سنوات – وهناك أمثلة كثيرة على هذا الأمر – وأحياناً قد لا ينكشف زيف يقين مّا إلا فى الآخرة والعياذ بالله، وهذه هى الطامّة الكبرى.

اليقين بالله أفضل اليقين

روى عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أنّه قال: إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار.

فهناك من يعبد الله تعالى عبادة العبيد، حيث يدفعه خوفه من النار للامتثال، فلا يكذب ولا يظلم ولا يرتكب ما حرّم الله تعالى؛ خوفاً من نار جهنّم، ويقوم بالطاعات والواجبات للسبب نفسه، فهو يصلّى ويصوم ويتصدّق على الفقراء لتحاشى الوقوع فى العذاب. وهذه مرتبة من اليقين أيضاً وإن كان سببها الخوف، ولكنّها مقبولة على كلّ حال، والالتزام بهذا الحدّ لا بأس به، وما أسعد الناس لو التزموا بهذا الحدّ وبهذا المقدار. ولكن إذا ما قورنت هذه الحالة وهذا المقدار بمن يعبد الله لأنّه أهل للعبادة فإنّها ستبدو ناقصة أو كالأعور فى مقابل من له عينان صحيحتان. فالأعور لا يمثّل الحالة الفضلى ولكنّه أحسن من الأعمى على كلّ حال، ولا مناقشة فى الأمثال.

وهناك من يعبد الله تعالى طلباً لثوابه وطمعاً فى الجنّة التى حشوها البركة.

]وأكبر النعم فى الجنّة رضوان الله تعالى؛ يقول تعالى?: وَرِضْوانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ?بمعنى أنّ علْم أهل الجنّة بأنّ الله راض عنهم يعدّ من أكبر النعم. لتوضيح أكثر نقرّب الموضوع بمثال:

لو أنّك كنت تحترم شخصاً ما ولنفرض أباك وكان يكرمك ويعطيك المال بل يُعطيك من وقته واهتمامه، ولكنك لا تعلم هل هو راض عنك حقّاً، فإنّك إذ ذاك لا تشعر بالقيمة الحقيقيّة لما يقدّمه لك، ولكن إذا كنت تعلم بأنّه راض عنك فسيكون رضاه أهمّ شىء وأكبر مكسب عندك. والأب مثال فى المقام وإلا فقد يكون من تحبّ صديقاً عزيزاً أو غيره.

وهكذا الحال فى شعور المؤمن باللذة فى الجنّة، فإنّ أكبر مكافاة له هى شعوره برضى الربّ تعالى عنه[.

ولكن تبقى هذه الحالة (العبادة طمعاً فى الجنّة) أيضاً عبادة تجّار

كما عبّر عنها الإمام عليه السلام وهى أدنى مرتبة من عبادة الأحرار التى لا تنبع من خوف ولا طمع بل من يقين بأنّ الله تعالى يستحقّ العبادة.

روى عن أمير المؤمنين سلام الله عليه قوله: إلهى ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً فى جنّتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك.

ولتوضيح المطلب نذكر مثالاً: إذا كان لمرجع دينٍ خادمٌ وصديقٌ ومقلّد، أما الخادم فتراه يُجدّ فى عمله مخافة أن يُطرد ويُبدل بآخر إن لم يؤدّ مهمّته على الوجه المطلوب لأنّ الهدف الذى كان يتوخّى منه لم يتحقّق. فهو يعمل بجد ولا يتخلّف عن الحضور فى الأوقات المطلوبة للخدمة مخافة الطرد أو الاستغناء عنه.

أمّا الصديق فتراه يحاول أن يحبّب أو يقرّب نفسه للمرجع أيضاً، ولكن بدافع مختلف عن الأوّل، لأنّه لا يبتغى مالاً من وراء ظهوره بالمظهر اللائق الذى يجعل المرجع يرتاح إليه. بيد أنّه هو أيضاً ربما يكون يبحث عن منفعة وإن لم تكن المنفعة مادّية بصورة مباشرة، كما لو كان يحاول أن يكسب ثقة المرجع أكثر فأكثر ليكون من مقرّبيه؛ لينال حظوة أو مكانة اجتماعية، ومن ثمّ يكون مؤثّراً فى المجتمع، أو ذا كلمة مسموعة قد يستطيع من خلالها أن يحصل على فوائد مادّية أو فئوية.

بينما المقلِّد لم يقلّد المرجع خوفاً ولا طمعاً بأىّ نفع مادّى أو اجتماعى وإنّما قلّده لأنّه رآه أهلاً لذلك. فإذا قال المرجع إنّ الصلاة كذا قال سمعاً وطاعة، وإذا قال الخمس كذا نفّذ مقالته بلا تردّد.

فطاعة المقلّد لأقوال المرجع والامتثال لأوامره نابعة من نظرته للمرجع فى أنّه ممن يجب تنفيذ أقواله وامتثال أوامره فهو مرجعه المتخصص فى الشؤون الشرعية، وليس خوفاً من طرده كالخادم أو الأجير ولا طمعاً فى كسب الدنيا من ورائه كبعض الأصدقاء.

هكذا هو حال الأئمة عليهم السلام فى علاقتهم بالله، فهم لا يعبدونه سبحانه خوفاً من ناره ولا طمعاً فى جنّته وإنّما رأوه أهلاً للعبادة فعبدوه.

اليقين باعث على الطمأنينة

الإنسان الذى يؤمن بالغيب وعنده يقين بأنّ المقادير كلّها بيد الله تعالى، ينعم براحة بال دائمة وطمأنينة واستقرار؛ لأنّه يعتقد بأنّ كلّ ما يصيبه إنّما هو بقضاء من الله وقدره؛ قال تعالى?: قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إلاّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا. ?ولكن هذا لا يعنى أن لا يعمل الإنسان بالشروط والأسباب الطبيعية التى أمره الله تعالى بها، مبرّراً فشله بعد ذلك بأنّه مكتوب عليه من الله سبحانه.

فلو أنّ طالباً تقاعس عن الدراسة ولم يصبح متعلماً رغم مرور السنين، فهذا لا يمكنه القول إنّ الله عزّ وجلّ كتب عليه الجهل والتخلّف. فإنّ الله تعالى كتب أنّ طريق الرقى العلمى هو الجد والاجتهاد، ولابدّ من سلوكه للوصول إلى الهدف، ولا شكّ أنّ من لا يسلك الطريق لا يصل إلى الغاية. والشىء نفسه يصدق على كلّ مجالات الحياة الفردية والاجتماعية، فكما أنّ الله تعالى سنّ قوانين تشريعية مثل? كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ?وغير ذلك من الفروض والواجبات أو النواهى والمحرّمات مثل? حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ?وغيرها، فكذلك هنالك لله عزّ وجلّ سنن تكوينية يستتبع التخلّف عنها شقاءً لازماً، مثل? قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ.?

إذاً على الإنسان أن يعمل بالأسباب الظاهرية، فإن لم يوفَّق مع ذلك يستسلم إلى تقدير الله ويردّد قوله تعالى?: قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إلاّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا.?

من يصحّح اليقين غير الله عزّ وجلّ؟

الظاهر من عبارات الإمام السجّاد سلام الله عليه فى هذه الجملة والتى قبلها أنّه عندما طلب توفير النيّة ذكر السبب الذى يتمّ به توفّرها وهو لطف الله تعالى فقال: اللهم وفّر بلطفك نيّتى، ولكنّه عندما طلب تصحيح اليقين - وهو أهمّ ما يبنى عليه الإنسان العاقل حياته - أوكل الأمر فى تعيين السبب والوسيلة إلى الله تعالى نفسه، فلم يقل بلطفك أو أىّ صفة من صفاتك يا إلهى بل قال: بما عندك أى بالصفة التى تراها أنت يا إلهى؛ ولا يُتوهّم أنّ الإمام لم يذكر السبب ههنا من جهة أنّه قد لا يكون بمستوى أفهامنا فإنّه سلام الله عليه ليس بصدد التفسير والبيان، بل هو فى حالة سؤال من الله تعالى ولكن ليثبت حقيقة ويكشفها لنا وهى: أنّ موضوع تصحيح اليقين مشكل جدّاً، لأنّ الإنسان إذا كانت نيّته غير صالحة فهو يعلم بذلك، ولكن أنّى له أن يعلم أنّ يقينه غير صحيح وهو على يقين؟!

ولفظة «ما» الموصولة - كما نعلم - تستعمل للعاقل وغير العاقل، للمفرد والمثنّى والجمع، والمذكر والمؤنّث على السواء، فهى أعمّ لفظة.

هل يستطيع أن يصحّح اليقينَ الخاطئ غير الله تعالى؟ إنّ الإنسان فى شدّة قوّته هو فى منتهى الضعف، فكيف فى ضعفه؟ ولذلك يعلّمنا الإمام صلوات الله عليه أن نتوسّل فى مثل هذه الحالات إلى الله تعالى، فنقول: اللهم صحّح بما عندك يقينى، فكان اختياره سلام الله عليه لكلمة «بما عندك» فى غاية الدقّة والروعة.

أى: يا إلهى أنا لا أعرف أسلوب تصحيح اليقين، فأنت الذى تصحّح لى بما عندك يقينى، لأنّ المرء عندما يكون متيقّناً بشىء فمعناه أنّه متيقّن بصحّته فكيف يصحّحه؟ أجل، إنّ الله سبحانه قادر على أن يبدّل يقين الإنسان إن كان زائفاً إلى اليقين الصحيح.

فرُبّ شخصٍ اعتمد على صديق له ووثق به ثقة مطلقة، فأودعه أسراره وكشف له عن أموره خاصّها وعامّها، ثمّ تبيّن له بعد ذلك أنّه كان يتجسّس عليه وينقل أخباره إلى أعدائه! والعكس بالعكس.

فمن ذا الذى يصحّح يقين الإنسان والحال هذه؟ لا شكّ لا أحد غير الله عزّ وجلّ، ولا طريق لذلك إلا الدعاء! قال تعالى?: قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلا دُعَاؤُكُمْ.?

إنّ الإنسان الذى لا يدعو الله تعالى لا يستحقّ العناية الإلهية، ومن لا يستحقّ العناية فليس من الحكمة أن يُعطاها. إنّ الطفل مهما كان عزيزاً عند أبويه فإنّهما لا يعطيانه صكّاً نقدياً كبيراً ليلعب به مع الصبية فى الطرقات، لأنّه غير مدرك لقيمته، وقد يباغته شخص ويسرقه منه. فإذا كان الأبوان حكيمين فإنّهما لا يعطيانه الصك مهما بكى وألحّ، إذ ليس من الحكمة إعطاؤه. وهكذا الإنسان غير المستحقّ لعناية الله تعالى، ليس من الحكمة أن يعطاها.

ولذلك نرى الأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين يتضرّعون إلى الله عزّ وجلّ فى دعائهم، تضرّعاً لا يبلغه سواهم، وهم الذين خلقهم الله تعالى فى الذروة وطهّرهم من كلّ رجس، والروايات فى هذا المجال كثيرة وما وصلنا لا يشكّل إلا نزراً يسيراً لأنّ أكثر عبادتهم عليهم السلام كانت فى الخفاء، وهذا هو شأن من يعبد الله عزّ وجلّ حقّ عبادته لمّا وجده أهلاً للعبادة.

فحال الأئمّة المعصومين سلام الله عليهم مع المولى تعالى شأنه؛ هو أنّهم رأوه أهلاً للعبادة، فبالغوا فى عبادته ودعائه والتضرّع إليه، وما ظهر لنا فى هذا المجال عنهم صلوات الله عليهم لا يمثّل إلا القليل النادر مما لم يظهر أو لم يُنقل.

استصلاح الفساد

استصلاح الفساد

يقول الإمام سلام الله عليه بعد ذلك: واستصلح بقدرتك ما فسد منّى.

الاستفعال فى اللغة وُضع فى الأصل لطلب وقوع الفعل، ولكنّه قد يأتى بمعنى الإفعال، كما فى قول الإمام «استصلح» فهو بمعنى

«أصلح» وكما فى دعاء التوبة المروىّ عنه عليه السلام: «يا من استصلح فاسدهم بالتوبة».

الإصلاح بحاجة إلى قدرة الله تعالى

فى هذا الدعاء يطلب الإمام سلام الله عليه من الله تعالى أن يتدارك أمر الإصلاح بقدرته. وهذا الطلب يوحى أنّ هذا المجال (أى إصلاح ما فسد من الإنسان) صعب جدّاً، بحيث يتطلّب تدخّل القدرة الإلهية.

الإنسان معرَّض للفساد فقد يقع فيه وقد لا يقع، والكلام هنا عن فعلية الفساد ووقوعه، لأنّ الإمام يقول: «ما فسد منّى» لا ما يقتضى أن يفسد، وليس كلّ فاسد يمكن إصلاحه بسهولة، علماً أنّ كلمة «ما» الموصولة فى قوله سلام الله عليه: (ما فسد منّى) تفيد العموم والسعة والشمول، فتشمل ما فسد من أمور الدنيا والآخرة، ومن البدن والنفس، وكذا فى المسائل المالية والنفسية والاجتماعية وغيرها.

ولا يخفى أنّ الإمام هنا بصدد تعليمنا وإرشادنا، فمعنى قوله سلام الله عليه هو: إنّ الإنسان لا يقوى على إصلاح ما فسد منه دون الاعتماد على قدرة الله تعالى وتوفيقه، فكلّ منا يمكنه أن يكون من خيار الناس، كما يمكن أن يكون من شرارهم والعياذ بالله فهؤلاء الأشرار الموجودون فى المجتمع والذين بقوا كذلك حتى آخر عمرهم كانوا أناساً أيضاً، ولكنّهم لم يريدوا الصلاح، ولا استعانوا بقدرة الله تعالى لإصلاح ما فسد منهم، فاستمرّوا على ما هم عليه.

إنّ إصلاح الفاسد بحاجة إلى الدعاء، ولذلك يقول الإمام سلام الله عليه: «واستصلح بقدرتك ما فسد منّى».

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى محمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنى مَا يَشْغَلُنى الاِهْتِمَامُ بِه، وَاسْتَعْمِلْنى بِمَا تَسْأَلُنى غَداً عَنْه،

وَاسْتَفْرِغْ أيّامى فِيما خَلَقْتَنى لَه.

?ما يشغل الإنسان

?العمل للآخرة

?التفرّغ لعبادة الله تعالى

ما يُشغل الإنسان

هناك أمور ومسؤوليات تقع على عاتق الإنسان، منها ما هو كفائىّ ومنها ما هو عينىّ وهو مرادنا فى البحث. فالعينىّ هو الأمر الذى لا يسقط عن الإنسان بإتيان الغير له كالصلاة والصوم والحجّ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى بعض أقسامه، والزكاة والخمس. لكن من العينى ما يكون الغرض منه التحقّق، فلو قام به شخصٌ سقط عمّن وجب عليه.

مثلاً: شخصٌ قدم من بلاد نائية إلى الحوزة العلمية من أجل تلقّى الدراسة، وبينا هو منغمس فى الدراسة ومترقّب للامتحانات إذ يأتيه الخبر أنّ أباه قد ابتلى بمرض ما وأنّه بحاجة ماسّة إلى دواء يجب أن يبحث عنه مهما كلّف الأمر ويوصله إليه بأسرع ما يمكن، فهذا واجب عينىّ ولكن لا يشترط أن يقوم به المكلّف نفسه، بل يجوز أن يقوم به غيره نيابة عنه.

ههنا لا شكّ أنّ هذا الأمر سيشغل بال هذا الطالب واهتمامه، لأنّه أوجبُ عليه حتى من تحصيل العلم بل من كلّ العبادات، لتزاحم الأمر بين ما يخشى عدم دركه؛ لفواته، وبين ما يمكن دركه؛ لعدم فواته. لذا يكون الواجب المطلوب منه تحقيق الأمر وإيصال الدواء المعيّن إلى أبيه على أىّ نحو كان، حتى لو استأجر شخصاً أو التمس من صديق أن ينوب عنه بذلك، ولا يشترط أن يقوم الطالب بالبحث عن الدواء وحمله إلى أبيه بنفسه إلا إذا انحصر الطريق به، فحينها يقوم به.

فى مثل هذه الحالة إذا كان الفرد حائراً لا يجد من يكلّفه للقيام بهذه المهمّة، فهو من جهة يشعر بأن ما عرض له هو أمر لابدّ من استجابته، لأنّه واجب عليه شرعاً وعرفاً وعقلاً وعاطفة، ومن جهة أخرى يرى أنّه إن قام بالواجب بنفسه فسوف يتأخّر عن دراسته ربما لمدّة عام كامل. وبينما هو مهتمّ ومنشغل فى هذا الأمر وخوف فواته، ومتأثّر لأنّه سيتأخّر عن دراسته فيما لو استجاب له بنفسه، يتّجه

حينها إلى الله تعالى فيقول: إلهى أنت أدرى بنيّتى وبحالى فاكفنى هذا الأمر الذى يشغلنى الاهتمام به عن أمر هو الآخر محبوب لديك، وهو تلقّى العلم الذى طويت لأجله كلّ هذه المسافات، فقيّض لى من يكفنى أمر استحصال الدواء وإيصاله حتى لا أنشغل بسببه عن دراستى.

ويتّفق فى الأثناء أن يحصّل الدواء وأن يلاقى شخصاً من أبناء منطقته يروم السفر إليها فيوافق على إيصال الدواء، والأمر فى كلا الحالين متعلّق بإرادة الله تعالى، ولذلك ينبغى للإنسان المؤمن أن يتوجّه بالدعاء إلى الله تعالى فى هذه الحالات، وما أكثرها فى الحياة وفى مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها، وعلى مستوى الفرد والجماعة، فإنّ الإنسان فى الغالب مبتلى طيلة حياته بطريقين بينهما تزاحم، وكلاهما مهمّان، أحدهما يكون على النحو الأوّل، أى الذى لابدّ للانسان أن يقوم بأدائه بنفسه كالدراسة وطلب العلم فهل يمكن أن تنيب شخصاً فى الدراسة عنك ثمّ تصير عالماً؟ لا يمكن هذا بالطبع والآخر على النحو الثانى الذى يمكن إيعازه إلى شخص آخر يقوم به بالوكالة و النيابة.

وبما أنّ الله تعالى مسبّب الأسباب، لذا يطلب منه الإمام سلام الله عليه أن يكفيه الأمر الذى يشغله بأىّ نحو شاء، حتى يتفرّغ للأمور الضرورية التى لابد من قيامه بذاته لأدائها، ولا ينشغل عنها بالأمور التى يمكن لغيره أن يقوم بها نيابة عنه أو أصالة، فضلاً عن الأمور التى لم يُخلق من أجلها ولا يُسأل عنها يوم القيامة.

فبعد أن طلب الإمام من الله تعالى أن يكفيه ما يشغله الاهتمام به، توجّه إليه بالسؤال مباشرة أن يعينه لكى يصرف الوقت الذى حصل له بسبب ذلك فى الأمور التى سيُسأل عنها يوم القيامة.

وإذا ما عرفنا أنّ الدعاء وحده لا يكفى بل لابد للإنسان من السعى نحو ما يدعو ويسأله من الله؛ لقوله تعالى?: وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاّ مَا سَعَى، ?كما أنّ السعى من دون الدعاء لا ينفع؛ لقوله عزّوجل?: قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلا دُعَاؤُكُمْ، ?إذا عرفنا ذلك تبيّن لنا أنّ علينا التفكير والسعى إلى جانب الدعاء دائماً لأن نصرف أعمارنا فى ما خلقنا الله تعالى من أجله وما هو سائلنا غداً عنه.

العمل للآخرة

العمل للآخرة

يقول الإمام صلوات الله وسلامه عليه بعد ذلك: واستعملنى بما تسألنى غداً عنه. أى: وفّقنى لأن أتفرّغ للأعمال التى ستسألنى عنها غداً. ويبدأ الغد عند كلّ إنسان من ساعة موته ويستمرّ حتى الآخرة والدار التى يقول الله تعالى عنها?: هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.?

فلا بدّ أن تحضر جواباً حين يسألك الله سبحانه وتعالى فى اليوم الآخر، ومعلوم ما هى تلك المسائل التى يجب أن تعنى بها والتى ستُسأل عنها غداً. فلن تُسأل: لماذا لم تأكل الأطيب أو تلبس الأنعم أو تركب الأسرع أو تختار ما هو أغلى للعيش وأجمل؟ إنى لم أر فى الأدلّة الشرعية أنّا سنُسأل يوم القيامة أسئلة من هذا القبيل.

روى عن الإمام الرضا سلام الله عليه أنّه قال: لو وجدتُ شابّاً من شبّان الشيعة لا يتفقّه فى دينه لضربته. وكلمة الفقه فى تعابير أهل البيت سلام الله عليهم يراد بها معنى أوسع وأشمل من المعنى الاصطلاحى للفقه، لأنّه فى الاصطلاح الأخير هو العلم الذى يعنى بالأحكام العملية كالعبادات والمعاملات ونحوها أمّا فى المصطلح الروائى فيقصد به تعلّم كافّة مسائل الإسلام الذى تمثّل الأحكام العملية جزءاً منه.

كما أنّ قول الإمام (لضربته) تعبير مجازىّ، وإلا فلم يعهد أنّ أحداً من الأئمّة سلام الله عليهم ضرب أحداً لذلك، وإنّما استخدم الإمام سلام الله عليه هذا التعبير لبيان أهميّة هذا الأمر وأنّه مما يُسأل عنه العبد يوم القيامة.

سيرة النبى مما يُسأل العبد عنه يوم القيامة

ومن جملة ما يسأل عنه العبد المسلم يوم القيامة سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ومدى الاقتداء به والعمل وفق ما أرشد إليه القرآن الكريم؛ قال الله تعالى?: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فی رَسُولِ اللهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.?

بل من الواجبات على كلّ مسلم أيضاً الدفاع عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله إزاء الذين يكذبون عليه صلى الله عليه وآله. فما أكثر المتطاولين على قداسته صلى الله عليه وآله من الذين يفترون الأكاذيب بحقّه، سواء كانوا من غير المسلمين أم من الذين يزعمون أنّهم مسلمون.

إنّ الاقتداء بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله بعد معرفة سيرته هی من أهم ما نُسأل عنها يوم القيامة؛ لأنّ الله تعالى يقول?: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فی رَسُولِ اللهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ?فكيف يتسنّى للمرء أن يقتدی ويتأسّی بالرسول صلى الله عليه وآله وهو لا يعرف سيرته وسنّته فی كيفية تعامله مع أصحابه أو مواجهة أعدائه، وكيف كان يتصرّف مع المنافقين، وكيف كان مع أسرته؟ وهكذا فی سائر المعاملات، فضلاً عن علاقته مع الله تعالى فی عبادته؟ وهكذا فی طريقة أكله وشربه ونومه ويقظته وصلاته وصيامه، وجميع فعاله وخصاله.

لاشكّ أنّ ما وصلنا من تاريخ النبی صلى الله عليه وآله وسيرته قليل جدّاً، بل لعلّی أستطيع القول إنّه لو جمعتم كلّ ما فی كتب التاريخ والسير والآثار وغيرها لما حصلتم على معشار سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله. لكن مع ذلك ينبغی لنا أن نصمّم على الاقتداء به صلى الله عليه وآله فی كلّ ما وصلنا مهما قلّ قياساً بما لم يصلنا.

•لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله قمّة فی الأخلاق حتى أنّ الله تعالى مدحه فی قوله عزّ وجلّ?: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم.?

•رغم أنّ القرآن الكريم قد صرّح فی مورد واحد قد يكون استثنائياً بخيار ضرب المرأة، إلا أنّه لم يُسمع أنّ النبی صلى الله عليه وآله قد صدر منه هذا الفعل بحقّ أیّ من زوجاته التسع، مع أنّه كانت فيهن من هی من خيرة نساء العالمين كخديجة سلام الله عليها، وكان منهنّ المتوسطات فی الفضل، وكان فيهن من تظاهرت عليه، على ما صرّح به القرآن الكريم فی آيات عديدة، منها قوله تعالى?: وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ?أی تشدّ إحداكما ظهرها بالثانية فتتآزران ضدّه صلّى الله عليه وآله?، فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ. ?ومع كلّ ذلك لم يُنقل أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله استعمل الضرب مع أیّ من زوجاته ولا مرّة واحدة.

•ثَمّ كتاب لكاتب مسيحی طالعته قبل أكثر من عشرين سنة، أرّخ فيه لأعظم مئة شخصية فی التاريخ على زعمه. وذكر فی المقدّمة أنّه رتّب الشخصيات حسب الأهمية، فالشخصية الأولى فی كتابه هی أعظم الشخصيات فی نظره على الإطلاق. ولكن الملفت للانتباه أنّه أورد اسم السيّد المسيح بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله! وعندما سئل عن السبب مع كونه رجلاً مسيحياً، قال: أنا لم أرتّب التسلسل حسب عقيدتی بل حسب أهميّة الأشخاص ونجاحهم، وإنّی أری أنّ محمداً أعظم من السيّد المسيح عليه السلام لأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله استطاع أن يبثّ فی أتباعه روحاً امتدّت عبر القرون المتعاقبة، وكلّما ضعف الإسلام فی الدنيا كان هناك أشخاص من أتباعه ممن اتّصلوا بتلك الروح العظيمة يقومون بتجديد الإسلام.

ولعلّ هذا يتطابق مع ما ورد فی الأحاديث النبوية كما فی قوله صلّى الله عليه وآله: يَحْمِلُ هَذَا الدِّينَ فی كُلِّ قَرْن عُدُولٌ يَنْفُون عَنْهُ تَأْوِيلَ الْمُبْطِلينَ وتحْرِيفَ الْغَالينَ وانْتِحَالَ الْجَاهلينَ كَمَا يَنْفی الْكِيرُ خَبَثَ الْحَديد.

إذاً ينبغی أن يتجسّد فينا معنى التأسّی الحقّ برسول الله صلى الله عليه وآله. والاجدر للمتأسّی برسول الله أن يتصرّف كما لو كان بين يدی رسول الله صلى الله عليه وآله يشهده ويراه، لا كما يحلو له وما تملی عليه شهواته أو كما توجّهه بيئته فيميل يميناً ويساراً، ولا أن يبتدع سلوكاً من عنده، بل عليه أن يطبّق سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله بحذافيرها.

روی أنَّ جَمَاعَةً منَ الصَّحَابَة كَانُوا قَد حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ النِّسَاءَ والإفطَارَ بالنَّهَار والنَّوْمَ باللَّيْلِ. فَأَخْبَرَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَسُولَ اللَّه صلّى الله عليه وآله، فَخَرَجَ إلى أَصْحَابه فَقَال: أ تَرْغَبُونَ عَنِ النِّسَاء؟ إنّی آتِی النِّسَاءَ وآكُلُ بِالنَّهَارِ وأَنَامُ باللَّيْلِ. فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِی فَلَيْسَ منّی.

لو عُرضت سيرة النبیّ صلى الله عليه وآله على العالم بنحو موضوعی جادّ، لأقبل عليها الملايين، لأنّ الناس فی الغالب غير معاندين.

وأكثر المعانـدين لم يكونوا كـذلك إلا على أثر غسل الدماغ الذى تعرّضوا له بسـبب الكمّ الهائل من المواضـيع المختلفة المدسوسة؛ ومسؤوليتنا تفرض علينا المساعدة فى تطهير هذه الأدمغة من تلك الرواسب العالقة بها.

نقل لى أحـد الأصـدقاء قال: وجّه شـخص عبر الشـبكة المعلوماتيـة (الإنترنت) نقـداً لاذعاً لبنـد من بنود الإسـلام، وترك عنوان بريـده (الإلـكترونى) للردّ عليه، وكـان نقـده مصـحوباً بـالسبّ والشـتائم، فـانبرى له أحـد المؤمنين فى الردّ عليه ردّاً علميـاً موضوعياً خالياً من التجريـح ومسـتنداً إلى المصادر. يقول راوى القصـة: فكتب الأول فى اليوم الثانى جواباً يبيّن فيه أنّه يعتذر عما بدر منه فى هذا المجال لأنّه كان قد تشوّش فكره بسبب تلك الإثارات الفاسدة، وأنه لم يكن يعرف الموضوع حقّ معرفته!

فما أكثر أمثال هؤلاء وما أعظم مسؤوليتنا فى هذا المجال!

لقد أسّس السيّد البروجردى رحمه الله مركزاً إسلامياً فى هامبورغ فى ألمانيا، وبعث مبلّغاً دينياً هناك. فطُلب من هذا المبلّغ أن يعطيهم صورة للسـيد الـبروجردى لعرضـها من خلال التلفزيون. ففكر المبلّغ أىّ صورة سـتكون مؤثّرة أكثر لو عرضت، وانتهى تفكيره إلى أن يعطيهم صورة السيّد وهو يتوضّأ؛ لما تعكس من خشوع السيّد حال تهيّئه للقاء الله تعالى فى الصلاة.

يقول هـذا المبلّغ: ما إن عرض هـذا الفيلم الـذى يصوّر وضوء السـيّد البروجردى حتى أثار فى نفوس المشاهـدين روح الحبّ والولاء، فأسلم فى اليوم نفسه عددٌ من النصارى ممن شاهدوا الفيلم.

فإذا كان هـذا تأثير مشاهـدة صورة وضوء السـيّد البروجردى وهو بمثابـة أصـغر تلميـذ للنبىّ الأكرم صـلّى الله عليه وآله فكيف بالتأثير الذى تتركه سيرة النبى صلّى الله عليه وآله فيما لو عرضت بصدقٍ على الناس؟!

فلنتزوّد بمعرفة السـيرة الصحيحة لنبىّ الإسلام بمقدار ما أوتينا من طاقة وإمكانات، ولنسعَ لإفهام الآخرين وتنويرهم بها؛ فإنّه لو عرضت السيرة الصحيحة لنبىّ الإسلام على العالم لغيّرت التاريخ برمّته. وما أسرع تغيّر العالم فى هذا الزمان!

نسأل الله تعالى أن يستعملنا بما يسألنا غداً عنه، وأن يوفّقنا للمزيد من معرفة سيرة النبى صلى الله عليه وآله والتأسّى به.

التفرّغ لعبادة الله تعالى

التفرّغ لعبادة الله تعالى

قال الإمام سلام الله عليه بعد ذلك: واستفرغ أيّامى فيما خلقتنى له.

الاسـتفراغ على وزن استفعال، والأصل فى هذا الباب الطلب أو ما يقع نتيجة الطلب، ولكن تقدم أنّه قد يستعمل بمعنى الثلاثىّ المجرّد، وقد ورد كثيراً هذا النحو من الاستعمال فى القرآن الكريم أيضاً، ويكون معناه يا إلهى أنت تولّ هذا الأمر واكفنيه.

والاسـتفراغ مشتقّ من الإفراغ، فكأنّ الإمام سلام الله عليه يقول: اللهم اجعل أيّامى فارغة من كلّ أمور الدنيا لملئها بما خلقتنى له. وهذا تعبير مجازىّ. فالإمام سلام الله عليه يشبّه الأيّام بالإناء الذى تفرّغه من محتوياته من أجل أن تملأه بما تحبّ.

وهذه الجملة ليست تكراراً للجملة السابقة، أى قوله سلام الله عليه: واستعملنى بما تسألنى غداً عنه؛ وذلك للأمور التالية:

١. اختلاف الظهور بين الجملتين.

٢. ظهور واو العطف فى الاثنيّة؛ توضيحه: إذا قيل: جاء زيد وأبو عمرو، فالمتبادر أنّ شخصين جاءا أحدهما زيد والآخر أبو عمرو، فهـذا هو الاسـتعمال الحقيقى للواو، ولا يقال إنّ الجائى واحـد إسـمه زيـد وكنيته أبو عمرو إلا أن يكون مجازاً وليس اسـتعمالاً حقيقياً. وهنا أيضاً طلبان عطف الإمام فيهما الثانى على الأوّل بالواو، فقال سـلام الله عليه أوّلاً: اسـتعملنى بما تسألنى غداً عنه، ثمّ عطف الطلب الثـانى فقال: واسـتفرغ أيّامى فيما خلقتنى له. وإذا كان واو العطف يفيـد الاثنيّة، أى له ظهور فيها، فالظاهر أنّ الإمام سـلام الله عليه أراد هنا أمرين، فلا تكرار فى البين.

۳. إنّ السؤال لا يكون إلا عن الواجبات والمحرّمات، أمّا فيما عداهما فقد يكون هناك إستفسار، هذا أوّلاً، وثانياً: قوله سلام الله عليه فيما خلقتنى له، أعمّ من الواجبات والمحرّمات، فيكون معنى هذه الجملة كالتالى: (يا إلهى أنت خلقتنى فى هذه الدنيا لهدف ما، فأفرغ أيّامى له)، فيما يكون معنى الجملة السابقة: (ياإلهى إنّك ستسألنى يوم القيامة عن أمور، فاجعلنى فى هذه الدنيا عاملاً لها ملتزماً بها).

الهدف من الخلق

إذا كان الإمام سلام الله عليه يعلّمنا أن نسأل الله تعالى أن يفرّغ أيّامنا فيما خلقنا له، فما هو الهدف الذى خلقنا الله من أجله؟

يقول الله تعالى فى محكم كتابه?: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ؛ ?إذن الهدف من خلقنا هو عبادة الله تعالى. وعبادة الله تعالى تتحقّق من خلال الامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه. ومن المعروف لدى الفقهاء أنّ الأوامر الإلهية منها ما هو واجب الامتثال على العبد، ويعاقب تاركه، ومنها ما هو مستحبّ، أى ندب إليه الشرع، فهو مرغوب شرعاً ولكن لا يعاقب الشارع على تركه. وهكذا النواهى الشرعية فمنها ما يجب على المكلَّف اجتنابها ويعاقب إن ارتكبها، وهى التى تسمّى المحرّمات، ومنها ما لا يعاقب الشرع من أتى بها وإن كانت غير مرغوبة لديه وهى التى يصطلح عليها بالمكروهات.

ومن الواجبات الشرعية الأمر بالمعروف، أى الأمر بما رغب الشرع فيه، والنهى عن المنكر، وهو ما أنكره الشرع. وهذان الواجبان من الواجبات المهمّة والعظيمة فى الإسلام، ولا خلاف فى أصل وجوبهما.

ولكن وقع بحث بين الفقهاء مفاده: هل المقصود بالأمر بالمعروف هو الأمر بالواجب من المعروف فقط دون المستحبّ منه؟ وهكذا النهى عن المنكر بحيث لا يجب النهى عن المنكر المكروه أيضاً، ويقتصر الوجوب على النهى عن المنكر الحرام؟

شكّك بعض الفقهاء فى إطلاق المسألة، وقالوا: إذا كان الأمر بالمستحبّ والنهى عن المكروه من باب حثّ الفرد وترغيبه فى أداء العمل المستحبّ وثنيه عن العمل المكروه فقط فهما مستحبّان لاشكّ فى ذلك، أمّا إذا كانا الأمر والنهى من باب بيان حكم من أحكام الله تعالى، فقد يدخلان فى الوجوب.

فمثلاً: اذا كان شخص عالماً باستحباب صلاة الغفيلة أو صلاة الليل، ولا يؤدّيهما تثاقلاً، فأمره بهما مستحبّ كما هو واضح، وهكذا نهى من كان عالماً بكراهية فعل من الأفعال، ولكن قد يجب الأمر والنهى برأى بعض الفقهاء إذا كان الآمر بالمستحبّ أو الناهى عن المكروه فى موقع بيان أحكام الله تعالى وتعريفها للذين يجهلونها.

ولأصحاب هذا الرأى أدلّتهم فى هذا المجال وليس هنا محلّ بحثها، ولكنى ذكرتها استطراداً فى بيان أنّ الهدف من خلقنا هو عبادة الله تعالى، وهذا أعمّ من أن تكون هذه العبادة امتثالاً لواجب أو مستحبّ أو انتهاء عن حرام أو مكروه، لاشتمالها على كلّ ما أمر الله أن يؤتى به سواء كان أمراً بواجب أم مستحبّ، أو كان نهياً عن محرّم أم مكروه.

ولذلك عقّب الإمام عليه السلام بقوله: واستفرغ أيّامى فيما خلقتنى له.

أفضل العبادة

روى البزنطى أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال: أفضل العبادة إدمان التفكّر فى الله وفى قدرته.

لاشكّ أنّ المقصود فى الرواية بالتفكّر فى الله تعالى هو التفكّر فى قدرته عزّ وجلّ، فإنّ التفكّر فى ذاته فضلاً عن النهى عنه شرعاً لا يوصل إلى نتيجة ولا يزيد صاحبه إلا ضلالاً، وذلك لأنّ المحاط به لا يمكن أن يحيط بمحيطه كما هو الحال فى المسائل المادّية، ويمكن تقريب الأمر إلى الذهن بمثال الإناء، فهل يمكن لمحتواه أن يحيط بمحيطه الخارجى؟!

إذاً المقصود بالتفكّر فى الله تعالى هو التفكّر فى صفاته الثبوتية والسلبية، بمعنى التفكّر فى عظمته تعالى.

وهذه الرواية تنسجم مع الروايات الكثيرة التى تقول: لَيسَ الْعبادةُ كَثْرةَ الصِّيام والصَّلاة وإنَّمَا الْعبادةُ الْفكْرُ فى اللَّه تَعالى.

ثمّ إنّ الرواية المتقدّمة فى كون «الإدمان على التفكّر أفضل العبادة» ناظرة الى العبادات المستحبّة إذا حصل بينها تزاحم، ولا تصل النوبة الى العبادات الواجبة ومنها الصلاة المفروضة بحال. نعم اذا حصل تزاحم بين أداء صلاة مستحبّة والتفكّر فى الله فالتفكّر مقدّم لأنّه أفضل العبادات المستحبّة.

على أنّ التفكّر لا يشترط فيه وقت كثير بل هو بحاجة إلى تركيز وتدبّر، فإذا كثر التدبّر والتركيز حصلت عند الإنسان ملكة تجعله يشعر بحضور الله تعالى دوماً، ولذلك روى أنّ أشدّ العبادة الورع.

بناء النفس والتفكّر فى الله عزّ وجل

الإنسان ضعيف ولكنّه لا يشعر بضعفه فيتكبّر ويتهاون بأحكام الله تعالى، فقد يترك ما أمر الله تعالى به أو يأتى بما نهى عنه سبحانه، ولكنّه إذا أدمن التفكّر فى جبروت الله وقدرته، استحضر حينها ضعف نفسه، وفى هذا مقدّمة لأن يسعى المرء فى سبيل أداء التكاليف الإلهية.

وعلى قدر معرفة الانسان بالله تعالى وقدرته يكون اهتمامه بأحكام الله، فالذى لا يبالى بالقيام لأداء فريضة الصبح مثلاً، غير متفكّر فى الله تعالى وقدرته، وإلاّ لشعر بحضوره ورقابته ولما استهان بأحكامه، وإلا فهل يعقل أن يشعر العبد بحضور مولاه ثمّ لا يكترث بما أراده منه؟!

إنّ التفكر فى الله عزّ وجلّ يؤدّى إلى تعزيز الشعور بحضوره تعالى لدى العبد، الأمر الذى يؤدّى بدوره إلى تغيّر سلوك الانسان وحالته، فيكون الأمر كما لو وُجّه إلى إنسان عادىّ سؤال فى مجال معيّن- ولنفرض الفقه أو الطبّ وكان قد حضر فى المجلس رجل متخصّص فى ذلك المجال، فقد يجيب الشخص على السؤال بسرعة إذا لم يكن يعرف من الحاضر فى المجلس، ولكنه ما إن يعرف الحاضر المتخصص حتى يظهر ذلك على سلوكه فيحاول أن لا يجيب لأنّه لا يرى نفسه أهلاً للإجابة على ذلك السؤال مع علمه بحضور من هو أعلى مرتبة منه، أو يدقّق كثيراً قبل أن يجيب، ملاحظة لذلك الإنسان المتخصّص. الحالة نفسها تصدق على انضباط الانسان إذا شعر بحضور الله تعالى، وهذا الشعور لا يتأتّى إلا بعد الإدمان على التفكّر فى قدرة الله سبحانه وتعالى.

إذا كان الفرد يشعر بأن الله تعالى موجود قيّوم حاضر عنده على الدوام، فإنّه لا شك سيغيّر وضعه ويدقّق فى أفعاله وأقواله ويتورّع قبل الاسترسال فيها لئلاّ يصدر عنه ما يخالف أوامر الله وهو الرقيب عليه.

أمثلة من الواقع

•نقل لى أحد الخطباء: كنت ذات يوم على المنبر وقد هيّأت نفسى للمحاضرة، وعندما شرعت بقراءة المقدّمة إذ دخل أستاذى الى المجلس، فاختلّ حينها عرضى للموضوع الذى أعددته، بسبب تهيّبى من حضور الأستاذ!

•وكان السيّد الوالد رحمه الله يحضر مجلساً لأحد الخطباء، فجاءه فى أحد الأيّام وكنت حاضراً عنده وقال له: سيّدنا أنا أتشرّف بحضورك مجلسى، ولكن أرى من الأفضل أن يتزامن وقت حضوركم مع نهاية المجلس حيث أكون قد دخلت فى فصل قراءة التعزية!

لاشكّ أنّ الخطيب يُسرّ إذا حضر مرجع التقليد مجلسه، ولكنّه فى الوقت نفسه يشعر بالتقيّد أيضاً، لأنّه قد يريد أن ينقل حديثاً أو يفسّر آية، أو يشرح مسألة فقهية أو يفصّل قضية عقائدية، فيشعر بالحرج والإرباك مخافة أن لا يكون كلامه مستدلاً بنحو صحيح.

النعم المادّية وسيلة اختبار ومقدّمات وجود

فى الوقت الـذى تعدّ فيه النعم الماديّة وسيلة لاختبار الإنسان ليُعرف أمفْرِط هو أم مفرّط، كذلك هى مقدّمات لابدّ من وجودها لكى يستطيع الانسان العيش فى هـذه الـدنيا وأداء وظائفه الموكلـة إليه، فيعبـد الله عزّوجلّ ويتعلّم أحكامه ويعلّمها الناس، فيـدرس ويدرّس ويعظ الناس ويؤلّف الكتب ويرتقى المنبر و ... الخ

إنّ الله سبحانه وتعـالى لم يخلق الانسـان فى هـذه الـدنيا من أجل الأكل والشـرب وسائر اللـذات الدنيويـة، وإنّما خلقه تعالى من أجل اختبـاره بها وجعلها مقـدّمات وجوديـة لأجل أن تمكّنه من أداء الأمور الأخرى التى خلقه الله تعالى لها، لكن الشـيطان يحاول دائماً أن يوقع الانسـان فى الإفراط أو التفريط ليفشـله فى الاختبار الإلهى بواسـطة عرقلته عن الاسـتفادة منها كمقـدّمات وجوديّة للعبادة، أى لا يستفيد منها بالنحو الصحيح، فيرتكب من خلالها المعاصى ويترك الطاعات.

فلننتبه جيّداً ولنحـذر وساوس الشـيطان ومكائـده، ونتعامل مع هـذه النعم على أنّها مقـدّمات لإيصالنا إلى النعم الأخرويـة الخالدة التى خلقها الله لعباده المؤمنين، ولنراعِ الدقّة فى قضايانا، وهذا معنى ما نُقل عن الإمام الصادق سـلام الله عليه أنّه قال لأصـحابه: فالطفوا فى حاجتى كما تلطفون فى حوائجكم.

فكمـا أنّ أحـدنا يلطـف فى سبيـل قضـاء حوائجه الدنيويـة، فيفكّر فى أفضـل طريق ويسـعى فى رفع الموانع والعوائق، ويـترك أعمـاله وأشـغاله ويتحمّـل أنواع المشاكـل والمشـاقّ فى سبيل ذلك، فلنكن كـذلك فى الاسـتجابة لإمامنا التى عبّر عنها بحوائجى، والتى هى حوائجنا الأخرويـة.

وَأَغْنِنى وَأَوْسِعْ عَلَىَّ فى رِزْقِكَ، وَلا تَفتنّى بِالنَّظَرِ

وَأَعِزَّنى وَلا تَبْتَلِيَنّى بِالْكِبرِ، وَعَبِّدْنى لَكَ وَلا تُفْسِدْ عِبَادَتى بِالْعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدِىَ الخَيرَ وَلا تَمْحَقْهُ بِالمَنِّ، وَهَبْ لى مَعَالِىَ الأَخْلَاق وَاعْصِمْنى مِنَ الفَخْرِ.

?الغِنى وسعة الرزق

?العزّة وعدم الابتلاء بالكبر

?العبادة وآفة العجب

?إجراء الخير بلا منّ

?معالى الأخلاق والعصمة من الفخر

الغنى وسِعةُ الرزق

الغنى وسِعةُ الرزق

وأغننى وأوسع علىّ فى رزقك.

الغنى ويقـابله الفقر، قـد اسـتعملا غالباً على لسان الأدعيـة والروايات لما هو الأصل فيهما، وهو غنى النفس وفقرها؛ فغنى النفس أصـل كلّ غنى وسببه، ومبعث غنى كلّ حواسّ الإنسان ومعقولاته، ولا خير فى غنى البدن إذا لم يصاحبه غنى النفس.

أمّـا السعة فى الرزق فهو جزئىّ أو مصـداق من مصاديق الغنى. ومن ثمّ فإنّ قول الإمام سـلام الله عليه أوسع علىّ فى رزقك فى المقام هو من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ، لأنّ الغنى أعمّ وأوسع.

أمّا احتمال أن يكون قوله «وأوسع علىّ» عطفاً تفسيرياً على وأغننى، وإن صحّ فى موارد أخرى فإنّه قـد لا يصحّ هنا كما يبـدو؛ لبعده عن مقـام البلاغـة والأـدب الرفيع لأهـل البيت سـلام الله عليهم؛ لأنّ الظاهر أنّ السؤال الأوّل للإمام هو فى غنى النفس، أمّا سؤاله الثانى فهو فى سـعة الرزق خاصّـة. والإمـام وإن كـان فى مقام الـدعاء، لكن من حيث إنّه إمام فهو فى مقام تعليمنا أيضاً، فهو يعلّمنا أن نطلب

من الله تعالى غنى النفس والسعة فى الرزق معاً؛ لما سيأتى أنّ الفقر ليس مطلوباً أو ممدوحاً لنفسه بل على الإنسان أن يسعى لدفعه عن نفسه ما أمكنه ذلك، أمّا إذا كان مقدّراً له من الله عُدّ حينها أمراً محبوباً، وفى ذلك وردت الروايات التى تمدح الفقر؛ فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: الفقر فقران: فقر الدنيا وفقر الآخرة، فقر الدنيا غنى الآخرة، وغنى الدنيا فقر الآخرة، وذاك الهلاك. وإذا كان الأمر كذلك فلا يهمّ المرء سواء كان مرزوقاً فى ماله أم فقيراً ما دامت نفسه غنيّة، فهو فى الحالين فى معرض الامتحان والابتلاء، وكلا الامتحانين صعب سواء كان فى الغنى أو الفقر.

هذا مضافاً إلى أنّ كلمة الرزق استعملت هى الأخرى فى الروايات للأعمّ من المال.

الغنى والفقر درجات

الغنى والفقر موضوعان مشكّكان بحسب الإصطلاح المنطقى أى لكلّ منهما مراتب مختلفة تبدأ بالضعيفة ثمّ تزداد وصولاً إلى أعلى المراتب.

عن عبد الله بن مسعود قال: دخلت أنا وخمسة رهط من أصحابنا يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أصابتنا مجاعة شديدة ولم يكن رزقنا منذ أربعة أشهر إلا الماء واللبن وورق الشجر؛ فقلنا: يا رسول الله إلى متى نحن على هذه المجاعة الشديدة؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا تزالون فيها ما عشتم فأحدثوا لله شكراً، فإنّى قرأت كتاب الله الذى أنزل علىّ وعلى من كان قبلى فما وجدت من يدخلون الجنّة إلا الصابرون.

فهذه مرتبة شديدة من الفقر بحيث لا يملك الفرد قوت يومه حتى فى أدنى مستويات المعيشة، وهناك مرتبة أضعف منها بأن يملك الإنسان قوت يومه ولكن بمستوى دان أو بمقدار لا يكفيه كما أنّ هناك مرتبة من الفقر يكون مستوى الفرد أحسن من سابقيه لكن لا يملك قوت سنته. فهؤلاء الثلاثة يطلق على كلّهم لفظ الفقير بالاصطلاح الشرعى وإن اختلفت مستوياتهم المعاشية. والشىء نفسه يصدق بالنسبة للغنى، لأنّ الفقر والغنى متقابلان كما هو واضح.

من هنا نلاحظ أنّ الإمام المعصوم مع أنّه متّصل بالله تعالى وهو مصدر الفيض والعطاء مهما أعطاه الله سبحانه من الغنى فى النفس فهو يطلب المزيد قائلاً: وأغننى، لأنّ الأمر لا يقف عند حدّ، فهناك مجال للمزيد، وعطاء الله تعالى ليس محدوداً أيضاً.

أجل، إنّ المعصومين سلام الله عليهم هم أكثر المخلوقات قاطبة استفاضةً لفضل الله تعالى فى مختلف المجالات والميادين، حتى قرنهم الله تعالى إلى نفسه فى إفاضة الفضل على الخلق أجمعين، فقال تعالى?: وَقَالُوا حَسبُنَا اللهُ سَيُؤْتينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ?وقال أيضاً?: وَمَا نَقَمُوا إلاّ أنْ أغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ?ومع ذلك، يرى الإمام المعصوم أنّه بحاجة إلى عطاء الله تعالى وإلى سؤاله المزيد واستزادته فى غنى النفس، وإن كان هو بالنسبة إلينا الأغنى والأرقى والأعظم والأعلى والأكبر والأقدر، وذلك كلّه قد تمّ لهم صلوات الله عليهم بفضل الله تعالى. فإذا كان هذا حالهم فكيف بسائر الناس؟

نكتة لغوية

من يدقّق فى كلمات أهل البيت سلام الله عليهم يكتشف الكثير من الدقائق واللطائف سواء فى الأدعية أو فى خطبهم ورسائلهم وفى سائر كلماتهم الأخرى.

ففى هذا المجال والذى عبّر عنه سلام الله عليه بالرزق، أرى من المناسب الإشارة إلى نكتة لغوية لطيفة، تتلخّص بأنّ الإمام لماذا لم يقل: «وسّع علىّ فى رزقك» وقال: أوسع علىّ فى رزقك؟

وفى الجواب نقول: إنّ من مبادئ علم الصرف فى صيغتى «فعّل» و «أفعِل» أنّ كليهما يستفاد منه لتعدية الفعل اللازم، ولكن علماء الأدب يقولون: إنّ الصيغتين تختلفان فى المعنى.

فأصل التوسعة يستفاد من باب الإفعال (أوسع) أمّا باب التفعيل (وسّع)، فيستفاد منه التكثير والزيادة وما أشبه فى الغالب.

فالمستفاد من كلمة (وسّع) يعنى زيادة التوسعة. أمّا أصل تحقيق السعة إن لم تكن أو كانت ولكن لندرتها الشديدة وكأنّها لم تكن فتفيدها كلمة (أوسع).

إذا اتّضحت هذه المقدمة نفهم لماذا قال الإمام سلام الله عليه: أوسع ولم يقل: وسّع، وهو أنّه سلام الله عليه يطلب الكفاف من الله تعالى فى الأمور المادّية، كما هو دأب أهل البيت سلام الله عليهم.

كما روى عن رسول اللهِ صلى الله عليه وآله أنّه قال: إِنَّ مَاقَلَّ وكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وأَلْهَى، اللَّهُمَّ ارْزُقْ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّدٍ الكَفَاف.

أما ما ورد فى أدعية أُخرى من السؤال بصيغة (وسّع)، فقد يشير إلى أنّ المعصوم سلام الله عليه كان يطلب السعة فى الرزق لأجل أن يستفيد منه لخدمة الدين وسائر الأمور الخيرية، كصلة الرحم ومساعدة الفقراء وما أشبه.

إنّ هناك موارد يدعو فيها الإمام المعصوم ويكون فى مقام الدعاء من قبل نفسه فقط، وهناك موارد يكون الإمام بصدد تعليمنا وإرشادنا أيضاً من قبيل تعليم الأئمة سلام الله عليهم المباشر لبعض أصحابهم، كقولهم سلام الله عليهم مثلاً: (قل بعد كلّ فريضة) وما أشبه، كما هو الحال فى بعض الزيارات. فثمّة زيارات أدّاها الإمام المعصوم للإمام الذى سبقه كزيارة الإمام السجّاد لأبيه الإمام الحسين سلام الله عليهما أو زيارة الإمام الصادق لجدّه الإمام أميرالمؤمنين أو الإمام الحسين سلام الله عليهم، وهناك زيارات علّموها بعض أصحابهم، فنقرأ فى رواية أنّ الإمام سلام الله عليه قال لأحدهم: زر بهذه الزيارة، وأمثال ذلك.

نكتتان بلاغيّتان

هناك نكتتان بلاغيتان فى قول الإمام، الأوّل قوله: وأوسع علىّ، فإنّ حرف الجرّ «على» يستعمل للضرر إلا لنكتة بلاغية، فكأنّ الإمام أشربه وضمّنه معنى الفوقية. فهو يصوّر نزول الرزق من الله تعالى وانصبابه على الإنسان وإحاطته به، كالرحمة التى مُثِّل لها بالمطر النازل من السماء حين يغمر الانسان الذى يقف تحته، وحيث إنّ سعة الرزق صادرة من الله تعالى فقد ضُمّنت وأشربت معنى الفوقية، ولذلك قال الإمام سلام الله عليه: وأوسع علىّ.

أمّا النكتة الأخرى فهى: لِم استعمل الإمام حرف الجر «فى» فقال: وأوسع على فى رزقك ولم يقل: من رزقك، كما فى أدعية أُخرى؟

الجواب: حرف الجر (مِن) إمّا تبعيضية أو بيانية. فلو رفعنا «فى» ووضعنا «مِن» مكانها، فإمّا أن يكون المعنى «أوسع علىّ بعض رزقك» أو «أوسع علىّ رزقك» لأنّ وجود (من) فى الحالة الثانية يكون وجوداً لمحيّاً أو لجمال التعبير، أمّا من حيث المعنى فوجوده وعدمه سواء.

أمّا مع وجود (فى) فكأنّ الرزق جُعل ظرفاً ووعاء يعيش فيه الإنسان، والإمام سلام الله عليه يطلب من الله تعالى أن يوسّعه عليه، فلو كان متراً مربّعاً مثلاً يجعله مترين، ولو كان ثلاثة يجعله عشرين وهكذا. وهذا أبلغ مما لو قال: «من رزقك».

وهكذا يتبيّن لنا أنّ الأئمة سلام الله عليهم مع أنّهم كانوا منصرفين كُلّ الانصراف إلى الله سبحانه وتعالى، خاصّة عند مناجاتهم معه، نراهم فى الوقت نفسه لا تفوتهم هذه الدقائق البلاغية، دون أن تصرفهم عن توجّههم إلى الله عزّ وجلّ. وكيف لا يكونون كذلك وهُم أمراء الكلام وأرباب البلاغة، كما أنّ شعورهم بحضور الله تعالى لا يختلف ولا يتخلّف، إلا أنّنا بحاجة إلى تأمّل وتفكّر من أجل الالتفات إلى هذه الدقائق والتدبّر فى مضامينها.

دواعى الفقر

تطالعنا روايات كثيرة تمدح الفقر وأُخرى تذمّه، وإن كان هذا يبدو تناقضاً أو تعارضاً للوهلة الأولى، إلا أنّه بلاشكّ لا تناقض ولا تعارض فى البين لأنّ الموارد تختلف.

فهناك كثير من الآيات والروايات التى تحثّ وتندب وأحياناً توجب وتفرض على الإنسان السعى والعمل من أجل الحصول على الرزق، وأن يعمل الناس ليكسبوا أرزاقهم، كلّ حسب سعته ومقدرته، الأمر الذى يكشف أنّ الفقر فى أصله مذموم، لأنّ السعى والعمل يوجبان تحديد الفقر أو طرده.

أمّا إذا بذل الفرد كلّ ما بوسعه ولكنّه مع ذلك لم يغنَ، إمّا لضعف مواهبه وإمكاناته أو لأمور أُخرى مقدّرة أبقته فقيراً، فهذا الفقر ليس مذموماً البتّة، وهو مورد الروايات التى يُفهم منها المدح.

أمّا إذا قصّر الفرد فى السعى ولم يخرج إلى العمل وبقى فقيراً لذلك، فهذا هو الفقر المذموم، الذى قيل عنه أنّه: سوادٌ فى الدارين، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ملعون من ألقى كَلّه على الناس. وهناك رواية أُخرى فيها توكيد: ملعون ملعون من ألقى كَلّه ...

نُقل أنّ أحد العلماء مرّ بفقير مفترشٍ الأرض يستعطى الناس، فقال له: مدّ يدك لأعطيك مقداراً من المال، فمدّ الشخص يده واستلم المال. فقال له العالِم: مدّ يدك الأخرى واستلم مقداراً آخر، ومدّ الشخص يده الأخرى واستلم المال. ثمّ قال له العالِم: هناك مقدار آخر، مُدّ إحدى رجليك لأناوله لك. وهكذا فعل المستعطى. ومرة أُخرى طلب العالِم منه أن يمدّ رجله الأخرى وأعطاه مقداراً آخر. وأخيراً قال له: قم وقف على قدميك وتقدّم نحوى لأُناولك آخر ما تبقّى من المال. وهكذا كان. وهنا توجّه العالِم إليه وقال له: إذا كانت يدك اليمنى سالمة ويدك اليسرى كذلك، وهكذا قدماك وبدنك، فلماذا تستعطى إذاً؟ اذهب وكدّ فى طلب الرزق!

قال الإمام الباقر سلام الله عليه: سأل موسى عليه السلام ربّه: أىّ عبادك أبغض إليك؟ فقال: جيفة بالليل بطّال بالنهار.

ويمكن أن يكون لهذا الحديث مصاديق متعدّدة المراتب فليس الأمر دائراً بين الوجود والعدم فقد يكون من المصاديق من هو كلّ الليل جيفة وكلّ النهار بطّال، فلا تأمّل عنده ولا استغفار ولا تفكّر فى الليل، ولا كسب ولا عمل ولا جهاد فى النهار، وهذا أبغض المراتب. ومنهم من هو بعض الليل جيفة وبعض النهار بطّال.

إنّ الراحة مطلوبة للإنسان سواء فى الليل أو فى النهار، كما فى الحديث النبوىّ الشريف: وإنّ لنفسك عليك حقّاً. وهذه الراحة بالمقدار المطلوب لا تعدّ من البطالة أصلاً بل هى مطلوبة للتقوّى بها على العمل والعبادة. أمّا ما عدى ذلك فلا ينبغى للإنسان أن يضيّع حتى دقيقة واحدة من حياته.

عَنْ زُرَارَةَ قَال: إنَّ رَجُلاً أَتَى أَبَا عَبْدِ الله الصادق عليه السلام فَقَال: إنِّى لا أُحْسنُ أنْ أَعْمَلَ عَمَلاً بيَدى ولا أُحْسنُ أنْ أَتَّجرَ وأَنَا مُحَارَفٌ مُحْتَاجٌ. فَقَال: اعْمَلْ فَاحْمِلْ عَلى رَأسك (أى اعمل حمّالاً) واسْتَغْنِ عَنِ النَّاسِ.

فالفقير الذى لا يعمل وهو قادر على العمل هو الذى يقال عن فقره أنّه: (سواد فى الدارين) أمّا أولئك الذين لا يتكاسلون ولا يتقاعسون عن الجدّ والاجتهاد والسعى والعمل، وهم مع ذلك فقراء فأولئك المقرّبون عند الله تعالى ويدخلون الجنّة قبل الأغنياء فى يوم القيامة.

روى أنّ النبى صلى الله عليه وآله دعا فقال: اللهم إنّى أعوذ بك من الكفر والفقر. فقال رجل: أيعدلان؟ قال صلى الله عليه وآله: نعم.

إذاً الفقر فى نفسه مذموم لدرجة أنّ النبى صلى الله عليه وآله يتعوّذ منه ويقرنه بالكفر فى دعاء واحد، ومنه يظهر أنّ الفقر قد يؤدّى إلى الكفر، كما فى الحديث النبوىّ الشريف: كاد الفقر أن يكون كفراً.

لابدّ من السعى والتوكّل معاً

قد يقال: لماذا قال الإمام سلام الله عليه: «رزقك»، ولم يقل: «رزقى»؟

نقول: الرزق مصدر، والمصدر قد يضاف إلى فاعله وقد يضاف إلى مورده. فإن قلنا «رزقك» فمعناه الرزق النازل منك، أى من الله تعالى، وإن قلنا «رزقى» فمعناه الرزق الواصل إلىّ.

وهنا علاقة تضايف، فإذا قلنا «رزقي» فلا بدّ أن يتصوّر مَن صدر عنه الرزق وهو الله تعالى، وإن قلنا «رزقك» فلا بدّ أيضاً من تصوّر من ينزل الرزق إليه، وهو العبد. ولذلك نلاحظ ورود التعبيرين كليهما في الأدعية.

وعندما يرد تعبير (رزقك) فإنّما يراد الإلفات إلى أنّ الله تعالى هو مصدر الرزق وهو الذي بيده كلّ شيء، فيلحّ العبد في الدعاء ويطلب من الله أن يوسّع رزقه إن كان العبد مقتراً، وأمّا عندما يرد لفظ «رزقي» فإنّما يشير إلى الحصّة الخاصّة بالمرزوق، وقد يكون في ذلك لمح إلى وجوب السعي والجدّ والاجتهاد؛ لأنّ طلب الرزق كسائر الأمور لا بدّ له من الركنين معاً: السعي؛ استناداً لقوله تعالى?: وَأَنْ لَيْسَ لِلاْنْسَانِ إِلاّ مَا سَعَى ?والدعاء والتوكّل على الله؛ لقوله تعالى?: قُلْ مَايَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ.?

لاشكّ أنّ الدعاء وحده لا يكفي بل لا بدّ من السعي معه، كما أنّ السعي وحده غير مضمون النتائج، فلا بدّ من السعي والدعاء معاً، كما أمر الله تعالى بهما.

أجل، إذا سعى الإنسان في رزقه ولم يكن بطّالاً، حينها سيجعل له الرحمن من أمره يسراً، ما دام في طاعته دون أن يمدّ عينيه إلى ما متّع الله غيره بنعم الحياة الدنيا والمال الوفير، ولا يتحسّر ولا يأسى بل يرضى بما قدّر الله تعالى وكتب له، وإن أبطأ عنه بالإجابة يذعن ويسلّم؛ لعلم الله تعالى بعواقب الأمور، ممتثلاً لقوله تعالى?: لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ.?

وخلاصة القول: إنّ غنى النفس هو الأساس، ومن حاز عليه في مراتبه العليا فقد حصل على كلّ شيء، وانفتح له باب كلّ خير في الدنيا والآخرة، وإن كان هذا الأمر بالغ الصعوبة إلا أنّه ممكن تحقّقه.

العزّة وعدم الابتلاء بالكبر

العزّة وعدم الابتلاء بالكبر

إنّ العزّة والكبر هما من حالات النفس الإنسانية التي تظهر على جوارح الإنسان في سلوكه. وإظهار الكبر يسمى تكبّراً، كما في اللغة. والكبر والتكبّر مذمومان، أمّا العزّة فمحمودة ويقابلها الذلّ وهو مذموم أيضاً.

والعزيز من أعزّه الله تعالى، ولذلك يقول الإمام سلام الله عليه: «وأعزّني». أي إلهي أطلب العزّة منك.

العزّة والذلّة مسألتان دقيقتان كبقية المسائل النفسية، فما هو ملاكهما؟ هل يُعدّ أخذ المال من الغير مثلاً عزّة أم ذلّة؟ إنّ الملاك لكليهما يكمن في الموضع الذي يضع الإنسان فيه نفسه؛ فإمّا أن يكون مورد عزّة وقد يكون مورد ذلّة، فليس بوسعنا أن نحكم دوماً على عمل ما بأنّه مصداق للعزّة أو الذلّة ما لم نعرف نيّة المرء فيه. فإن كانت لله تعالى فهي عزّة، وإن كانت لغير الله كانت ذلّة. فالعبودية لغير الله ذلّة ما دونها ذلّة، أمّا العبودية لله تعالى فهي أعظم عزّة، فإنّ الذليل من لم يكن عبداً لله تعالى.

روى عن عامر الشعبي أنّه قال: «تكلّم أمير المؤمنين سلام الله عليه بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالاً، فقأن عيون البلاغة وأيتمن جواهر الحكمة، وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهنّ، ثلاث منها في المناجاة، وثلاث منها في الحكمة، وثلاث منها في الأدب، فأمّا اللاتي في المناجاة فقال: إلهي كفى لي عزّاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي ربّاً.

وفي هذا دلالة على أنّ العزّة كلّ العزّة في عبوديّة المرء لمالك الملك، والارتباط الحقّ بالله عزّوجلّ.

العزّة والدخول تحت القدرة

روى عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أيضاً أنّه قال: كلّ عزيز داخل تحت القدرة فذليل.

فمن كان محكوماً لقدرة الغرائز في نفسه فقد شمله الذلّ وإن كان يتظاهر بالعزّة، وما العزّة التي يتسمّى بها إلا قشرة ظاهرية ولكنّه في الحقيقة ذليل لأنّه أسير شهواته، لا فرق في ذلك بين شهوة المال أو البطن أو الفرج أو حبّ الظهور أو غيرها من الشهوات.

أمّا الذى لا يرى القدرة إلا قدرة الله تعالى، فهذا له العزّة بعينها، وهكذا ما يرتبط بالله تعالى كأهل البيت سلام الله عليهم؛ لأنّه يقود إلى عبوديـة الله تعالى، بل هكـذا الأمر أيضاً فيمن يقوم بتلبيـة حاجاته المادّية كالأكل والسـكن، فيما إذا كان منطلقه إلهياً سواءً كان ذلك من بـاب الوجوب، أى اسـتجابة لأمر إلهى يُعاقِب على تركه، أو الاسـتحباب، أى الاسـتجابة لأمر يحبّه الله مطلقاً ويسـعى من خلاله الى مرضاة الله تعالى، أمّا الاسـتجابة للشـيطان والنفس الأمّارة بالسوء فلا يمكن أن تكون عزّة أبداً، لأنّها ليست ترفّعاً بل هى انحطاط وذلّة! لما ورد فى الحديث: من تواضع لغنىّ لأجل غناه ذهب ثلثا دينه.

إذاً، النيّة هى التى تمنح العمل هويّته، ولذلك ورد فى الحديث الشريف: إنّما الأعمال بالنيات.

أمّا إذا تواضع المرء لغنىّ لغرض أن يوجّهه ويرشـده لأن يبـذل ماله وجاهه فى أمور الخير، فهـذا ليس مصـداقاً للذلّة بل هو عزّة أيضاً، وقد يجب إذا كان من باب مقدّمات الوجود، كما عبّر عن ذلك الفقهاء رضوان الله تعالى عليهم.

هيهات منّا الذلّة

من يكن قريباً من أهل البيت سـلام الله عليهم وتوجّهاتهم يـدرك أنّ مواقفهم كلّها عزيزة لأنّها فى طاعة الله تعالى أبداً، فموقف الإمام الحسن سـلام الله عليه كان يمثّل عين العزّة مع أنّه أغمد سيفه ولم يخرج كما خرج أخوه الإمام الحسين سلام الله عليه، وقد أخطأ كُلَّ الخطأ من خاطب الإمام الحسن سـلام الله عليه بقوله: «يا مذلّ المؤمنين»؛ لأنّ الامام سلام الله عليه كان يتأسّى بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله حين كتب المعاهدة بينه وبين المشركين حتى اضطرّ فيها إلى كتابة اسمه الشريف دون وصفه الكريم.

والإمـام الحسـين سـلام الله عليه أيضـاً وأهل بيته وأصـحابه تعرّضوا إلى أنواع الأذى النفسـى، وتعرّضوا للسبّ والشـتم و ... ومع ذلك يقول الإمام الحسـين سلام الله عليه: قد ركز (أى يزيد) بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة. وهذا معناه أنّ كلّ ما تعرّض له الإمام سلام الله عليه وأصحابه لم يكن ذلّة بل كان عزّة.

فلو بـايع الإمـام سـلام الله عليه عامِل يزيـد على المدينـة باعتبـاره نـائب يزيـد، لما عرّض نفسه للقتل ولا جرى على أهل بيته ما جرى، ولأغـدق عليه الكثير من الأموال والأمور الدنيويـة، ولكن الإمام كان يرى أنّ هذه البيعة بحدّ ذاتها ذلّة، لانصـبابها فى سـخط الله تعالى وغضبه، فتحمّل هو وأهل بيته وأصحابه ما تحمّلوا ولم يرضوا بالذلّ.

لقد رضـى الإمام سلام الله عليه أن يعلوَ صدره الشريف شخصٌ دنىء مثل شمر ولم ير ذلك ذلاًّ، بل كان يراه عين العزّ مادام فى طاعة الله تعالى، على العكس من الرضوخ ليزيد، فكان الإمام سلام الله عليه يراه عين الذلّة، وإن كانت فيها دنيا، والذلّة بعيدة بذاتها عن أهل البيت سلام الله عليهم، ولذلك قال الإمام: هيهات منّا الذلّة. أى بعيدة عنّا.

إذاً لاـ يمكن أن نحكم على عمـل واحـد أو عملين متشـابهين صـدرا فى موقفين بأنّهما عزّة فى الموقفين أو ذلّـة فيهما دائماً، بل ينبغى معرفة خصوصيات كلّ منهما.

لقد كان موقف الإمام الحسن تمهيداً لنهضة الإمام الحسـين عليهما السـلام، فكانت معاهدة الإمام الحسن سلام الله عليه عزّة كما كانت ثورة الإمام الحسين سلام الله عليه ونهضته عزّة، لأنّ منطلقهما كان واحداً وإن اختلفا ظاهراً.

أبو ذر مثالاً على عزّة النفس

روى أنّه بعث عثمـان بن عفـان إلى أبى ذرّ بِصـرّة على يـد عبـد له وقـال له: إن قبلها فأنت حرّ. فلم يقبلها؛ فقال: إقبلها فإنّ فيها عتقى. فقال: إن كان فيها عتقك، فإنّ فيها رقّى، وأنا قطعت علائق الدنيا لئلاّ أكون عبداً لغير الله.

أمثلة على المفهوم الخاطئ للعزّة

أعرف شخصاً كان من أهل العلم فى بداية شبابه، ولكنّه ترك طلب العلم واتّجه إلى عمل آخر، لأنّه كان من أقرباء أحد مراجع التقليد فى عصره. ولم يكن على خلاف معه، بل كان من مقلّديه ومن المعتقدين بأعلميته وعدالته وكان يدرس عنده ولكنّه كان يقول - كما نقل لى بعض أبنائه -: إنّ عزّة النفس تمنعنى من استلام الراتب الشهرى من هذا المرجع، فكيف يكون هو المعيل لى وهو ابن عمى؟!

لقد غيّر الرجل طريقه فى الحياة، وكان من الممكن أن يصبح مجتهداً فى يوم ما أو مرجعاً يهتدى بعلمه الألوف، أو على الأقلّ خطيباً أو مدرّساً أو مبلّغاً أو رجل دين على مستوى قرية يهتدى بواسطته العشرات من الناس؛ روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: ياعلىّ نوم العالم أفضل من عبادة العابد الجاهل...

فالابتعاد عن فكر أهل البيت سلام الله عليهم وعدم الفهم الصحيح لمعنى العزّة والذلّة وفق مدرستهم سلام الله عليهم قد يُخسر الإنسان الكثير إن لم يُخسره آخرته.

إنّ العزّة ليست فى ترفّع الإنسان عن أقربائه وعشيرته، بل هى العبودية المطلقة لله تعالى ومعرفة ما هى الواجبات وما هى المستحبّات والعمل بهما، وما هى المحرّمات وما هى المكروهات والابتعاد عنهما؛ لأنّ الذلّة تتحقّق فى الإتيان بما يُسخط الله تعالى.

والعزّة بعد ذلك كالطاقة إن لم تؤطّرها بالإطار الصحيح تنقلب وبالاً عليك، فإنّك لو أطّرت الطاقة الكهربية بالإطار الصحيح ووظّفتها بالشكل المناسب استفدت منها فى مختلف أنحاء الحياة، أمّا إذا لم تضعها فى إطارها الصحيح وأهملت كيفية استخدامها فقد تقتلك.

وآفة العزّة الكبر لأنّ فيها ميلاً واقتضاءً قويّاً لذلك ما لم تُضبَط، ولذلك عقّب الإمام زين العابدين سلام الله عليه فى دعائه بقوله: ولا تبتلِيَنّى بالكبر.

كما أنّ العزّة فرض على المؤمن، كما فى روايات مستفيضة بل متواترة منها: ما روى عن الإمام أبى عبد الله الصادق سلام الله عليه أنّه قال: إنّ الله عزّ وجلّ فوّض إلى المؤمن أموره كُلّها ولم يفوّض إليه أن يُذلّ نفسه، ألم تسمع لقول الله عزّوجلّ?: وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ?فالمؤمن ينبغى أن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً. يُعزّه الله بالإيمان والإسلام.

فالمؤمن لا ينبغى له أن يذلّ نفسه من أجل متاع الدنيا وزخرفها، ومن كان خاضعاً لهواه أو لقوّة أخرى من أجل بلوغ شىء ما ظنّاً منه أنّه العزّة، ينبغى له أن يخرج نفسه من هذه الحالة لئلا ينخدع، وليعلم أنّها الذلّة بعينها.

وهكذا هو حال من يتجاوز الحدود التى فرضها الله تعالى، يظنّ نفسه عزيزاً لكنّه الذليل ولا يعلم، فتراه مثلاً يفتخر بأنّه ضرب فلاناً لأنّه قال له قولاً أغاظه، مع أنّ الإنسان لا يحقّ له أن يضرب شخصاً لمجرّد أنّه تكلّم عليه، ولكنّ لهيب النفس غير المؤطّرة بالتواضع لله تعالى أشدّ من لهيب الشمس!! فإذا كانت الزيادة فى لهيب الشمس قد تودى بحياة بعض الناس، فقد يموت شخص وهو فى الخمسين من عمره بسببها، وكان مقدّراً له أن يعيش سبعين لولا إصابته بها، فإنّ اللهيب المنبعث عن النفس البشرية قد يؤدّى إلى إتلاف ملايين السنوات من عمر الإنسان فى نار الآخرة.

حاجة العقل لنور الوحى

إنّ العقل مخلوق محدود، وخالقه وحده الذى يعلم حاجاته وأنه لكى ينمو ويسمو يحتاج إلى المدد منه تعالى، والاستنارة بمن بعثهم سبحانه سواء بعثة مباشرة كالأنبياء عليهم السلام أو بعثة غير مباشرة وهم الأئمة المعصومون سلام الله عليهم ومن هنا نرى الإمام زين العابدين سلام الله عليه فى هذا الدعاء وفى غيره من الأدعية يعلّمنا ويدعو بنفسه طالباً من الله تعالى أن يعزّه، لأنّ الشعور بالافتقار إلى الله تعالى هو قمّة العزّة ورأس الغنى، وليس يكفى أن يكون الشخص رئيساً قويّاً مطاعاً أو تاجراً ناجحاً أو مدرّساً مشهوراً أو خطيباً مفوّهاً، ما لم يشعر من أعماقه بأنّه محتاج إلى الله تعالى. فإن لم يشعر الإنسان بذلك فهو لا يعدو أن يكون ذليل المنصب أو المال أو العلم أو الأدب أو المكانة الاجتماعية، لأنّه بلاشك يكون داخلاً تحت قدرة إحدى هذه الأمور أو غيرها.

ولا تبتلِيَنّى بالكبر

الابتلاء قد يكون بمعنى الاختبار، وقد يكون بمعنى المحنة والبليّة، ولا يختلف المعنييان كثيراً؛ لأنّ أحد المعنيين سبب والآخر مسبّب.
هناك حالات كثيرة يتصوّر الإنسان فيها أنّه يتصرّف بدافع العزّة مع أنّه كِبر فى الحقيقة.
أذكر الحادثة التالية توضيحاً لذلك:
كنّا مجموعة من الطلبة ندرس عند أحد الأساتذة، فدار فى أحد الأيّام نقاش علميّ بين الأستاذ وأحد التلاميذ توفّيا كلاهما رحمهما الله تعالى واشتدّ النقاش، فاحتدّ الأستاذ وغضب، فتفوّه بكلمة غير مناسبة بحقّ الطالب. وإذا بالطالب يطوى كتابه ويقول للأستاذ: ما دمتُ هكذا فى نظرك فإنّى سأودّع الدراسة إلى الأبد.
وبالفعل ترك هذا الرجل الدراسة بسبب كلمة غير مناسبة صدرت من أستاذه بحقّه. فهل هذا التصرّف يعبّر عن عزّة أم كبر؟ لا شكّ أنّه من الكبر، وإلا فكيف يمكن لمن يعتقد بأهمّية الدراسة وطلب العلم وأفضليّته أن يتصرّف هكذا ويتّخذ قراراً بهذه الخطورة، فيغيّر مسيرة حياته العلمية بسبب حدّة أو كلمة قاسية؟!
كلّنا معرَّضون لمواقف من هذا القبيل، ولذا ينبغى لنا أن نأخذ مفاهيم العزّة من أهلها ومصداقها الأعلى أهل البيت سلام الله عليهم لئلا تضيع حياتنا الآخرة بسبب موقف تافه والعياذ بالله.

الاعتبار بما جرى لعلماء السوء

لقد كان بلعم بن باعورا عالماً بلغ مرحلة من العلم بحيث قال عنه الله تعالى?: الَّذى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ?والجمع المضاف (آياتنا) ظاهر فى العموم كما يقول علماء الفقه والأصول، وإن كان ربما العموم هنا نسبيّاً.
ولكن الله تعالى يقول عنه فى الآية نفسها?: فَانْسَلَخَ مِنْهَا. ?وهذا تشبيه بلاغىّ عظيم أى الآيات ويعنى بها العلوم صارت بالنسبة له كالقشرة أو الجلد، أرأيت كيف يُسلخ جلد الشاة؟!
ثمّ يقول الله تعالى عنه بعد ذلك?: فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ. ?وهذا معناه أن بلعم بن باعورا هو الذى بدأ الانحراف ثمّ زاده الشيطان فى ذلك لابتعاده عن الله تعالى، وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وآله: من ازداد علماً، ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً.
فإذا كانت هذه عاقبة ابن باعورا رغم علمه، بسبب كبره أو ما اعتبره خطأً عزّة، وليست كذلك، فكيف سيكون حالنا إن زللنا نحن، لا سمح الله؟!
فما دمنا ندرس وندرّس ونخطب ونؤلّف ونقوم بالوعظ، والناس يستمعون إلينا ويتعلّمون منّا، وقد يمدحوننا، فنحن معرَّضون لهذا الابتلاء، وكما فى الحديث الشريف ...: فإنّ المفتى على شفير جهنم. فأقلّ غفلة يمكن أن تودى بنا، لا سمح الله، وينتهى كلّ شىء.
وهذا لا يعنى ترك طلب العلم أو التبليغ، ولكن الأمر يتطلّب وعياً عميقاً مع الدعاء والاستعانة بالله تعالى ليجعلنا الله قادرين على التمييز بين ما هو لله وما هو لغير الله عموماً، فنأخذ بما هو لله تعالى ونذر ما هو لغيره.
كما علينا أن نفرّق بين العزّة والكبر، فنسأل الله تعالى أن يمنحنا الأوّل ويجنّبنا الثانى.

العجب آفة العبادة

العجب آفة العبادة

من يتدبّر فى دعاء الامام سلام الله عليه يرى أنّه يسأل الله سبحانه وتعالى روح الفضائل ويطلب منه أيضاً أن يقيه ويحفظه مما يفسدها، لأنّ لكلّ فضيلة آفة تفسدها، فقد قرأنا فى الجمل السابقة قول الإمام سلام الله عليه: وأوسع علىّ فى رزقك ولا تفتنّى بالنظر أو بالبطر،

لأنّهما من آفات سعة الرزق، وكذلك قوله سلام الله عليه: وأعزّني ولا تبتلِيَنّي بالكِبر لأنّ الكبر آفة العزّة؛ حيث يتكلّف الإنسان فيه الشموخ على غيره بلا موجب، والكبر في النفس كما أنّ التكبر في المظهر والسلوك. وسَيمرّ قول الإمام سلام الله عليه: وأجرِ للناس على يدي الخير ولا تمحقه بالمنّ؛ لأنّ المنّ آفة عمل الخير للناس، وأيضا قوله سلام الله عليه: وهب لي معالي الأخلاق واعصمني من الفخر فإنّه آفة معالي الأخلاق. أمّا هنا فيقول عليه السلام: وعبّدني لك ولا تُفسد عبادتي بالعجب؛ لأنّ العبادة فضيلة بل هي أمّ الفضائل وأرومتها، ولكن آفتها العجب، ولذلك عندما يطلبها الإمام من الله يطلب معها أن يقيه العجب.

إذاً في هذه الجملة أيضاً يطلب الإمام طلبين من الله تعالى وهما التعبيد والوقاية من العجب الذي يفسده.

معنى التعبيد

لم يرد استعمال لفظة (التعبيد) في الأدعية التي وصلتنا على كثرتها إلا نادراً، وربما لم يرد في القرآن الكريم إلّا مرّة واحدة وذلك في قوله تعالى حكاية عن موسى على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام مخاطباً فرعون?: وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.?

إنّ فرعون اتّخذ بني إسرائيل عبيداً وجعل يعاملهم معاملة السيّد الظالم المتجبّر لعبيده، ثمّ أخذ يمنّ على موسى عليه السلام في تربيته له ويقول له - كما حكاه القرآن الكريم ... ? -: أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ، ?فردّ عليه موسى عليه السلام بالقول?: وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ?أي لِم حرمتَ أهلي من تربيتي وهدّدت قومي فاضطُرّت أمّي إلى إلقائي في البحر، فإنّ وقوعي بين يديك وتربيتك إياي إنّما كانت بسبب تعبيدك لبني إسرائيل وخوفهم منك ومن بطشك، فهذه ليست منّة بل هي جناية لأنّها نتيجة تعبيد وإخافة وبطش وإرهاب، فما وجه المنّة بذلك؟

فيكون معنى قول الإمام سلام الله عليه: عبّدني لك: اتّخذني، أو اجعلني عبداً، والمعنى الثاني أدقّ من باب مناسبة الحكم والموضوع كما يقول الفقهاء لأنّ الاتّخاذ نوع خصوصية وامتياز كما في قوله تعالى?: وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ?أي خصّه بهذه الفضيلة.

لكن قد يثار سؤال، وهو: أليس الخلق كلّهم عباد الله، وأنّ الله مالك الملك، كما نقرأ في قوله تعالى?: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ؟ ?إذاً لماذا يطلب الإمام من الله أن يجعله عبداً له؟

بعبارة أخرى: إذا كانت عبوديتنا لله تعالى تكوينية قهرية؛ لانقطاعنا إليه سبحانه في الخلقة دون سواه، فما معنى طلب جعلنا عبيداً له؟

نقول: المقصود هنا هو القيام بما تقتضيه العبودية من العبد والإتيان بما ينبغي له، وهذا الأمر يتطلّب سعياً ودعاءً، ولذلك نرى الإمام سلام الله عليه وهو القمّة في العبودية لله يطلب ذلك منه تعالى ويقول: «وعبّدني لك» أي يا إلهي امنحني التوفيق بفضلك لأن أكون عبداً لك حقّ المعنى.

هب أنّ أحداً منّا عمل ما في وسعه وطاقته في عبادة الله تعالى، وقام بكلّ ما ينبغي له من فروض العبودية، من قيام بالواجبات والمستحبّات وترك للمحرّمات والمكروهات، بل عمل بوصيّة النبي صلى الله عليه وآله للصحابيّ الجليل أبي ذرّ حيث يقول صلى الله عليه وآله: يا أباذرّ ليكن لك في كلّ شيء نيّة صالحة حتى في النوم والأكل ومفادها أن يسعى العبد لأن يجعل كلّ أعماله حتى تلك التي لا يمكن الاستغناء عنها عبادة لله سبحانه وتعالى، فهل يكون قد وفّى حقّ الله تعالى في العبادة وبلغ ما يليق بمقامه؟

كلّا، لا يبلغ العبد مع ذلك حتى كنسبة القطرة إلى البحر المحيط، وهذا ما ندركه نحن بمستوانا، ناهيك عن المقدار والمستوى الذي لا نشعر به ولا ندركه!

فيكون معنى عبارة الإمام السجّاد سلام الله عليه في قوله: وعبّدني لك هو: إلهي إنّ عبادتي هذه ليست بمستوى عبوديتك وهو منزّه عن المستوى لكن إجعلها وكأنّها بذلك المقام؛ فضلاً منك.

روى عن الإمام الباقر سلام الله عليه أنّه قال: دخلت على أبي عليه السلام في أحد الأيّام فرأيته وقد اصفرّ لونه من السهر، ورمضت عيناه من البكاء ودبرت جبهته وانخرم أنفه من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء

فبكيت رحمة له، فإذا هو يفكّر، فالتفت إليّ بعد هنيئة من دخولي، فقال: يا بنيّ أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأعطيته فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثمّ تركها من يده تضجّراً وقال: من يقوى على عبادة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

العبادة الصحيحة ما كانت مرضيّة عند الله تعالى

نستنتج مما تقدم أنّ القيام بالعبادة لا يكفي ما لم يعتبرها المعبود كذلك، أي تكون عنده عبادة، فلا يكفي أن يقول المرء أنا أعبد الله، بل المهمّ أن يقبل المعبود عبادته.

صحيح أنّ التكليف يسقط عن العبد وتبرأ ذمّته إذا قام بالعبادة وكانت جامعة للشرائط والأجزاء التكليفية وفاقدة للموانع والقواطع التكليفية، ولكنّ القبول شيء آخر قد وضّحه الفقهاء بمثال وقد ذكره المرحوم الميرزا النائيني رحمه الله في شرح مسألة أصولية وعبّر عنها «اللعب بالعبادة».

وتوضيحه: إذا قال مولى لعبده: ائتني بكأس ماء، فامتثل العبد وجاء بالماء إلى المولى ولكنّه في الطريق إليه كان يرقص ويضحك ويستهزئ بالمولى أو يقوم بحركات لا تليق بشأنه، فإنّ المولى إذا كان حكيماً يقول: إنّ هذا العبد قد أتى بالتكليف لكنّه خرق مقام العبودية، فلا يعاقبه على عدم الامتثال له في جلْب الماء ولكنّه لا يقبله منه، لأنّه لا يعدّه من المتقرّبين إليه؛ والإمام سلام الله عليه يعلّمنا في هذا الدعاء أن نطلب من الله تعالى أن يقبل عبادتنا لأنّنا لا نعلم إن كنّا قد أدّيناها بما يليق ومقام قدسه تعالى أم اقتصرنا على إسقاط التكليف وإبراء الذمّة، حسب. ومن ثمّ نسأله تعالى ونقول له: وعبّدني لك أي اجعلني اللهم عبداً مقبول العبوديّة عندك.

آفة العجب

وآفة العبادة العجب، ولذلك نرى الإمام سلام الله عليه يقرن دعاءه وسؤاله من الله عزّ وجلّ أن يعبّده له، بأن لا يفسد عبادته بالعجب. فالإنسان وإن بلغ القمّة الشامخة في العبادة، يكون أيضاً معرّضاً للمزالق أو ما عُبّر عنه بالزحاليف.

ثمة مسألة شرعية موجودة في الرسائل العملية ومشهورة بين الفقهاء وهي أنّ الرياء أثناء العبادة مبطل لها، وبعد العبادة مفسد لها وليس مبطلاً، فإنّ العبد إذا رائى في أثناء صلاته فإنّها تبطل ويجب عليه قضاؤها وإلّا حوسب يوم القيامة على عدم الإتيان بها. وهذا أمر يقرّه العقلاء أيضاً، أمّا لو رائى بعد صلاته، فإنّه لا تجب عليه الإعادة أو القضاء لكن لا تُحسب له بصلاة ولا تُدرج في قائمة حسناته.

أمّا العُجب فالمشهور بين الفقهاء حسب الروايات أنّه ليس مبطلاً للعبادة وإن كان أثناء العمل العبادي وإن كان هناك رأي يقول بأنّه كالرياء من هذه الناحية أي يبطل العمل إذا كان مقروناً به، أي واقعاً في أثنائه ولكنّه يُفسد العبادة على كلّ حال، أي لا يثاب المكلّف عليها وإن لم يحاسَب لعدم تركها، فالعبادة التي يُعجب بها صاحبها غير باطلة حسب مشهور الفقهاء ولكنّها فاسدة، وما كان فاسداً فلا يؤجَر عليه صاحبه وإن أتى به.

إنّ العجب لا يقتصر على إفساده للعبادة فقط بل يفسد كلّ شيء، فهو يفسد العلم والتقدّم والصحّة والأخلاق. فالعالم إذا كان عنده عجب بعلمه يكون قد غفل عن نكات دقيقة قد تفوته بسبب غروره وإعجابه بعلمه، وهكذا المعجب بصحّته قد يصاب بأمراض يحسب نفسه بعيداً عنها، والشيء نفسه يصدق بالنسبة للمعجب بأخلاقه. أمّا العبادة فيفسدها ويُذهب ثوابها.

إنّ الدنيا كلّها لا تساوي شيئاً من دون العبادة، فإذا فسدت العبادة فماذا يبقى للإنسان بعد ذلك؟ فقد ورد في الروايات أنّ الدنيا كلّها لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

فكم سيعيش الإنسان في هذه الدنيا؟ حتى لو فرضنا أنّه عاش مئات السنين بل آلاف السنين وأكثر وهو يرفل بالصحّة والعلم وغير ذلك من مباهج الدنيا، فإنّه سيرحل عنها إلى الآخرة، فإلى أين سيولّي وجهه في الآخرة إن لم تكن عنده عبادة حقّة أو كانت عبادته

فاسدة بالعجب، لاسمح الله.

ولهذا نرى التركيز على بيان ضرر العجب فى العبادة خاصّة فى لسان الأدعية والروايات الشريفة بل أشار لذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى?: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ?وقوله تعالى?: كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً.?

فالعجب فى العبادة أمر يردّه الإنسان ولا يرى له موجباً إذا التفت إلى نفسه أدنى التفاتة أوتأمَّل ولو قليلاً؛ فما الذى يغرى العبد لأن يعجب فى عباداته؟ هل يعجب بصلاته وصومه وزكاته وصدقاته أم يعجب بصحّته التى بسببها استطاع أن يعبد الله تعالى أم بعقله الذى به عرف الله تعالى وأدرك وجوب طاعته وعبادته، وكلّ تلك الوسائل وغيرها التى مكّنته من أداء العبادة إنّما هى من الله تعالى.

فهل يحقّ لنا بعد ذلك أن نمنّ على الله تعالى فى عباداتنا أو أن نعجب بها وهو الذى هدانا للإيمان إن كنّا صادقين. فإذا كان كلّ شىء من الله، أفلا- يكون عجب المرء بعبادته لله تعالى إسفافاً وأمراً مثيراً للعجَب إذا تأمّل المرء قليلاً- أدرك ذلك بسرعة، ولكنّ الشهوات هى التى لا تدع الإنسان يلتفت إلى هذه الحقائق.

هذا من جهة جهلنا وضعفنا وعجزنا، ناهيك إذا نظرنا إلى القضية من جهة العظمة ومقام الربوبية ولسنا ببالغين حقّ قدرها، وما يصدر عنا حين نعبّر عنهما فبمقدارنا وبمستوى ألفاظنا وتصوّراتنا فقط. وإلّا فإنّ الله تعالى هو الذى يمنحنا الأموال ثمّ يطلب منّا إقراضه، ويعدنا بأنّه سيضاعفها لنا أضعافاً كثيرة؛ كما فى قوله تعالى?: مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ.?

إذاً جدير بأن نسخّر كلّ العقل فينا لعبادته حقّاً، لأنّه قد يمرّ على الإنسان والعياذ بالله عشرات السنين وهو غافل غير ملتفت؛ ومن ثمّ فهو يحتاج إلى المراقبة والدعاء، فيرشده الإمام سلام الله عليه بأن يتوجّه إلى الله تعالى بالقول: وعبّدنى لك ولا تُفسد عبادتى بالعجب.

الإفساد، واختيار الإنسان

قد يتبادر سؤال إلى الذهن وهو: لماذا يقول الإمام سلام الله عليه فى دعائه: ولا تُفسد عبادتى بالعجب. فمن الذى يفسد العبادة؛ أيفسدها الله سبحانه، أم الإنسان يفسدها باختياره؟

الجواب: إنّ معنى قول الإمام هو: اللهم لا- تتركنى وتخلّينى وشأنى فيستحوذنى العجب وتَفسُد عبادتى. ومثاله من واقع الحياة كالشخص النازل من جبل ذى منحدرات شديدة فإنّه يكون معرّضاً للهوىّ، إلا- إذا كان هناك حبل ذو مقابض يمسك بها، فإنّه بحاجة إلى وجود هذه الأداة لئلا يزلّ ويسقط، فيقول لمن بيده الطرف الأعلى من الحبل: لا تسقطنى فى الوادى؛ ففى يدك نجاتى وحياتى ما دمت أنا متمسّكاً فى الطرف الآخر. فهكذا الحال بالنسبة للإفساد والإضلال عندما ينسب إلى الله تعالى، فإنّ العبد هو الذى ينفلت عن قبضة الطرف الثانى للهداية فيفسد ويضلّ، حينها يُخلّى بينه وبين نفسه، لعلمه تعالى بعدم جدوى الصلاح والهداية فيه. قال تعالى?: وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ، ?ولذلك كان على الإنسان أن يُلحّ على الله تعالى دائماً فى أن يهيّئ له أسباب الهداية وأن لا يدعه وشأنه وإلا فإنّه هالك لا محالة.

ولكن ينبغى أن يعلم أيضاً أنّ الله تعالى لا يفعل شيئاً عبثاً، فهو لا يوفّر أسباب النجاة والهداية والصلاح أو يمنعها عن أحد دون حكمة. إنّ الله تعالى يمتنع عليه العبث سبحانه فهو الحكيم، والحكيم يضع الشىء فى موضعه، فإذا كان العقلاء يدركون ذلك ولا يتخطّونه فى حياتهم أو يحاولون أن لا يتخطّوه، فكيف بالله عزّوجلّ وهو سيّد الحكماء؟!

لو جاء إنسان عادّى إلى فقيه مثلاً وسأله مسألة شرعية، فالفقيه يكتفى بإعطائه الحكم الشرعى، كأن يقول له: إنّه واجب أو مستحبّ أو حرام أو مكروه، ولكن إذا كان السائل من أهل الفضل فربما أضاف فى جوابه أنّه هناك رواية صحيحة السند عمل بها الفقهاء، ودلالتها تامّة تقول كذا وكذا.

فإذا كنا ندرك هذا فى مستوانا ونحاول أن نتصرّف بحكمة ونعطى كلاًّ ما يناسبه، فهل نتوقّع أن لا يعاملنا الله بالحكمة فيأخذ بيد من لا يستحقّ العناية، ويتخلّى عمّن يستحقّها؛ حاشاه سبحانه وتعالى عن ذلك.

لله الحجّة البالغة

روى أنّه: يجاء يوم القيامة بالرجل الحسن الذى قد افتتن بحسنه فيقول: يا ربّ حسّنت خَلْقى حتى لقيت من النساء ما لقيت. فيجاء بيوسف عليه السلام فيقال: أنت أحسن أو هذا، قد حسّناه فلم يفتتن؟ ويجاء بصاحب البلاء الذى قد أصابه الفتنة فى بلائه فيقول: يا ربّ شددت علىّ البلاء حتى افتتنت. فيجاء بأيّوب عليه السلام فيقال: أبليّتك أشدّ أو بلية هذا، فقد ابتلى فلم يفتتن؟.

وروى عن مسعدة بن زياد أنّه قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام وقد سئل عن قوله تعالى?: قل فلله الحجّة البالغة ?فقال: إنّ الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدى! أكنت عالماً؟ فإن قال: نعم. قال له: أفلا عملت بما علمت؟ وإن قال: كنت جاهلاً. قال له: أفلا تعلمت حتى تعمل؟ فيخصمه، وذلك الحجّة البالغة.

وهاتان الحالتان ليستا من باب الحصر بل هما مثالان وإلّا فإنّ الشىء نفسه يصدق على كلّ فرد تشغله مسألة ما عن العبادة سواء كانت مسألة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها.

والأمر بعد ذلك بحاجة إلى دعاء وتوسّل إلى الله تعالى، مساوقة مع العزم والتصميم فى السعى لنبذ الشيطان ووساوسه.

فإذا حصل أنّ أحداً ما يريد قراءة دعاء كدعاء كميل فى ليلة الجمعة مثلاً ويغالبه النعاس أو ذهنه مشغول بأمر ما، فيتردّد: أيكون الترك أفضل أم قراءة الدعاء مع حال اشتغال الذهن واللهو عن التوجّه بعمق إلى مضامين الدعاء؟ هذا سؤال وُجّه لكثير من الفقهاء ومنهم السيّد الوالد رحمه الله فكان يقول: عدم الترك أفضل فى كلّ حال؛ لأنّنا إذا قلنا بترك الدعاء فى مثل هذه الحالة فإنّ النفس ستبحث عن الأعذار فى غيره من أسباب العبادة مهما كانت تلك الأعذار ضعيفة واهية، أمّا إذا عوّدت نفسك على الدعاء فسيأتى التوجّه تباعاً.

ثلاث فوائد

وأقرب ما يمكن أن نستفيده من عبارة الإمام سلام الله عليه: وعبّدنى لك ولا تفسد عبادتى بالعجب ثلاثة معانٍ.

الأول: تَقَبَّلنى عبداً، أى اجعلنى أعبدك وفق ما يسّرتنى له من الطاعة، واعتبر عبادتى فى مستوى ساحة قبولك ورضاك.

الثانى: تقبّلها منّى بغناك عنّى.

الثالث: اجعلنى مشغولاً بعبادتك عن العجب بعبادتى لك.

ولمزيد من التوضيح نذكر المثال التالى:

إذا كان أحد الملوك يملك مئة من العبيد فهل هؤلاء كلّهم فى مستوى واحد من حيث ارتباطهم بالملك؟ كلّا بالطبع، فبعضهم يعمل فى البناء، وبعضهم يقوم بالخدمة داخل القصر، وبعض يكون واسطة بين الملك ووزرائه، إذاً فالمستويات تختلف، ولكن المهمّ أن يكون عمل العبد مقبولاً لدى الملك وأن لا يزلّ فيطرده.

عبادة الله فخر وشرف

هَب أنّ شخصاً ما كان خادماً للملك، ألا تراه يفتخر على الآخرين لأنّه قريب من مصدر القوّة أو المال أو الوجاهة؟ فكيف إذا كان عبداً لله تعالى؟ لا شكّ أنّ مثل هذا الإنسان لا تهمّه الدنيا ولا يخشى فى الله لومة لائم، وحقّ له ذلك.

جاء رجل للإمام الصادق سلام الله عليه وقال: إنّى أرى من هو شديد الحال مضيّقاً عليه العيش، وأرى نفسى فى سعة من هذه الدنيا لا أمدّ يدى إلى شىء إلا رأيت فيه ما أحبّ، وقد أرى من هو أفضل منّى قد صرف ذلك عنه، فقد خشيت أن يكون ذلك استدراجاً من الله لى بخطيئتى؟ فقال الإمام سلام الله عليه: أمّا مع الحمد فلا و الله.

إجراء الخير بلا منّ

إجراء الخير بلا منّ

يقول الإمام سلام الله عليه: «وأجر للناس على يدىّ الخير ولا تمحقه بالمنّ»

يستفاد من كلمة «أجرِ» مضمونان:

المضمون الأوّل: أنّ الإمام ينسب فعل الخير الذى يفعله الإنسان إلى الله تعالى؛ حيث يُفهم ذلك من صيغة الطلب «أجرِ». وهذا معناه أنّ الإنسان المباشر بفعل الخير هو وسيلة أمّا الفاعل الحقيقى للخير فهو الله تعالى؛ إلّا أنّ هذه الوسيلة مختارة وغير مجبرة على فعل الخير وتركه? قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ?إذ لولا الاختيار لبطل الثواب والعقاب.

المضمون الثانى: أنّ مادّة هذه الكلمة، (أجر) وهى: الجريان، هى على وزن فَعلان، وكما هو معروف فى كتب اللغة فإنّ هذا الوزن يدلّ على الاستمرار وعدم الانقطاع، كما فى وصف الله سبحانه للحياة الآخرة بأنّها هى الحيَوان، فى قوله تعالى?: وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ ?فاستعمل صيغة فَعَلان (حيوان) أى الحياة المستمرّة المتواصلة التى لا انقطاع لها.

كذلك هنا الإمام يقول: «أجر» ولم يقل «أصدر منّى الخير»، لأنّ أصدر، لا يحمل ما يحمله (أجر) من طلب دوام صدور الخير وليس مجرّد صدوره.

الإسلام يريد الخير لجميع الناس

الكلمة الثانية، من هذه الفقرة هى قوله سلام الله عليه: (للناس). وهذا معناه أنّ الإمام يطلب من الله تعالى أن يجرى على يديه الخير لجميع الناس وليس للمؤمنين أو المسلمين وحدهم بل لكلّ الناس مؤمنين ومسلمين وغيرهم بل حتى لغير المعتقدين بدين أصلاً. هكذا يسأل الإمام من الله تعالى، ويرشدنا أنّه ينبغى لنا أن نسأل الله تعالى فى أن يجرى الخير على أيدينا لكلّ الناس.

وهذه هى نظرة الإسلام إلى عباد الله تعالى، ففى الحديث الشريف: الْجِيرَانُ ثَلاثَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ: حَقُّ الإِسْلامِ، وَحَقُّ الْجِوَارِ، وَحَقُّ الْقَرَابَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقَّانِ: حَقُّ الإِسْلامِ وَحَقُّ الْجِوَارِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ: الْكَافِرُ لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ.

هذه هى أخلاق الإسلام، مضافاً إلى ما تحمله هذه النظرة من كسب للإسلام.

وكما أنّ الله سبحانه وتعالى يعطى النعم للمؤمن والكافر، والمتديّن وغير المتديّن كذلك الإمام يسأل الله تعالى أن يجرى على يديه الخير لجميع الناس دون تمييز.

هكذا كان أهل البيت سلام الله عليهم، يجرى الخير على يديهم لجميع الناس. روى أنّ الإمام الصادق سلام الله عليه كان يأخذ معه الخبز والتمر والحنطة فى منتصف الليل يوزّعها على فقراء المدينة وهم نيام فيضعها تحت رؤوسهم؛ فيقال له هؤلاء غير موالين لكم. فيقول سلام الله عليه: لو كانوا موالين لنا لواسيناهم بالدُقّة.

على يدى أو على يدىّ

فى بعض الموارد من كلام أهل البيت سلام الله عليهم وردت كلمة «يدىّ» بتشديد الياء، وهى تفيد التثنية، كما وردت فى بعضها الآخر بلفظ المفرد أى دون تشديد الياء، ولا فرق بينهما سوى من جهة زيادة التأكيد؛ لأنّ اليد كما هو معلوم فى البلاغة قد ترد بمعنى هذا العضو الخاصّ، وقد ترد للتعبير عن القدرة والمكنة، ولذلك ورد استعمال «يدى» أى الجارحة الواحدة، و «يدىّ» أى كلتاهما، لبيان أنّ الأخيرة تفيد التوكيد أى كلّ القدرة أو كلّ العطاء، كما نقرأ فى الدعاء: يا باسط اليدين بالعطية أى تعطى كلّ الفضل، وإلّا فإنّ الله تعالى منزّه عن أن تكون له يد ماديّة فضلاً عن اثنتين، وإنّما كان استعمال صيغة المثنى (يدىّ) كناية عن مطلق العطاء من مطلق

القدرة، وهكذا فى هذا الدعاء إذا قلنا وأجرِ للناس على يدى الخير فهو طلب صدور الخير منّا للناس على الدوام، أمّا قوله سلام الله عليه: وأجرِ للناس على يدىّ الخير فهو يعنى طلب التوفيق لصدور الخير والبذل الدائم بمطلق الطاقة التى يُتوفّر عليها، أى هو المبالغة فى الإعطاء.

المنّ يمحق عمل الخير

ثمّ إنّ الإمام سلام الله عليه بعد أن يسأل الله تعالى أن يجرى على يديه الخير للناس، يسأله قائلاً: ولا تمحقه بالمنّ. أى، إلهى أنت إذ وفّقتنى وأجريت للناس على يدى الخير لا تمحقه بالمنّ، فاحفظنى من الشيطان ولا تكلنى إلى نفسى، فإنى لا أستطيع النجاح مستقلاً عنك.

أمّا المحق فهو الإبطال والمحو والإحباط. وقد ورد استعمال الإبطال وأريد منه المحق أكثر، مثل قوله تعالى?: لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى ?أمّا المحق فقد ورد قليلاً ومنه قوله تعالى?: يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ ?وقوله تعالى?: وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ، ?وهنا أيضاً قال الإمام سلام الله عليه فى دعائه: «ولا تمحقه بالمن» لأنّ المنّة تحبط عمل الخير وتبطله كما فى هذه الرواية:

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى الإمام مُحَمَّد الجواد سلام الله عليه وَهُوَ مَسْرُورٌ. فَقَالَ: مَا لى أَرَاكَ مَسْرُوراً؟ قَالَ: يَا ابْنَ رَسُول اللَّه سَمِعْتُ أَبَاكَ يَقُولُ: أَحَقُّ يَوْم بِأَنْ يُسَرَّ الْعَبْدُ فيه يَوْمٌ يَرْزُقُهُ اللَّهُ صَدَقَاتٍ وَمَبَرَّات وَسَدَّ خَلاَّت منْ إِخْوَان لَهُ مُؤْمنينَ وَإِنَّهُ قَصَدَنى الْيَوْمَ عَشَرَةٌ منْ إِخْوَانى الْمُؤْمنينَ الْفُقَرَاء لَهُمْ عِيَالاتٌ فَقَصَدُونى منْ بَلَد كَذَا وَكَذَا فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحد منْهُمْ، فَلهَذَا سُرُورى. فَقَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِىٍّ: لَعَمْرى إِنَّكَ حَقيقٌ بأَنْ تُسَرَّ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَحْبَطْتَهُ أَوْ لَمْ تُحْبطْهُ فيمَا بَعْدُ. قَالَ الرَّجُلُ: وَكَيْفَ أَحْبَطْتُهُ وَأَنَا منْ شيعَتكُمْ الْخُلَّص؟ قَالَ: هَاهْ قَدْ أَبْطَلْتَ برَّكَ بإِخْوَانكَ وَصَدَقَاتكَ. قَالَ: وَكَيْفَ ذَلكَ يَا ابْنَ رَسُول اللَّه؟ قَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِىٍّ: اقْرَأْ قَوْلَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تُبْطلُوا صَدَقاتكُمْ بالْمَنّ وَالأَذى قَالَ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا مَنَنْتُ عَلَى الْقَوْم الَّذِينَ تَصَدَّقْتُ عَلَيْهِمْ وَلا آذَيْتُهُمْ. قَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِىٍّ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: لا تُبْطِلُوا صَدَقاتكُمْ بالْمَنِّ وَالأَذى، وَلَمْ يَقُلْ لا تُبْطلُوا بالْمَنّ عَلَى مَنْ تَتَصَدَّقُونَ عَلَيْه وَبالأَذَى لمَنْ تَتَصَدَّقُونَ عَلَيْه وَهُوَ كُلُّ أذى.

يستفاد من هذا الحديث أنّه إذا ذكَر المتفضّل على أحد فضله حتى فى غيابه عُدّ ذلك من مصاديق المنّة، لذا يشير الحديث الى أنّ الشخص إذا صنع خيراً لأحد ثمّ ذكره فى مجلس، فإنّ الخبر حتماً سيصل إليه عاجلاً- أو آجلاً- فيتأذّى، ولم يقيَّد الأذى بأن يكون مباشراً كما لو يقول المانّ: أنا الذى أعطيتك المال بعد أن لم يكن عندك، أو أن يكون بصورة غير مباشرة كالإيحاء مثلاً، وهذا امتحان صعب جدّاً يتطلّب الاستعانة بالله تعالى حتى يجتازه المرء بنجاح.

قصّة فيها عبرة

كان هناك رجل حاجّ أعرفه جيداً يعيش فى إحدى المدن المقدّسة، فقد صادف أن نزل فى مدينته رجل زائر من بلد آخر جاء هو وعائلته، وكانوا قد نزلوا فيها لأوّل مرّة لأداء الزيارة ولا يعرفون فيها أحداً، فذهبوا يبحثون عن مكان فى الفنادق والمنازل التى يؤجّرها أصحابها، فلم يحصلوا على مكان بسبب كثرة الزوار، فاضطرّوا للجلوس فى مكان ما، فلمّا رآهم ذلك الرجل الحاج وهوكما أعرفه كان يعمل الخير ما وسعه لأىّ شخص سواء كان يعرفه أم لا على هذه الصورة جالسين على الأرض، سألهم: لماذا أنتم جالسون هنا؟ قالوا له: نحن مسافرون جئنا للزيارة، ولكنا لم نعثر على مكان ننزل فيه، فاضطررنا للجلوس هنا عسى أن يمرّ بنا شخص فيرشدنا إلى مكان ما نأوى إليه.

عندها قال لهم الحاجّ: تعالوا معى إلى بيتى، ففرحوا بذلك؛ وأضمروا أن يعطوه الأجرة المناسبة آخر الأمر لأنّهم كانوا أناساً متمكّنين ماديّاً فأنزلهم الحاجّ فى بيته منزلاً كريماً، حتى أقاموا عنده عشرة أيّام، كان يقدّم لهم خلالها كلّ متطلّبات كرم الضيافة بما فيها الطعام،

ولما شارفوا على الرحيل بعد انتهاء مدّة زيارتهم، عرضوا عليه مبلغاً من المال لخدماته لهم، ففوجئوا أنّه لا يقبل على عمله هذا أجوراً أو شيئاً من هذا القبيل، قائلاً لهم: إنّكم لم تكونوا ضيوفى بل ضيوف الإمام سلام الله عليه وإنّ الأجر الذى سأحصل عليه منه يفوق ما تعطونه لى مهما بلغ. وعندما لاحظوا إصراره على رفض أخذ المال ودّعوه شاكرين وانصرفوا.

وبعد مرور بضع سنوات حدثت للحاجّ (المضيّف) مشكلة سياسية فى نفس البلد الذى قدم منه ذلك الزائر (الضيف) ليزجّ بالحاجّ فى السجن، وكان من المحتمل أن يصدر بحقّه حكم الإعدام، وحينما كان يتعرّض للاستجواب لعدّة أيّام، جاءه فى آخر استجواب يمارس معه شخص يظهر من الرتب العسكرية التى يحملها على كتفه أنّه رجل رفيع المنصب فى الدولة بصفة محقّق قضائى. فلمّا رآه سأله: ألستَ فلانا؟ قال بلى. ثمّ شرع بتوجيه الأسئلة عليه؛ من قبيل: ألستَ تسكن البلد الفلانى؟ وكان الحاجّ يجيب: لقد سألتمونى من قبل والمعلومات مدوّنة عندكم، فقد أدليت بكلّ إفادتى. وأخيراً سأله المحقّق: أليس بيتك فى المكان الفلانى؟ قال: نعم. ثمّ نظر المحقّق إليه نظرة خاصّة وقال: ألم تعرفنى؟ قال: لا. قال: دقّق فىّ جيّداً، ثمّ رفع قبّعته من على رأسه. فقال الحاجّ: كأنّى رأيتك ولكن لا أتذكّر أين، فقال الرجل: لقد كنت وعائلتى عشرة أيّام ضيوفاً فى بيتك أكرمتنا كثيراً دون مقابل. قال الحاجّ بعد تذكّره ما كان قد نسيه: إنّما فعلته لله.

وهنا قال له:ها هو حكمك بيدى، وعقوبتك تصل حتى الإعدام، ولكنّى أمزّق الورقة أمامك وأقول لك: تفضّل واخرج فليس عليك شىء!

يتّضح من هذه القضيّة وغيرها مما سلف من آثار فِعل البر والإحسان أنّ الخير الذى يفعله الإنسان لغيره إنّما يعود فى الحقيقة لنفسه بل هو مسجّل له منذ البداية، ولكن انكشاف هذا الأمر يحتاج إلى وقت، غايته أنّ النتائج قد لا تظهر كلّها فى هذه الحياة الدنيا بل قد يراها الإنسان فى الآخرة، فإذا كان عند الإنسان بصيرة والتفات وكان معتبِراً بقصص الآخرين سهُل عليه الأمر وبادر إلى عمل الخير للناس، مهما كلف الأمر.

معالى الأخلاق والعصمة من الفخر

معالى الأخلاق والعصمة من الفخر

لا شكّ أنّ لمعالى الأخلاق والعصمة من الفخر مراتب. وهذا يعنى أنّ سؤال الإمام المعصوم من الله تعالى بأن يهبه معالى الأخلاق لا ينافى العصمة، ومما لا شكّ فيه أنّ كلّ ما لدى المعصوم سلام الله عليه حتى العصمة هو لطف من الله سبحانه وتعالى، ومن ثمّ فإنّ الإمام ليس بصدد تعليمنا الدعاء فحسب بل يتوجّه إلى الله أيضاً ويسأله أن يهبه معالى الأخلاق والعصمة من الفخر، غايته أنّ الإمام سلام الله عليه يسأل مراتبهما العليا.

صحيح أنّ مراتب الإمام فى معالى الأخلاق عالية جداً بل لا يقاس به أحد البتّة، ولكن الصحيح أيضاً أنّ هذا لا يتنافى وطلب الأئمة صلوات الله عليهم المزيد من المراتب الأكثر علوّاً وإن بلغوا ما لم يبلغه أحد من العالمين حتى حازوا أعلى مرتبة من بين خلق الله عزّ وجلّ من الأوّلين والآخرين، وهذا مطلب معمّق وتفصيله يتطلّب بحثاً مستقلاً.

وقفات مع مفردات الدعاء

نقف الآن وقفات سريعة مع كلمات هذه الجملة من الدعاء: هب لى معالى الأخلاق واعصمنى من الفخر. فنقول:

«هب» من الهبة وهى غير العطاء، وقد وردت مادّة الهبة واشتقاقاتها فى القرآن كثيراً، ومن ذلك قوله تعالى?: فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً، ?وقوله سبحانه? رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ?فما هو معنى الهبة؟ يقول الفقهاء: الهبة عقد فائدته تمليك عين بلا

عوض.

فإذا كان هذا معنى الهبة فإنّ الإمام سلام الله عليه يطلب من الله أن يهبه معالى الأخلاق وليس يعطيها له فقط؛ لأنّ الإعطاء أعمّ من التمليك؛ فإنّ الإمام سلام الله عليه عندما يقول: (هب لى)، فمعناه يا ربّ، ملّكنى معالى الأخلاق واجعلها ملكاً وملَكة لى، ومالك الشىء سيّده.

إذاً، يكون معنى هب لى معالى الأخلاق: ملّكنى إياها، لا أن تكون عارية، فتكون مثلاً عندى فترة الغنى، فإذا صرت فقيراً زالت عنى، أو تكون عندى زمن الراحة أو الصحّة وإذا ضقت أو مرضت ذهبتْ عنّى، كلاّ، بل اجعل اللهم معالى الأخلاق مملوكة لى.

هذا ما ندركه نحن على قصور فهمنا، أمّا ما يقصده الإمام المعصوم سلام الله عليه - وهو فى مقام الطلب من الله تعالى - فلا شكّ أنّه أعمق بكثير مما يدركه أمثالنا.

فالهبة تعنى التمليك بلا عوض. وهذا هو الحقّ فى كلّ ما نطلب من الله وما يتفضّل به سبحانه علينا، فكلّ ذلك بلا عوض، ولا يستثنى من ذلك أحد حتى المعصومون سلام الله عليهم، وإلا فما عسى أن يكون العوض الذى يقدّمه العبد الفقير لله الغنى؟ هل هى العبادة وهى بدورها من نِعم الله سبحانه وأفضاله. وما فرضها عليهم إلاّ لعلمه تعالى بافتقارهم إليها فى الوصول إلى أرفع مراتب الإنسانية. وهكذا الحال بالنسبة للإمام السجّاد سلام الله عليه رغم عصمته وشرف مقامه من بين كلّ مخلوقات الله عزّ وجلّ، ولكن مع ذلك لا يمكنه القيام بما يعوّض به الله تعالى. فإذا قام بالعبادة فإنّما هى بفضل الله ونعمته.

ثمّ إنّ الهبة والعطية بمعنى واحد فى الخطّ العام ولكن الاختلاف فى أنّ العطية يمكن أن تعطى لكلّ أحد، أمّا الهبة فبمقتضى لزوم القبول قد ينتزع منها معنى قابلية التملّك مادامت العين قائمة، ولذلك فهى لا تشمل سوى العاقل لحضور ملكة القبول والردّ لديه؛ ومن هنا فنحن لا نهب الماء للقطة العطشى بل نعطيه لها، وهكذا الطعام الذى نقدّمه للطير مثلاً، ذلك أنّ الهبة بحاجة إلى قبول وهو بحاجة إلى عقل، وهذا لا يكون إلا فى الإنسان.

الفرق بين معالى الأخلاق ومحاسنها

بعد اتضاح معنى الهبة وأنّها تمليك بلا عوض، قد يُسأل: ما هو الشىء الذى يدعو الإمام فيه ربّه أن يملّكه إياه؟ أهو المال أم البيت؟ أم الزوجة والأولاد أم الرئاسة؟ الجواب: لا هذا ولا ذاك، بل إنّ الإمام يسأل الله تعالى أن يهبه معالى الأخلاق. فما هو المقصود بهاتين الكلمتين؟

«المعالى» فى اللغة العربية جمع «معلاة» على وزن «مرماة»، و «المعلاة» مصدر ميمى مع تاء التأنيث (للمبالغة)، أى أصله «معلى» وهو بمعنى العلوّ، وقد أُلحقت به كلّ هذه الإضافات والتحويرات للمبالغة والتوكيد. فالعلوّ معلوم ولكن «معلى» مصدر ميمىّ يفيد توكيد الصفة، لحقته تاء التأنيث كما قلنا للتوكيد أيضاً، فصارت معلاة، ثمّ جاءت بصيغة الجمع (معالى) زيادة فى التوكيد. على أنّ استعمال المصدر بنفسه يفيد التوكيد كما هو معروف فى اللغة. فالخُلق يوصف بأنّه عالٍ، فإن قيل «علوّ»، كان ذلك مبالغة وتأكيداً، ومثاله إذا أريد وصف زيد بأنّه عادل ولكن أريد التأكيد على وجود هذه الصفة فيه أو الإشارة إلى أنّه يمثّل المراتب العليا من العدالة أو أنّه عادل حقّاً، قيل: زيد عدل، فيؤتى بالمصدر بدل اسم الفاعل، وكذلك بدل اسم المفعول لغرض التأكيد.

إذاً استعمال المصدر هنا توكيد، ثمّ المصدر الميمىّ توكيد ثانٍ ثمّ لحوقه بالتاء توكيد ثالث، وصيغة الجمع توكيد رابع للأخلاق العالية.

أى أنّ الإمام يسأل الله تعالى من الاخلاق أعلى مراتبها.

وهناك توكيد خامس استعمله الإمام سلام الله عليه، وهو صيغة الجمع المضاف؛ لأنّه كما يقال: ظاهر فى العموم. أى كلّ معالى الأخلاق.

ثمّ تأكيد آخر وهو الفرق الموجود بين معنيى كلمتى معالى الأخلاق ومحاسن الأخلاق. فالمفهوم الموجود فى كلمة معالى الأخلاق غير موجود فى محاسن الأخلاق؛ ولذلك ورد فى الحديث أنّ رسول الله

صلى الله عليه وآله قال: إنّما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق أى معالى الأخلاق؛ وذلك لأنّ الخُلق قد يكون سيّئاً وقد يكون حسناً، فالجبن مثلاً خلق سيّئ والشجاعة خلق حسن، والبخل خلق سيّئ والكرم خلق حسن، والجزع خلق سيّئ والصبر خلق حسن، وهكذا.

فالكرم مثلاً هو ندى الكفّ أى هو سبوغ الإحسان، وهكذا بالنسبة لبقية الأخلاق الحسنة، أمّا مكارم الأخلاق فهى أعلى من ذلك لأنّها تعود للنفس وتربيتها وحملها على ملازمة الخلق الحسن؛ فإنّ النفس التى لا تتحلّى بمكارم الأخلاق قد لا تلتزم بالخلق الحسن إذا لم يوافق شهواتها وغرائزها، فالخلق الحسن ينسجم مع طبيعة صاحبه، أى يوافق غرائزه وشهواته عادة، أمّا مكارم الأخلاق فتعنى الالتزام بكلّ الخصال الحسنة، حتى عندما لا تتوافق مع الشهوات والغرائز، وخير مثال يوضّح ذلك البشاشة وعدم العبوس، فربّ شخص اتّصف بهذا الخلق أى يكون بشوشاً لأنّه يحبّ أن يكون محبوباً وممدوحاً فى المجتمع، فتراه يتحلّى بهذه الخصلة لكى يحقّق رغبة من رغباته وهى المحبوبية، وهكذا الحال بالنسبة للشجاعة وغيرها. أمّا مكارم الأخلاق فلا تناغم بينها وبين الميول والرغبات بل هى عمليه ترويض للنفس وتعويدها على فعل الخير كيفما كان، فتقول للفرد مثلاً: سلّم على من سبّك، وهذا أمر صعب لأنّه لا يوافق رغبة الفرد وشهوته، ولذلك قد تجد ثلّة من بين كلّ ألف صائم ومصلّ وحاجّ من هو كذلك؛ ممّا يعنى أنّ مكارم الأخلاق تعنى إجبار النفس وترويضها على التحلّى بالخصال الحسنة وإن كانت منافية لإرادتها ومضادّة لطبيعتها.

لذلك فإنّ الإمام سلام الله عليه يطلب فى هذا الدعاء من الله أن يمنحه معالى الأخلاق أى مكارمها، ولذلك سمّى هذا الدعاء ب (دعاء مكارم الأخلاق) وليس محاسن الأخلاق.

وتأكيد آخر يكشف الفرق بين معالى الأخلاق ومحاسنها هو أنّ الإمام سلام الله عليه قدّم كلمة المعالى فقال: (معالى الأخلاق)، ولم يقل: الأخلاق العالية، أى قدّم الوصف على الموصوف.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى محمَّدٍ وَآلِهِ

وَلا تَرْفَعْنى فى النَّاسِ دَرَجَةً إلاَّ حَطَطْتنى عِنْدَ نَفْسى مِثْلَها

وَلا تُحْدِثْ لى عِزّاً ظَاهِراً إلاَّ أحْدَثتَ لى ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسى بِقَدَرِهَا

?بين الرفعة والعزّة والحطّ والذلّة

?العزّة الظاهرة والذلّة الباطنة

?أهمّية التوازن فى النفس الإنسانية

بين الرفعة والعزّة والحطّ والذلة

لا بأس أن نذكّر بأنّ الإمام سلام الله عليه معصوم وأنّ مقام العصمة أعلى مقام يمكن أن يصله بشر، والمعصومون هم من اختارهم الله تعالى واصطفاهم ووفّقهم لبلوغ هذا المقام وهذه المنزلة، ولكن مع ذلك كلّه فإنّه حتى المعصوم ليس مستثنىً من السير التكاملى، لأنّ العصمة وإن كانت بالنسبة لنا تمثّل أعلى مرحلة للتكامل، ولكنّها ليست كذلك بالنسبة للمعصوم، بل هو قابل للمزيد من التكامل؛ ومن هنا نستطيع أن نفهم أدعية الأئمّة المعصومين ومنها هذا الدعاء فإنّهم سلام الله عليهم إنّما يدعون الله تعالى ويطلبون منه المزيد، إضافة إلى كونهم فى مقام تعليم العباد كيفية مخاطبة الربّ الجليل.

يتوجّه الإمام السجّاد سلام الله عليه فى هذه الفقرة من الدعاء إلى الله تعالى ويطلب منه مطلبين هما فى الغالب متلازمان. يقول الإمام: ولا ترفعنى فى الناس درجة إلّا حططتنى عند نفسى مثلها، فما هو المقصود من الارتفاع فى الناس؟ قد يُحسن الإنسان تعامله مع الناس أو يتظاهر بحسن الخلق أو يُظهر علمه، فترتفع درجته عندهم، وقد ترتفع درجته بسبب جوده وكرمه، إلا أنّ الإنسان عموماً إذا ما

ارتفعت منزلته بين الناس تولّدت فى نفسه حالة من الغرور تجعله ينسى كلّ ما كان عليه سابقاً وربّما يغفل عمّا سيؤول إليه لاحقاً، فيختلّ توازنه ويهوى من حيث ارتفع؛ ولذلك ينبغى لنا أن نسأل الله تعالى بأن يصغّرنا فى نفوسنا كلّما كبرنا فى أعين الناس، كما يعلّمنا الإمام سلام الله عليه.

إنّ العبارات الواردة فى الدعاء دقيقة جداً، فلفظة «درجة» وردت نكرة، ويقول العلماء إنّ النكرة فى سياق النفى تفيد العموم، ومعناه: أىّ درجة أرتفع بها فى الناس، فبقدرها ياربّ أنزلنى عند نفسى. أى اجعلنى أرى نفسى نازلةً بالدرجة ذاتها، لئلّا أصاب بالغرور ولكى أسعى للارتفاع دائماً ولا تغرّنى نظرة الناس إلىّ؛ لأنّنى إذا اغتررت بتقييمهم وإطرائهم أو نظرتهم إلىّ، تراجعتُ أو توقّفت عن الرفعة على أقلّ تقدير.

وهذه الفقرة تدعو الإنسان للتأمّل، فما يراه من الاحترام والارتفاع فى الناس قد يزول يوماً ما، فيجدر أن لا يغترّ به ولا يرتّب عليه أثراً، لأنّ المهمّ هو أن يتسامى الإنسان فى الباطن كما فى الظاهر مثلما يراه الناس. ومن كان يعظّم نفسه لتعظيم الناس له تحكّم الناس فى أمره، مع أنّ الإنسان المتّزن هو الذى يكون أمره بيده، والمتحكّم فى نفسه يربّيها ويرفع درجتها بحسب إيمانه وتقواه، ومثل هذا الإنسان قطعاً يكون صادقاً مع نفسه، فاهماً لها، رافعاً من درجتها، سائراً بها نحو الكمال؛ ويبقى الإنسان مع هذا كلّه مفتقراً إلى الله تعالى ليعينه على نفسه ويقيه من الزلاّت، ولذلك يعلّمه الإمام سلام الله عليه كيف يستمدّ العون منه فى قوله: «إلهى ولا ترفعنى فى الناس درجة إلاّ حططتنى عند نفسى مثلها».

العزّة الظاهرة والذلّة الباطنة

العزّة الظاهرة والذلّة الباطنة

يقول الإمام سلام الله عليه بعد ذلك: ولا تحدث لى عزّاً ظاهراً إلاّ أحدثت لى ذلّة باطنة عند نفسى بقدرها.

كمقدمة نعرض أنّه قد يكون شخصٌ عزيزاً ظاهراً، ولكنّه ذليلٌ صاغرٌ أمام الشهوات. فيزيد بن معاوية مثال واضح للذلّ الحقيقى رغم ما كان يتمتّع به من هيبة الحكومة التى انتزعها من الناس بالقوّة، ورغم العزّة الظاهريّة، أمّا الإمام الحسين سلام الله عليه فكان مثال العزّة والكرامة الحقيقية. فهو سلام الله عليه لم يرضخ لطاغوت زمانه، الأمر الذى أدّى إلى أن رُضّ جسدُه الشريف بالخيل بعد قتله، وسبى نساؤه وعياله.

ولا تناقض بين قول الإمام الحسين سلام الله عليه: هيهات منّا الذلّة وبين قول الإمام الرضا سلام الله عليه عندما يصف يوم عاشوراء وما جرى فيه على جدّه الإمام الحسين سلام الله عليه: وأذلّ عزيزنا، لأنّ كلاًّ من القولين ناظر إلى جهة، فإنّ عبارة الإمام الرضا سلام الله عليه ناظرة إلى الذلّة الظاهرية التى تحمّلها آل البيت سلام الله عليهم فى سبيل الله تعالى. أمّا عبارة الإمام الحسين فناظرة إلى الذلّة الحقيقية، المنتفية عن أهل البيت؛ ولذلك نقرأ فى زيارة الإمام الحسين سلام الله عليه: لا ذليل واللهُ معزُّك ولا مغلوب واللهُ ناصرك. فكيف يكون ذليلاً من أعزّه الله؟ وكيف يكون مغلوباً من نصره الله؟ لقد تحدّى الإمام الحسين أكبر طاغوت على وجه الأرض وتحمّل هو وأهل بيته كلّ المصائب والهوان الظاهرى ولم يتنازل عن مبادئه؛ لأنّه كان يرى فى ذلك الذلّة الحقيقية؛ ولذلك قال: يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون. فالنزول لرأى يزيد كان من وجهة نظر الإمام هو الذلّ الحقيقى، أمّا ما تعرّض له من الهوان الظاهرى وسبى وتشريد أهله فإنّه العزّة الحقيقية ما دامت فى رفض الظلم والوقوف فى وجهه؛ ابتغاءً لمرضاة الله تعالى.

أمّا الذلّة الباطنة التى وردت فى الدعاء، فالمقصود منها تواضع النفس وليس ضعتها، فإنّ العزّة الظاهرة قد تضرّ بالإنسان وتخلّ فى توازنه، فيتصوّر نفسه أعظم من غيره، فإذا صار كذلك فقد تأسّر، بنظرة النّاس.

الله ولىّ كلّ نعمة

توجد فى هذه الفقرة من الدعاء أربعة مطالب هى: الرفعة فى الناس والحطّة فى النفس، والعزّ فى الظاهر والذلّ فى الباطن.

وكلّ هذه الأمور ينسبها الإمام إلى الله تعالى، فلا يقول الإمام: إلهى إذا ارتفعت فى الناس أو إذا رفعنى الناس، بل يقول: إلهى (لاترفعنى)، (إلّا حططتنى)، (لا تحدث لى عزّاً)، (إلّا أحدثت لى ذلّة)، وهذا معناه: ياإلهى أنت الذى تعزّ وأنت الذى تذلّ، وأنت الذى ترفع وأنت الذى تضع.

حقّاً، لولا أهل البيت سلام الله عليهم لما عرفنا كيف نتكلّم مع الله عزّ وجلّ.

ولكنّ أهل البيت علّمونا أنّ الأسباب كلّها من الله سبحانه وتعالى، فإنّ رفعة الفرد بين الناس قد تكون بسبب ذكائه ومعرفته فى كيفية التعامل مع الناس عادةً لترتفع درجته، وقد تكون بسبب المال الذى يبذله، وقد تعود لأسباب أخرى، ولكن كلّ ما يمكن أن يكون سبباً لحصول رفعة الشخص فى الناس فهو من الله، قال تعالى?: وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ؛ ?ولذلك نرى أنّ الإمام السجّاد ينسب الأمر إلى الله وليس إلى الفرد ولا إلى الناس؛ محاكياً قول الله تعالى?: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.?

وكذا الحال مع الصفة المقابلة، أى استصغار النفس وتواضعها، أمام نعم الله تعالى؛ فإنّ الأمر وإن كان يعود فى الظاهر إلى الفرد - لأنّ الذى يتمتّع بهذه الصفة يكون متحكّماً هو بنفسه والمالك لزمام أمورها بدل أن يتحكّم بها الآخرون - ولكنّه هو الآخر غير متمكّن من دون توفيق الله وتسديده وتهيئة أسباب الرشاد إليه. إذاً فالباعث الحقيقى للقوّة على الفعل هو الله عزّوجلّ وليس الفرد.

أهمية التوازن فى النفس الإنسانية

أهمية التوازن فى النفس الإنسانية

إنّ النفس الإنسانية دقيقة جدّاً وسريعة التأثر إلى درجة كبيرة، فهى كالنابض الذى يهبط لأدنى ضغط ويرتفع بارتفاعه بسرعة. مثاله: لو تبسّمتَ فى وجه شخصٍ ما، فسوف تنبسط أساريره ويتعامل معك باتّزان، ثمّ لو عبّست فى وجهه بعد ذلك، تراه يفقد وعيه ويختلّ توازنه ولا تعود معاملته لك كما كانت آنفاً، ولا يعذرك أو يحتمل وجود سبب ما لعبوسك.

ولكى يكون الإنسان مالكاً لزمام نفسه متّزناً لا يتأثّر لأدنى سبب ولا يفقد توازنه بسرعة، فإنّه يحتاج إلى تسديد إلهىّ، والإمام السجّاد يطلب من الله تعالى فى هذا الدعاء أن يمنحه التوازن بأعلى مستوياته؛ ولذلك يقول: ولا ترفعنى فى الناس درجة إلّا حططتنى عند نفسى مثلها أى درجة بدرجة حتى لا يحصل عندى أدنى اختلال.

والتوازن فى النفس مهمّ جدّاً، كما هو مهمّ فى كلّ شىء؛ وكما أنّ أدنى اختلال فى توازن الأشياء قد يؤدّى إلى تحطّمها أو خرابها، فكذلك الحال مع النفس.

فالطائرة التى تحلّق فى الفضاء ربما ساهم فى توازنها اجتماع آلاف العوامل على نحو الأمر الارتباطى - على حدّ تعبير الفقهاء-. فما أكثر الأجزاء والعوامل والشروط التى لابدّ من توافرها، وما أكثر الموانع والمُخلّات التى لابدّ من رفعها، حتى تستطيع أن تحلّق هكذا فى الفضاء ولا تهوى، ولو اختلّ جزء واحد من تلك الأجزاء أو حصل مانع ما فربما تفقد الطائرة توازنها وتسقط.

والخرج الذى يوضع على ظهر الدوابّ لحمل البضائع، فإنّه ينبغى أن يوازن بين طرفيه، فلو وُضع فى أحد الطرفين ما زنته عشرة كيلوغرام، فإنّه ينبغى أن يعادل فى الطرف الآخر بالوزن نفسه، وإلّا مال الطرف الأثقل وسقط الخرج. وهكذا الحال بالنسبة لكلّ شىء.

فكلّ هذا يشير إلى أهميّة التوازن فى الأمور التكوينية، وهذا ما يلمسه عامّة الناس عادة ويدركونه بسهولة.

فكذلك التوازن مطلوب فى النفس وباقى الأمور المعنوية، بل هو أهمّ، لأنّ فقدان التوازن فى المادّيات قد يؤدّى إلى تلف الأبدان، أمّا فى المعنويات فيؤدّى إلى تلف النفوس، وبالتالى خسارة الدنيا والآخرة.

وإذا كان بدن الإنسان بحاجة إلى توازن يحفظ سلامته من أيّ اختلال قد يؤدّى إلى تلف فى الكبد أو المخّ أو أىّ عضو من أعضائه الأخرى، فإنّ الأمر مع النفس آكد؛ لأنّه بالنفوس تحيا الأبدان وليس العكس، وبالنفوس يصل الناس للتكامل والرقىّ وليس بالأبدان.

ولذلك يطلب الإمام من الله تعالى أن يمنحه هذا التوازن فيقول: يا إلهى بمقدار ما ترفعنى فى الناس، احططنى بالمقدار نفسه عند نفسى. وبمقدار ما تحدث لى عزّاً ظاهراً، أحدث لى عند نفسى ذلّة باطنة لئلّا يحصل عندى أدنى اختلال، ولكى أحظى باتّزان يحفظنى من الهوىّ والانزلاق. فإنّ هذا التعادل والتوازن الموجود فى العبارات ليس من باب البلاغة وجمال التعبير فقط وإن كانت البلاغة لا تخلو منها كلمات أهل البيت سلام الله عليهم وإنّما هو الدقّة المقصودة أيضاً؛ لأنّ أدنى اختلال فى توازن النفس قد يؤدّى بها إلى الهلكة أخيراً.

ضرورة السعى والدعاء

معلوم أنّ الأسباب كلّها بيد الله تعالى، ولذلك نسب الإمام سلام الله عليه الرفعة فى الناس، والحطّة فى النفس، والعزّ الظاهر، والذلّة الباطنة كلّها إلى الله تعالى على نحو الحقيقة، ولكن حيث إنّ الدعاء صادر من الإمام المعصوم فهو يلفت نظرنا إلى الأدواء التى قد تصاب بها النفس وسبل علاجها عبر الأدوية التى تناسبها. فالإمام هنا يخبرنا أنّ الرفعة التى تحصل للإنسان بين الناس قد تصيبه بالغرور ولابدّ له من أن يوازنها بأن لا يستعظم نفسه بل يستصغرها ويطلب من الله أن يعينه على ذلك.

فلو قيل: إذا كان الأمر بيد الإنسان فلماذا يطلب ذلك من الله تعالى؟ وإذا كان بيد الله فما هو دور الإنسان فى ذلك؟

نقول: صحيح أنّ الأسباب كلّها بيد الله ولكنّه تعالى لا يسهّلها لمن لا يطلبها بسعيه، كما لا يمكن أن ينالها الساعى بسعيه فقط لولا عناية الله تعالى له والتى تستلزم عدم فتور الإنسان بدعائه، ولذلك اقتضى الأمر المولوىّ بالإجابة من خلال السعى والدعاء معاً.

إننا نؤمن? إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ?ولكن هذا لا يعنى أن يجلس الإنسان فى بيته ويكتفى بالدعاء فى طلب الرزق من الله تعالى؟

صحيح أنّ الله هو الرزاق، ولكن لابدّ للإنسان أن يعمل فى سبيل تحصيل الرزق، أمّا الذى لا يسعى فلا شىء له؛ لأنّ الله تعالى يقول: ?وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاّ مَا سَعَى.?

لقد خلقنا الله فى هذه الحياة الدنيا ليختبرنا ويبلونا سواء فى سعينا لتحصيل الرزق المادّى أو الرزق المعنوى، فعلينا أن نبذل ما منحنا الله تعالى من طاقات للاستفادة منها فى كلّ المجالات المباحة.

وصحيح أيضاً أنّ الإمام سلام الله عليه يعلّمنا أن نطلب الموازنة من الله تعالى فنسأله أن يحطّنا فى أنفسنا مثلاً، أو أن يحدث لنا ذلّة باطنة كلّما رُفعنا فى أعين الناس وأعززنا، ولكن مفتاح هذا الأمر بأيدينا أيضاً، وما لم نصمّم على أن نكون كذلك فإنّ الله تعالى لا يعيننا، كما أنّنا لا نستطيع بلوغ الأمر من دون إرادة الله.

ولذلك ينبغى للعبد أن يتوجّه بالدعاء إلى الله تعالى وأن يتضرّع إليه؛ قال تعالى?: قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبّى لَوْلا دُعاؤُكُمْ، ?وفى الدعاء أيضاً: ولا ينجّى منك إلا التضرّع إليك.

ومن هنا يتّضح أنّ فى الدعاء حثّاً للتوجّه على الخصال الحميدة والاجتناب عن الخصال الذميمة، كما أنّ فيه إلفاتاً إلى أنّ كلّ الأمور هى بيد الله تعالى ويجب الاستعانة به والتضرّع إليه.

التأسّى بالناجحين

قبل سنوات دُعيت للصلاة على جنازة أحد التجّار المؤمنين كنت قد شاهدته وعايشته كان شخصاً عادياً وكان يحظى باحترام جميع الطبقات بدءًا بالعلماء ورئيس الحكومة وانتهاءً بعامّة الناس؛ حتى أنّنى أحببت أن أسأله مرّة – وكنت فى داره – عمّا إذا كان هناك

سرّ ینطوی علیه فرزقه الله هذه المحبّة والاحترام فی قلوب الناس، فامتنعت وصرفت النظر، غیر أنّ المعروف عنه أنّه کان رجلاً متدیّناً، مؤدّباً، یشهد صلاة الجماعة ویتحلّی بکثیر من الفضائل.

نقل لی بعض من یعرف تاریخه قائلاً: إنّه کان فی شبابه حمّالاً ولکنّه کان یتحلّی بالأخلاق والذکاء والجدّ، فترقّی وضعه المالی تدریجیاً حتی أصبح تاجراً وصاحب نعمة، واستمرّ علی أخلاقه وتواضعه حتی بعد أن تغیّر وضعه وتحسّن، فجمع إلی جانب المال حسن الخلق والدین فکسب بذلک احترام الناس لدرجة کبیرة، حتی أنّی عندما حضرت مجلس الفاتحة الذی أُقیم علی روحه شاهدت حضوراً کثیفاً من مختلف الطبقات علماء وموظفین وکسبة وتجّاراً وشیوخاً وشباباً.

ما یلفت النظر أنّ الرجل لم یکن من العلماء ولا من الزهّاد ولا من المتمیّزین فی شیء سوی أنّه کان تاجراً متدیّناً عادیّاً.

نقَل لی بعض أصدقائه القدامی عن أحواله فقال: کان هذا الرجل یحتفظ حتی آخر حیاته بالوسیلة التی کان یحمل بها البضائع علی ظهره أیّام کان حمّالاً، لیس هذا فحسب بل کان ینظر إلیها کلّ یوم قبل مغادرة البیت ویخاطب نفسه قائلاً: لقد کنتَ حمّالاً فلا تنسَ!

فهذا الرجل کان یحفظ توازنه بهذا العمل، لأنّ الله وفّقه لأن یکون مصداقاً لما ورد فی دعاء الإمام السجّاد سلام الله علیه: ولا ترفعنی فی الناس درجة إلا حططتنی عند نفسی بمثلها، ولا تحدث لی عزّاً ظاهراً إلا أحدثت لی ذلّة باطنة بقدرها.

وهذا الأمر وإن کان صعباً فی الواقع إلّا أنّ التوفیق الإلهی یهوّنه؛ فالإنسان بحاجة إلی توفیق من الله تعالی، وحریّ بالإنسان علاوة علی ذلک أن یتذکّر دائماً أصله، ومم خُلق?، أَلَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنَی.?

إنّ الإنسان إذا تأمّل فی هذه الآیة الشریفة وحدها وتدبّر فیها کفته لیتذکّر واقعه وحقیقته، ودعته للتواضع والسعی للعمل بمضمون ما ورد فی هذه الفقرة من دعاء مکارم الأخلاق.

قال الإمام أمیر المؤمنین سلام الله علیه: مسکین ابن آدم ... تؤلمه البقّة وتقتله الشرقة، وتنته العرقة.

فکم هو ضعیف هذا الإنسان. وإذا کان ضعیفاً إلی هذه الدرجة فما الذی یدعوه للتکبر؟ هل الثروة والمال والسلطة والجاه أم البدن القویّ، وهذه کلّها قد تزول فی لحظة.

لقد نُقل عن السیّد البروجردی رحمه الله أنّه نذر نذراً شرعیاً فی أیّام شبابه إن صدرت منه إهانة لأحد فإنّه یصوم سنة کاملة. وقیل إنّه صام لذلک سنة أو سنتین. هذا الأمر لیس یسیراً، خاصّة بالنسبة لشخص کالسیّد البروجردی فإنّه لم یکن شخصاً عادیاً منزویاً بل کان رجلاً کثیر الاحتکاک بالناس، یؤمّ المصلین ویلتقیهم فی المسجد ویلقی الدروس علی الطلاب ویستمع لمشکلات الناس ویفتیهم، ومن ثمّ فإنّ نجاحه فی مهمّة ضبط نفسه فی هذا المجال، وعدم صدور ما عزم علی اجتنابه إلّا نادراً، إنّما یشیر إلی علوّ همّته وتوفیق الله تعالی له.

فعلینا أن ننتهز الفرص لتربیة أنفسنا وتزکیتها بالعزم والمثابرة بعد التوکّل علی الله تعالی.

من الضروری الإشارة والتنبیه إلی أمر وهو أنّ کثیراً من الناس یُتعب نفسه کثیراً لغرض تزکیتها وتربیتها فی المواظبة علی المستحبّات ولکنّه قد یغفل عن أمور هی من الواجبات، فلا یلتفت إلیها؛ مع أنّ الالتزام بعمل الواجبات والانتهاء عن المحرّمات مقدَّم علی العمل بالمستحبّات؛ ولذلک ورد فی الحدیث عن الامام أمیر المؤمنین سلام الله علیه: لا قرب بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض.

فمثلاً: هناک بعض الناس یتصّور أنّ ابنه أو بنته أو أخته أو من هو أصغر منه من أرحامه، عبد بل ملک له، یحقّ له أن یتصرّف تجاهه کیفما شاء، ولعلّ کثیراً من الملتزمین أیضاً هکذا حاله.

عن إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ وهو من أصحاب الإمام الصادق سلام الله علیه قَالَ: قُلْتُ لأَبِی عَبْدِ اللَّهِ علیه السلام: رُبَّمَا ضَرَبْتُ الْغُلاَمَ فِی بَعْضِ مَا یَحْرُمُ. فَقَالَ: وکَمْ تَضْرِبُهُ؟ فَقُلْتُ: رُبَّمَا ضَرَبْتُهُ مِئَةً مِئَةً. فَقَال: مِئَةً مِئَةً؟ فَأَعَادَ ذَلِکَ مَرَّتَیْنِ، ثُمَّ قَال: حَدَّ الزِّنَی؟ اتَّقِ اللَّهَ. فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاکَ فَکَمْ یَنْبَغِی لِی أَنْ أَضْرِبَهُ؟ فَقَالَ: وَاحِداً. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ أَنِّی لا أَضْرِبُهُ إِلاَّ وَاحِداً مَا تَرَکَ لِی شَیْئاً إِلاَّ أَفْسَدَهُ. فَقَال: فَاثْنَتَیْنِ. فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاکَ هَذَا هُوَ هَلاَکِی إِذاً. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أُمَاکِسُهُ حَتَّی بَلَغَ خَمْسَةً، ثُمَّ غَضِبَ فَقَالَ: یَا إِسْحَاقُ إِنْ کُنْتَ تَدْرِی حَدَّ مَا

أَجْرَمَ فَأَقِمِ الْحَدَّ فِيهِ ولا تَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ.

إذاً ينبغي لنا أوّلاً أن نعرف حدود الواجب والحرام لنمتثل الأول ونجتنب الثاني، وبعد ذلك نسعى لعمل المستحبّ؛ لأنّه لا يقال لنا يوم القيامة: لماذا لم تؤدِّ المستحبّ الفلاني، ولكنا سنُسأل عن أداء الواجبات وترك المحرّمات. ولئن تذرّع أحدنا أنّه لم يكن يعلم، قيل له: فلِم لَم تتعلم؟

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى محمَّدٍ وَآلِهِ وَمَتِّعْنى بِهُدىً صَالِحٍ لاَ أسْتَبدِلُ بِهِ

وَطَرِيقَةٍ حَقٍّ لا أزيغُ عَنْها وَنِيَّةٍ رُشْدٍ لا أشُكُّ فيهَا...

?الهدى الصالح وعدم الاستبدال

?الطريق الحقّ وعدم الزيغ

?نيّة الرشد والثبات عليها

الهدى الصالح وعدم الاستبدال

الهدى فى اللغة يُذكّر ويؤنّث فتقول هدىً صالح وهدىً صالحة، وورد بالصيغتين فى فصيح الكلام، وربما جاء هنا مذكّراً مراعاة لنكتة أدبية كما لو يكون مراعاةً للنسق الذى يقتضيه الترتيب.

أمّا قوله سلام الله عليه (صالح) فهو:

•إمّا باعتبار أنّ للهداية مراتب. فيكون المراد من «الهدى الصالح»: تلك المرتبة من الهداية التى تكون صالحة للداعى، أو المرتبة التى يستحقّها؛ لأنّه لا شكّ أنّ للبشر حتى المؤمنين منهم بل الأخيار والأبرار مراتب من الهداية، ولكن لا يصحّ للإنسان أن يقتصر على المرتبة الدنيا من الهداية، بل عليه أن يسعى لأن يجعله الله تعالى أهلاً لبلوغ مراتبها العليا. أمّا من لا يكون مستحقّاً لها، فإنّ الله سبحانه وتعالى لايمنحها إيّاه؛ لأنّه غير أهل لها، فلا تصلح له، ومن ثمّ لا يستطيع الإنسان الصعود أعلى من المرتبة التى هو أهل لها.

•وإمّا أن يكون المراد من (الصالح) وصفاً توضيحياً أو تفسيرياً ل (هدى)، أو احترازياً - حسب الاصطلاح العلمى -.

أمّا قوله سلام الله عليه (لا أستبدل به) فهو صفة ثانية ل (هدىً)، ومعناه: اللهم وهذا الهدى الصالح الذى سألتك أن تمتّعنى به، فاجعله مستمرّاً دائماً معى، وليس كالوديعة التى تبقى عند الإنسان مدّة من الزمن ثمّ تُستردّ بعد ذلك. فلا يكفى أن يتمتّع الإنسان بالهدى والصلاح فى بعض أوقات حياته ما لم تختتم حياته وهو كذلك، ولا يستبدل الضلالة بالهدى.

إنّ همّ الشيطان وجهده منصبّان على هذه النقطة، وهى دفع الإنسان لأن يبدل الهدى بالضلالة، والخير بالشرّ، والصلاح بالفساد، وما أكثر من ينجح فى إغوائهم!

قال الله تعالى?: وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ.?

وقال أيضاً?: وَقَلِيلٌ مَا هُمْ.?

والقليل هو ما يقابل الكثير، فيكون المعنى أنّ كثيراً من الناس غير شاكرين.

طريق الحقّ وعدم الزيغ

الحقّ والصالح مفهومان لمصداق واحد، فهما فى الذهن معنيان لكن الوجود الخارجى لهما واحد؛ فيكون قوله: طريقة حقّ من باب العطف التفسيرى والتوضيحى لقوله سلام الله عليه: هدى صالح. بيد أنّه يمكن أن يكون المراد بالهدى الدين والعقيدة، وأن يكون المراد بالطريقة العادات والسنن؛ فيكون معنى قوله سلام الله عليه متّعنى بهدى صالح لا أستبدل به الثبات على الإيمان والمعتقد؛ لأنّه قد لا يبقى الفرد المسلم - والعياذ بالله - على الإيمان والإسلام بل يستبدل بالإيمان غيره ويرتدّ عن دينه، وما أكثر الذين ارتدّوا عن

الإيمان والمعتقد. فمن يقرأ التاريخ يجد أنّ كثيراً من الناس قد ارتدّوا ورجعوا عن الإسلام حتى فى زمن النبى صلّى الله عليه وآله، فهؤلاء لم يتمتّعوا بهدى صالح دائم بل استبدلوا الكفر به، كما كان هناك أقوام بقوا مع الإمام أمير المؤمنينعليه السلام حتى السنين الأخيرة من عمره الشريف، ولكنّهم شهروا سيوفهم فى وجهه فى السنتين الأخيرتين من حياته المباركة، كالخوارج الذين مرقوا عن الإسلام وارتدّوا عن إيمانهم وزاغوا عنه وانحرفوا.

ثمّة من يزعم أنّه ملتزم طريق الحقّ، ولكن تراه يتوفّر على عادات وتقاليد باطلة لا تتناسب مع زعمه، فمثل هذا لا يتمتّع بطريقة حقّ، وخير مثال على ذلك ما نراه فى تقاليد الزواج؛ فبعض الآباء يزوّج ابنته البالغة الرشيدة من دون أن يستشيرها. وإن أعلمها بالأمر، فلا يكون إلّا بعد عقده وإبرامه حتى لا يبقى لها خيار بعده. وهذا خلاف السنّة، أمّا إذا تسرّع وأعطى كلمة ثمّ جعلها ترضى بعد ذلك فلا إشكال، ولكن لابدّ من رضاها على كلّ حال.

ممّا ينقل فى هذا الصدد أنّ رجلاً كان كلّما تقدّم إليه أحد فى طلب ابنته للزواج رفضه، حتى تقدّم إليه أحد الأشخاص فوافق عليه، فقال ذلك الشخص له: هل أرى أنّك أعطيتنى كلاماً عليها وانتهى كلّ شىء؟ قال الأب: نعم. قال الخاطب: هلّا تسأل البنت؟ قال: هذا لا يعنيها، إنّما أمرها يعود إلىّ!

ولا تقتصر الطرق الباطلة على المحرّمات والواجبات بل تصدق فى المستحبّات والمكروهات أيضاً؛ ولذلك ينبغى للمسلم أن يكون على طريقة حقّ فيهما أيضاً؛ ومثاله: البدء بالتحيّة والسلام، فترى بعض الأشخاص لا يسلّم على أحد أبداً، وإذا سلّم عليه أحد اكتفى بالردّ عليه متكلّفاً، أمّا هو فلا يبدأ أحداً بالسلام ترفّعاً واستكباراً!!

إذن يمكن أن يكون المراد من قول الإمام سلام الله عليه هدى صالح: الإيمان الصالح، والمراد من «طريقة حقّ»: السنن الصحيحة، كما يمكن أن يكون الثانى عطفاً تفسيرياً للأوّل.

وعلى كلّ حال، فإنّ المهمّ فى الأمر هو الثبات على الهدى الصالح وطريق الحقّ؛ ولذلك قال الإمام سلام الله عليه: وطريقة حقّ لا أزيغ عنها. فما أكثر الذين كانوا على طريقة الحقّ ولكنّهم لم يستمرّوا عليها؛ إمّا نتيجة مشكلات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية أو تأثّراً بغيرهم. وفى كلّ الأحوال لا ضمان لأىّ أحد بالثبات على طريقة الحقّ إلّا بالدعاء والاستعانة بالله تعالى والسعى أيضاً؛ فالأمر بحاجةٍ إلى دعاء وخشوع وتضرّع، إضافة إلى السعى والجدّ.

ما يلفت النظر أنّ الإمام سلام الله عليه كان فى الفقرات السابقة من الدعاء يعزى تغيّر الحالات كلّها لله تعالى، مثل قوله: ولا ترفعنى فى الناس درجة إلّا حططتنى عند نفسى مثلها، ولا تحدث لى عزّاً ظاهراً إلّا أحدثت لى ذلّة باطنة عند نفسى بقدرها إلا أنّه سلام الله عليه فى هذه الفقرة من الدعاء نسب الجانب السلبىّ (أى الاستبدال والزيغ والشكّ) للإنسان نفسه، فقال: ومتّعنى بهدى صالح لا أستبدل به، وطريقة حقّ لا أزيغ عنها، ونيّة رشد لا أشكّ فيها، فما هو السبب فى ذلك؟

إنّ الله تعالى هو مسبّب الأسباب كلّها؛ ولذلك فكلّ فعل يصدر من الإنسان يكون منسوباً إلى الله تعالى من هذه الجهة؛ قال الله سبحانه?: وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ. قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ. ?ومن ثمّ فإنّ نسبة فعل الخير وما يصيب الإنسان من حسنات، إلى الله تعالى، وإن كان بفعل الإنسان وإرادته فإنّما هو من جهة التوفيق الإلهى، فلولاه لما كان الخير يصيب الإنسان مطلقاً، ولكن حيث إنّ الإنسان هو الذى يهيّئ السبب باختياره، وإنّ الله يغيّر حال الإنسان تبعاً لاختياره، فإنّ صدور الشرّ وما يصيب الإنسان من سيئة ينسب للإنسان نفسه؛ لأنّ الله تعالى يخلّيه وهوى نفسه فى حبّ الشرّ وإتيانه. قال تعالى?: مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ?ومن هنا نفهم معنى نسبة الضلالة إلى الله فى قوله تعالى?: وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ?ونسبتها إلى الإنسان فى آيات أخرى، فى حين نُسبت الهداية إلى الله تعالى وحده كما فى قوله تعالى?: إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ، ?والسبب كما قلنا يعود للإنسان الذى جعله الله تعالى مختاراً ليختار أحد الطريقين، قال تعالى?: وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ. ?فرغم أنّ الله تعالى قد منح الإنسان حقّ الاختيار، إلّا أنّه نسب تيسير الخير والشرّ معاً إليه سبحانه؛ كما أنّ

الأب الذى يعطى ابنه نقوداً وينصحه أن يصرفها فى سبيل الخير ويحذّره من طرق الشرّ، ثمّ يخيّره ولكن الابن لا يعمل بوصيّة الأب ونصْيحه، فينفق النقود فى طريق الشرّ، فإنّ الأب لا يكون مسؤولاً عن تصرّف الابن، ومع ذلك يقول له: أنا المسبّب لما عملته لأنّنى مكّنتك وخيّرتك.

إنّ الله تعالى مكّن الإنسان من فعل الخير أو الشرّ، ومنحه حقّ الاختيار، وفى الوقت نفسه شجّعه على فعل الخير والإقلاع عن الشر، كما دعاه للتوبة، فأرسل إليه الأنبياء والكتب، وجعل الأئمة الذين يهدونه ويعلّمونه، وكان من جملة تعاليمهم هو الدعاء إلى الله تعالى وطلب الثبات منه.

نيّة الرشد والثبات عليها

نيّة الرشد والثبات عليها

لقد طلب الإمام سلام الله عليه من الله تعالى الهدى الصالح وهو الإيمان والمعتقد الحقّ، وعدم الاستبدال به، وطلب الطريقة الحقّة وهى العادة والسنّة الصحيحة، وعدم الزيغ عنها. ثمّ طلب نيّة الرشد وهى إطارهما، فربما تكون الظروف والأجواء بحيث يكون الهدى الصالح وطريقة الحقّ هما الغالبان، فينضمّ إليهما أغلب الناس كما حدث أثناء فتح مكّة حيث قال تعالى?: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فى دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً، ?لأنّ الدخول فى الإيمان سهل والكفّة الدنيوية الراجحة بيد أهل الحقّ، ففى مثل هذه الحالة لا تعرف حقيقة النوايا، لدى تلك الأفواج، خلافاً للاطمئنان الحاصل من صدق نوايا أولئك الذين أسلموا فى مكّة المكرّمة عندما كانت بيد المشركين رغم تعرّضهم لشتّى صنوف العذاب؛ ولذلك يقول الله تعالى?: لا يَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ.?

كيف نحصّن نيّاتنا؟

أسند الإمام سلام الله عليه طلبه هذا بطلب آخر يؤمّن على المعتقد فقال: نيّة رشد لا أشكّ فيها، والشك فى النيّة مسألة مهمّة جداً تتطلّب انتباهاً كبيراً من الإنسان؛ لأنّ الشيطان يركّز كلّ جهوده عليها من أجل أن يزلّ الإنسان ويحرفه عن الهدى الصالح والطريقة الحقّة. ولكى ندرك أبعاد حملة الشيطان علينا، فلنتأمّل فى الآية التالية فهى تحكى عزم إبليس وإصراره على إغواء البشر، وهو يقسم لله تعالى، على ذلك؛ كما حكاه القرآن الكريم?: ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ?أى لا أدعهم يصلون إليك بل أقف فى طريقهم، فكلّما أتوك من جهة واجهتهم منها حتّى أصرفهم عنك، ومن لا تنفع معه المصارحة أى الإتيان من أمام أتيته من خلف، أى ألبست له الحقّ بالباطل، أو قلت له: انظر إلى فلان وفلان ارتكب كذا وهو أعظم منك شأناً أو أحسن منك حالاً ومعاشاً.

فلنكن على حذر من ألاعيب الشيطان الرجيم وأساليبه، ونطلب من الله تعالى نيّة الرشد والثبات عليها.

فى مقابل هذا، جعل الله تعالى لنا العروة الوثقى إن تمسّكنا بها لم نزِغ ولم ننحرف أبداً، ذلكم هو القرآن الكريم وعترة النبى صلّى الله عليه وآله، فهما السنام الأمثل والمعيار الحقّ الذى نعرف من خلالهما – أى بتمسكنا والتزامنا بهما وعدم الابتعاد عنهما – عدم انحرافنا عن الطريقة الحقّة وعدم استبدالنا شيئاً بالهدى الصالح والطريقة الحقّة، فلا نشكّ فى نيّاتنا البتّة.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أيّها الناس إنّى تارك فيكم الثقلين، قالوا: يا رسول الله و ما الثقلان؟ قال: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، فإنّه قد نبّأنى اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض كإصبعىّ هاتين – وجمع بين سبّابتيه – ولا أقول كهاتين – وجمع سبّابته والوسطى – فتفضل هذه على هذه.

فههنا نكتة جديرة بالتأمّل، وهى أنّ الناس – عادةً – إذا أرادوا وصف شيئين بأنّهما لن يفترقا مثّلا لهما بجمع السبّابة والوسطى، ولكنّا نلاحظ أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله جمع بين سبّابتيه، فلماذا فعل ذلك؟

لقد أراد صلّى الله عليه وآله أن يبيّن إضافة إلى أنّهما لن يفترقا أنّهما عدلان، وبما أنّ الوسطى أطول من السبابة قليلاً فلم يجمع بينهما، بل جمع صلّى الله عليه وآله بين سبّابتيه، الأمر الذى يدلّ على أن القرآن الكريم وأهل البيت سلام الله عليهم عِدْلان.

أهل البيت هم المعيار لمعرفة الحقّ

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: عليّ مع الحقّ والحقّ مع على، يدور معه حيثما دار. إنّ إخبار رسول الله صلّى الله عليه وآله بأنّ عليّاً مع الحق، يلزم منه أنّ الحقّ معه أيضاً؛ هذا ما يفيده قياس المساواة، فلو كان عمرو مع زيد، فهذا يعنى أنّ زيداً مع عمرو أيضاً، ولكن الرسول صلّى الله عليه وآله أراد بذلك التأكيد ومزيد الإلفات.

هنا أيضاً نكتة أخرى جديرة بالالتفات، وهى أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله قال: يدور معه حيثما دار ولم يقل: يدور حوله. وذلك فى بيان لكشف العلاقة بينه سلام الله عليه وبين الحقّ كعلاقة القميص بمتقمّصه، فكيف أنّ القميص يدور حيثما دار لابسه، كذلك الحقّ مع أمير المؤمنين عليه السلام. وبهذا أراد النبى صلّى الله عليه وآله أن يقول: إنّ عليّاً هو ميزان الحقّ ومعياره؛ ولذلك فإنّ الحقّ يدور مع على، وليس العكس. فهذه نكات بليغة ينبغى لنا أن نتوقّف عندها، لعلّنا نكتشف بعض مضامينها الرائعة؛ حيث المتبادر إلى فهمنا من خلال هذا الحديث هو أنّ الأشخاص مهما عظموا لا يمكن أن يكونوا معياراً للحقّ أبداً، باستثناء أهل البيت سلام الله عليهم.

فأهل البيت سلام الله عليهم هم العروة الوثقى التى لا انفصام لها، ولا يشاركهم فى ذلك غيرهم بالغاً ما بلغ، لأنّهم الأئمّة المعصومون، وقد جعلهم النبى صلّى الله عليه وآله عدلاً للقرآن، ومعياراً لمعرفة الحقّ، فالآخرون يعرضون على هذا المعيار، ليعرفوا إن كانوا على حقّ أم لا، أمّا أهل البيت صلوات الله عليهم فلا يعرضون على أحد؛ لا يقاس بآل محمّد من هذه الأمّة أحد.

دخل الحارث الهمدانى على أميرالمؤمنين عليه السلام فى نفر من الشيعة وقال: نال الدهر يا أمير المؤمنين منّى، وزادنى أواراً وغليلاً اختصام أصحابك ببابك، قال سلام الله عليه: وفيم خصومتهم؟ قال: فيك وفى الثلاثة من قبلك، فمن مفرط منهم غالٍ، ومقتصد تال، ومن متردّد مرتاب، لا يدرى أيقدم أم يحجم! قال سلام الله عليه: قدك فإنّك امرؤ ملبوس عليك؛ إنّ دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحق، فاعرف الحقّ تعرف أهله.

وهذه كلمة يخضع لها التاريخ ويجدر أن يقف لها حتى أعداء الإمام سلام الله عليه إجلالاً، فما أبلغها وأغناها، إنّ حياة كلّ إنسان واعٍ من بدايتها إلى نهايتها رهينة هذه الكلمة الخالدة.

فمن عرف الحقّ وهو ما صرّح به الرسول صلّى الله عليه وآله فى حديثه المتواتر: إنّى تارك فيكم ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدى أبداً لا يتزلزل إيمانه بعد ذلك وإن تغيّر زيد من الناس أو عمرو، أو رأى رجالاً انحرفوا وكانوا قبل ذلك صالحين قضوا أعمارهم فى الصلاح ثمّ انحرفوا فى آخر ساعة من حياتهم.

فإن لم نتّخذ أهل البيت سلام الله عليهم ملاكاً وعروة فلا ضامن لنا من الاستبدال، لأنّ عدوّنا متخصّص فى الإغراء والإغواء، ومتفرّغ لنا ولا شغل له غير ذلك، ولا مشكلة عنده تلهيه عنّا، وهو يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى عروقه.

ولكن الله الحكيم قد جعل لنا أئمّة أهل البيت سلام الله عليهم وأمرنا بالاعتصام والتقوّى بهم على الشيطان وتسويلاته.

فلنتمسّك بهم ونزن مواقفنا بمعاييرهم، لنضمن استقامتنا وثباتنا، ونؤوب إلى الحقّ والهدى أبداً.

لقد التحق بالإمام الحسين منذ اليوم الأوّل لخروجه من مكّة تجاه العراق، جموع غفيرة من الناس، وكان هؤلاء الذين التحقوا به جميعهم مسلمين، مصلّين صائمين، بل عرّضوا أنفسهم للخطر؛ لإيمانهم بإمامة الحسين، ولكن كم بقى منهم فى اليوم العاشر؟

ذكرت المقاتل أنّه لم يبقَ مع الإمام سوى اثنين وسبعين، فيما انهزم الباقون. وهذا معناه أنّه هرب أكثر الذين جاءوا مع الإمام الحسين

عليه السلام. وهذا نوع من الاستبدال والزيغ. إذن ما الضمانة فى أن لا نزيغ ولا نستبدل بالهدى الضلال؟

لا ضمانة إلا الدعاء والسؤال من الله بنبيّه وأهل بيته سلام الله عليهم، مع المواظبة من قبل أنفسنا نحن أيضاً.

قد يخدع الشيطان الإنسان بأهون شيء فيبتاع منه دينه. إنّ كلّ شيء يمكن أن نُخدع به فى هذه الدنيا لا يستحقّ أن نساوم به على ديننا، فإنّ الدنيا كلها لا تساوى عند الله جناح بعوضة، ولا فرق بين المليار والفلس الواحد من المال الحرام إلا فى الحجم.

روى أنّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروى أنّ هذه الآية? ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ وَ إِذا تَوَلَّى سَعى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها ويُهْلِكَ الْحَرْثَ والنَّسْلَ واللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ ?نزلت فى على عليه السلام، وأن الآية الثانية? ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاةِ اللَّهِ ?نزلت فى ابن ملجم، فلم يقبل، فبذل له مائتى ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل أربعمائة فقبل. ولكن مهما كان المبلغ الذى أخذه سمرة فهو خسر على كلّ حال.

لقد مات أبو ذر رحمه الله وهو جائع بينما كان يمكنه أن يخلّف الملايين كما خلّف صاحبه عثمان بن عفان.

لقد كان أبو ذر وعثمان يحضران معاً محاضر رسول الله صلى الله عليه وآله طيلة عشرين عاماً ويصلّيان معاً خلف رسول الله صلّى الله عليه وآله، وشاهداه معاً تأتيه الأموال ولكن أبا ذر يموت جوعاً، والآخر يخلّف ما سمعت. فالنبى الأكرم عندما أوشك أن يدعى قال لعلى: يا على أنت قاضى دينى. فمات صلّى الله عليه وآله مديناً ليهودى قد رهن عنده درعه صلّى الله عليه وآله؛ وهكذا كان أبو ذر فى متابعته لسيرة رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يستبدل به كما فعل غيره. نسأل الله تعالى الثبات على الهدى والحقّ والرشد.

اللّهُمَّ لا تَدَعْ لى خَصْلَةً تُعَابُ مِنّى إلاَّ أصْلَحْتَها، وَلاَ عَائِبَةً أوَنّبُ عَلَيهَا إلاَّ حَسَّنْتَهَا، وَلاَ أكْرُومَةً فِيَّ نَاقِصَةً إلاَّ أتمَمْتَهَا.

?الحذر من كلّ أنواع العيوب وإصلاحها

?الفرق بين العيب والعائبة والنقص

?الورع وترويض النفس

الحذر من كلّ أنواع العيوب وإصلاحها

الحذر من كلّ أنواع العيوب وإصلاحها

قد تكون فى الإنسان خصلة ولكنّه لا يعلم بوجودها، وقد يعلم بها ولكنّه لا يعلم أنّها عيب يوجب التعيير، وقد يعلم بها ويعلم أنّها عيب ولكنّه قاصر عن إصلاح نفسه والتخلّص منها، وقد يكون مقصّراً.

والمثال على ما تقدّم هو الجهل، فإنّ الإنسان يعاب عليه. ولكن قد يكون جهله عن قصور، لأنّه لم يسعه أن يتعلّم، وقد يكون مقصّراً، كما لو أمكنه التعلّم ولكنّه تلكّأ عن الأمر؛ فعلى أىّ من هذه الحالات يعاب؟ الجواب: يعاب عليها كلّها؛ لأنّ الإنسان لا يعاب على التقصير فقط، بل قد يعاب على القصور أيضاً، كما أنّه لا يعاب على شيء يعلم أنّه عيب فقط، بل قد يعاب على شيء لا يعلم بوجوده، ولذلك يقول الإمام: لا تدع خصلة تُعاب منّى. والمقصود أيّة خصلة، لأنّ النكرة فى سياق النفى تفيد العموم كما هو معلوم.

وقد يكون العيب شرعياً كارتكاب الحرام والمكروه، أو عرفياً أو أخلاقياً مثل العجلة وعدم التأنّى، والغضب، والتكاسل وما أشبه، فالمفهوم يشملها جميعاً، ومن ثمّ تكون مشمولة للدعاء والطلب من الله بأن يصلحها مهما كان نوعها وفى أية حالة كانت. فإنّ الإمام لم يقل: (تعيبها منّى) بل قال: تُعاب منّى. وصيغة المبنىّ للمجهول تعطى سعة من ناحية الفاعل، فيكون معنى قول الإمام: اللهم أصلح أيّة خصلة تُعاب منّى، سواء كان التعييب شرعياً أم عرفياً، وفى أية حالة اتّصفتُ بها، سواء أكنت جاهلاً بها وبكونها عيباً أم لا.

العيوب العرفية من منافيات العدالة

ورد فى صحيحة عبد الله بن يعفور، أنّ الإمام الصادق سلام الله عليه فسّر العدالة بقوله: والساتر لجميع عيوبه.

وعندما يأتى الفقهاء المشهور منهم إلى تعريف العادل يقولون: أن يكون تاركاً للمحرّمات ولمنافيات المروءة.

فترك المحرّمات واضح، أمّا تركه لمنافيات المروءة فقد استفادوه من مضمون قول الإمام سلام الله عليه: أن يكون ساتراً لعيوبه، ففهموا أنّ مراد الإمام ليس العيوب الشرعية فقط، بل العيوب العرفية أيضاً، ولذا قالوا إنّ العادل هو الذى يترك المحرّمات ومنافيات المروءة أيضاً.

لقد اعتبر الشرع العيوب العرفية نقائص، وأوصى بالتخلّص منها. وخير مثال على ذلك رفضه للباس الشهرة، وأورد الفقهاء هذه المسألة فى كتاب الصلاة فى باب لباس المصلّى، وفى مواضع أخرى أيضاً.

ومن الفقهاء من أفتى بحرمة بعض المستحبّات إذا صارت مدعاة للسخرية من عاملها. وهذه مسألة مختلف فيها طبعاً، ولا تشمل الواجبات والمحرّمات؛ لأنّ أحكام الله تعالى لا تتغيّر بسبب سخرية الناس. أمّا المستحبّ الذى قد يقال بتركه فى حال حصول السخرية فإنّ ذلك لا يعدّ تغييراً لحكم الله تعالى وتعطيلاً له، بل إنّه يُترك من باب استلزامه لإرتكاب حرام، وهو تعريض النفس للسخرية والإهانة؛ فإن ذلك حرامٌ، فإذا دار الأمر بين المستحبّ والحرام فلا شكّ يكون ترك الحرام مقدّماً على الإتيان بالمستحبّ؛ إذ لا إلزام فى المستحبّ، بينما هناك إلزام بترك الحرام.

الحذر من القصور ومن الجهل المركّب

قد تكون عند الفرد خصلة أو خصال يعاب عليها شرعاً أو عرفاً ولكنّه لا يعلم بوجودها أو بأنّها معيبة، وهذا من الجهل، ويعدّ صاحبها قاصراً؛ فربّما ينتبه المرء بعد خمسين سنة أو أقلّ أو أكثر إلى أنّه كان مبتلى بخصلة معيبة طيلة العقود الماضية من عمره، فيندم ويتألّم، وحقّ له ذلك، لأنّ القصور والجهل بالعيب ليس مانعاً من الحسرة والندامة.

فمثلاً لو أنّ شخصاً حجز على السفر بالطائرة وأُخبر أنّها تقلع فى ساعة كالتاسعة، وظنّ أنّها التاسعة مساءً، ولم يذهب إلى المطار حتى العصر، رغم أنّه لم يكن قد تأخّر بسبب أمر مهمّ شغله، بل لأنّه كان يتصوّر أنّ ساعة الإقلاع هى التاسعة بعد الظهر، وعندما ذهب إلى المطار تبيّن له أنّ الطائرة قد أقلعت بالفعل فى التاسعة صباحاً، وأنّ من أخبره بساعة الإقلاع غفل أن يذكر له أنّ الإقلاع يكون فى التاسعة صباحاً بل قال له التاسعة وحسب، فظنّها مساءً. فهل هذا الشخص لا يلوم نفسه ولا يتألّم، خاصّة لو فاته موعد مهمّ أو مسألة مهمّة بسبب جهله وغفلته؟ لاشكّ أنّه سيتألّم ويرى أنّه كان عليه التأكّد قبل ذلك.

إذاً علينا أن ننتبه جيّداً ونحذر من الوقوع فى الجهل والغفلة والقصور فضلاً عن التقصير، ونشعر بأهمّية النصيحة والنقد البنّاء الموجّه لنا، ونشكر من يدلّنا على عيوبنا لإصلاحها، ونكون طيّعين مع الناس فى تعاملنا معهم لنشجّعهم على أن يهدوا إلينا عيوبنا.

ولنا فى علمائنا أسوة

كان الشيخ محمد طه نجف قد فقد بصره أواخر عمره، وله قصّة أذكرها باختصار؛ لأنّ على طالب العلم بل على الإنسان المؤمن عموماً – أن يستلهم الدروس من قصص هؤلاء الأعاظم، وينظر هل سيتّخذ الموقف المشابه لمواقفهم إن عرضت له حالة مماثلة أم لا. يقول الشيخ:

بدَرَ فى ذهنى يوماً تساؤل مفاده: كيف أضمن أن يكون كلّ ما أقوم به من أعمال مطابقاً للموازين الشرعية الواقعية؟ حيث كنت أخشى مثلاً أنّى قد أعطيت ما لزيد لعمرو، أو حكمت بوقفية ملك وحرمت أصحابه الشرعيين منه أو العكس، فستطول حسرتى، فماذا ينبغى لى أن أعمل لكى أتخلّص من هذا الهمّ، وفكّرت مع من أطرح هذه القضية، هل أطرحها على بعض العلماء الموجودين فى النجف الأشرف، ولكنّى أجبت نفسى بالقول إنّ أيّاً منهم لا يشفى غليلى لأنّه مثلى يعرف نفس الأدلّة المتداولة التى أعرفها وهى

الكتاب والسنّة والعقل والإجماع، ولو طرحت إشكالى على أىّ منهم لأجابنى بالجواب الذى أعرفه أيضاً، وهو: إنّ الواجب استفراغ الجهد وإنّ أحكامنا ظاهريّة، وهكذا.

هذا مع العلم أنّ الشيخ كان حينذاك مرجعاً للتقليد والفتوى والحلّ والفصل وقبض الأموال ودفعها ونصب المتولّين فى الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية إلى غير ذلك. ولاشكّ أنّه كان يراعى فى تلك الأعمال كلّ الموازين الشرعية التى يعرفها وكان محتاطاً فيها، وكانت صحيحة حسب ما تقوده الأدلّة، ولكنّه رغم ذلك كان يخشى أن ينكشف له بعد الموت أنّ بعضها كان باطلاً بسبب قصوره، وإن كان معذوراً لأنّه لم يكن مقصّراً فى استفراغ الجهد للوصول إلى وظيفته الشرعية وتكليفه كمرجع. يقول الشيخ:

فقرّرت التوسّل بالإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، ومرّت مدّة طويلة لم تنقطع توسّلاتى بالإمام سلام الله عليه ولكنّى لم أحصل على نتيجة أو جواب، ولو بصورة غير مباشرة، كأن يحصل فى داخلى نور أو ألتفت إلى شىء أو أحدٍ فأفهم أنّ أعمالى صحيحة فأطمئنّ، أو ليست صحيحة فأتوقّف، ولكنّى لم أقطع الأمل من الإمام فتوسّلت للمرة الثانية والثالثة والعاشرة والعشرين والخمسين والمئة ... ولا نتيجة!

فقلت مع نفسى: لعلّ هناك مصلحة فى التأخير؛ فلا ينبغى أن أيأس بل اللازم أن أواصل الدعاء والإلحاح فى الطلب، وبقيت على ذلك زماناً حتى أصِبت بلَوعة. وفى أحد الأيّام وعندما كنت على عادتى فى روضة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه عند ضريحه المقدّس، خاطبته عاتباً: سيدى لقد طال توسّلى بكم ولم تجيبونى، وأنا لم أطلب منكم المال لأنّى تعلّمت من رواياتكم أنّ من يريد شيئاً فعليه أن يطلبه من مظانّه، وعلى طالب المال أن يتاجر، كما أنّى لم أطلب العلم الظاهرى، فإنّى أعرف جوابكم لمسألتى حسب العلم الظاهرى، وهو أنّ عليك أن تذهب وتتعلّم حتى تزداد علماً، ولم أطلب منكم شفاء مرض فى بدنى، لترشدونى إلى طبيب يعالجنى أو تمنّوا على بالشفاء، سوى أنّ لى حاجة لا يستطيع قضاءها إلا أنتم أهل البيت، فلقد أفنيت عمرى على أعتابكم أدرس أحاديثكم، واليوم وقد مرّت علىّ ثلاث سنوات أطلب فيها منكم جواباً لسؤالى لأعرف هل أنا مرضىٌّ عندكم؟ ولم أحصل على جواب منكم؟!

تأثّرت كثيراً حتى لقد أصابتنى حمّى شديدة وعدت إلى البيت ولم أستطع تناول العشاء، وكنت ما زلت رغم إحساسى بالعارضة والإعياء، أعيش حالة التضرّع والتوسل إلى الله تعالى وكان دعائى يخرج من القلب وليس من اللسان، حتى غلبنى النوم، فرأيت فى عالم الرؤيا الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه وقال لى: أطلب حاجتك من ابنى المهدى عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

فاستيقظت وتذكّرت أنّه كان ينبغى لى من البداية أن أتوجّه بحاجتى إلى الإمام المهدى عجّل الله تعالى فرجه الشريف لأنّه إمام عصرنا، فتوجّهت إليه بالزيارة والدعاء، ولم تمرّ علىّ ثلاثة أيّام حتى حضر عندى شخص ظننت بعد ذهابه أنّه إمامى الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، سألنى أسئلة فأجبته عليها والقصّة مفصّلة إلى أن التفت إلىّ وقال: أنت مرضىّ عندنا.

صحيح أنّ الشيخ كان معذوراً لأنّه لم يكن مقصّراً، ولكن هل يُعطى المعذور ما يُعطى البصير العارف المطيع الممتثل من الدرجات؟

فإذا كان الشيخ طه نجف قد بلغ درجة بحيث تشرّف بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف وسمع منه هذا الكلام، فعلينا أن نراجع أنفسنا مخافة أن نكون مبتلين بخصال نعاب عليها فتحول بيننا وبين درجة القرب من الإمام المهدى عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

فربّ خصال معيبة فينا ولا نعلم بها أو نعلم بوجودها ولكنّا لا نعلم أنّها معيبة، نسأل الله تعالى أن يخلّصنا منها، وأن نكون - قبل ذلك - أهلاً لإجابة الدعاء؛ لأن هناك شروطاً كثيرة لابدّ أن تتوفّر فى الداعى حتى يكون أهلاً لأن تستجاب دعوته، وقد عدّ السيّد ابن طاووس ستة عشر شرطاً لاستجابة الدعاء؛ فربّ شخص لا توجد مصلحة فى إجابة دعوته، الأمر الذى أفصح عنه الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف فيما ورد عنه فى دعاء الافتتاح من قوله: ولعلّ الذى أبطأ عنّى هو خير لى لعلمك بعاقبة الأمور.

لنكسب رضا إمامنا عجّل الله تعالى فرجه الشريف

ويلزم أن نعمل ونسعى لكسب رضا إمامنا المهدى المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف وأن نكون من الممتثلين لأوامره فى عصر غيبته أيضاً؛ لأنّ أوامره هى أوامر آبائه الطاهرين وأوامر جدّه الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله وأوامر الله تعالى.

صحيح أنّ القيام بالطاعات والانتهاء عن المعاصى والصبر عليها ليس بالأمر السهل دائماً، ولكن من دون ذلك لا يتحقّق رضا الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ولا تستجاب الدعوات.

فلابدّ للمؤمن أن يخصّص وقتاً من كلّ يوم للاستغفار ومحاسبة النفس؛ لئلّا يتعدّى حالة القصور إلى التقصير والعياذ بالله؛ فقد تصدر من الإنسان معصية ولكنّه لا يلتفت إليها وتفوته إمّا لحسن ظنّه بنفسه أو لكثرة مشاغله أو إنسائه الشيطان فهذا ديدن الشيطان، فكيف يقدر الإنسان أن يقاوم إن لم يحاسب نفسه كلَّ يوم، كما أوصى بذلك الأئمة الأطهار سلام الله عليهم. فثمّة روايات مستفيضة فى هذا الباب، منها ما روى عن الإمام أبى الحسن الماضى سلام الله عليه: ليس منّا من لم يحاسب نفسه فى كلّ يوم...

فلابدّ للمؤمن أن يكون يقظاً حذراً دائماً ويسعى لرفع الحواجز عن حوله، وأن يكون دعاؤه من الأعماق، وليس من الذين يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم أو الذين يقرأون القرآن والقرآن يلعنهم.

أو من الذين يغمضون أعينهم فى كسب المال ولا يعيرون اهتماماً فى كيفية كسبه كما كان حال ذلك الذى قال للإمام ...: وأغمضت ...

فعلينا أن نكون يقظين حذرين ناشدين رضا الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وعلينا التأسّى بعلمائنا الأبرار رضوان الله عليهم فى هذا المجال.

كان الميرزا حسين الخليلى والسيّد إسماعيل الصدر رحمهما الله من تلاميذ المجدد الشيرازى رضوان الله عليه، وكلاهما بلغا مقام المرجعية الدينية، وكانا أيّام درسهما على السيّد المجدّد زميلين يتباحثان معاً. واتّفق فى إحدى الليالى أن بات السيّد الصدر عند الشيخ الخليلى، فأيقظه الشيخ ساعتين قبل الفجر ودعاه للذهاب إلى حرم الإمامين العسكريّين سلام الله عليهما، قال السيّد الصدر: ولكن باب الصحن مسدود فى مثل هذا الوقت. فقال الشيخ: لا عليك، سيفتحونها عندما نصل.

وبعد أن أدّيا نوافل الليل فى الروضة المقدّسة، قال الشيخ: لنذهب إلى السرداب المقدّس لزيارة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف ثمّ نعود بعد الأذان إلى الروضة المقدّسة لأداء فريضة الصبح.

قال السيّد فى جوابه: لكن السرداب مغلق الآن. فأجابه الشيخ: لا بأس نزور الإمام من عند الشباك المطلّ على السرداب، والموجود فى صحن الإمام الهادى سلام الله عليه.

وبالفعل ذهبا عند الشبّاك وشرعا بزيارة الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وكانت أضوية السرداب مطفأة، ولم تكن المصابيح الكهربائية موجودة فى ذلك الزمان، بل كانت المصابيح النفطية أو الشموع.

يقول السيّد الصدر: لقد لاحظت أثناء زيارتى نوراً لا يشبه نور المصابيح متنقّلاً فى السرداب؛ ففركت عينى لاحتمال أن يكون قد غشينى نعاس أو خيال وما أشبه، إلاّ أنّى كنت متأكّداً من رؤيتى للنور وهو يتحرّك داخل السرداب، وكان ضوءه أنور من ضوء المصابيح.

يقول السيّد: أخبرت الشيخ بذلك فقال: هذا النور هو الذى أيقظنى وهو الذى يأتى بى كلّ ليلة إلى هذا المكان.

الفرق بين العيب والعائبة والنقص

فى هذه الفقرات الثلاث نرى أنّ الإمام السجّاد سلام الله عليه يسأل الله تعالى ثلاث حاجات، ولكنّه فى سؤاله عن كلّ حاجة يستعمل كلمة غير التى يستعملها فى السؤال عن الحاجة الأُخرى، فمع أنّ الإمام يطلب من الله تعالى فى هذه الفقرات إصلاح الحال وما تنطوى عليه النفس من نقائص، وتغييرها إلى ما هو أحسن، ولكنّه يعبّر عن النقص الأوّل بالخصلة المعيبة ويطلب من الله تعالى إصلاحها،

ويعبّر عن النقص الثانى بالعائبة التى يؤنّب بسببها ويسأل الله تعالى تحسينها، ويعبّر عن النقص الثالث بنقصان الأكرومة ويطلب من الله تعالى إتمامها.

فالخصلة التى تعاب بحاجة إلى إصلاح، والعائبة التى يؤنّب بسببها المرء ويلام تحتاج إلى تحسين، والأكرومة الناقصة تتطلّب إتماماً.

ولا شكّ أنّ الألفاظ التى استعملها الإمام تنطوى على بلاغة عالية وعلى عالم من المعانى والمفاهيم.

يمكن تقريب المطلب عبر أمثلة:

شخص سيّئ الخلق، كالعبوس المتجهّم.

شخص حسن الخلق ولكنّه خارج عن حدّ الاعتدال، ككثير المزاح والهزل.

شخص حسن الخلق مع بعض الناس دون بعض.

فهذه ثلاث حالات.

أمّا الشخص الأوّل (سيّئ الخلق) فهو بحاجة إلى إصلاح؛ لأنّ سوء الخلق فساد، والفساد يتطلّب إصلاحاً.

وأمّا الشخص الثانى (المبتلى بالإفراط رغم وجود الفضيلة عنده) فهو بحاجة إلى تحسين وضعه وحاله، لأنّ الإفراط عيب وليس فساداً لكى يُقلع بالمرّة؛ بل عنده فضيلة ولكن علق بها بعض الشوائب؛ فلابدّ من تحسينها وتشذيبها فقط.

وأمّا الشخص الثالث (الحسِن الخلق مع بعض دون بعض، أو الذى يمارس الفضيلة أحياناً دون أُخرى)، فهو ينطوى على أكرومة ولكنّها ناقصة؛ فيقتضى إتمامها. ومثالها: الشخص يكون حسن الخلق فى المجتمع ولكنّه ليس كذلك مع أهله، أو العكس، فمثل هذا الإنسان ليس سيّئ الخلق مطلقاً ليكون محتاجاً إلى الإصلاح، ولا حسن الخلق مع إفراط ليحتاجَ إلى تحسين، ولكنّه لا يتوفّر على بعض الفضائل وإن كان يتوفّر على بعض آخر، أو يتوفّر عليها ولكن ليس دائماً، أو مع بعض الناس دون بعض، فهو لذلك بحاجة إلى إتمام ما ينقصه.

وهكذا يتّضح أنّه كما ينبغى التدبّر فى آيات القرآن الكريم، بل قد يجب من باب مقدّمة الوجود - حسب الاصطلاح الأصولى - فكذلك ينبغى وقد يجب التدبّر فى أدعية المعصومين عليهم السلام ومواعظهم وأحاديثهم وآثارهم؛ فإنّ التدبّر فيها يكشف عن دقائق ونفائس فى طىّ كلماتهم تنير حياتنا.

خذ مثلاً كلمة (عائبة) وهى مؤنّث (عائب) والشىء العائب يحتاج إلى تحسين وترميم؛ كالسفينة إذا خرقت وأصبحت معيبة فإن لم ترمّم نفذ إليها الماء تدريجياً وآل أمرها إلى الغرق، كما نقرأ ذلك فى قصّة موسى والخضر عليهما السلام فى قوله تعالى حكاية عنهما:

?أمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أنْ أعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً.?

وهكذا الحال مع النفس الإنسانية إذا كان فيها عيب وخلل يلام عليه الإنسان، فلابدّ من ترميمها وإزالة ذلك الخلل والعيب؛ ولذلك يقول الإمام سلام الله عليه: ولا عائبة أُؤنّب بها إلاّ حسّنتها.

وإذا كان الأئمّة المعصومون سلام الله عليهم وهم فى أعظم مقام يمكن أن يبلغه مخلوق، يطلبون من الله دائماً أن يعينهم على التكامل، فما أحوجنا لأن نتوسّل بالله تعالى فى الإطار نفسه، فإنّ الإنسان كلّه نقص وافتقار لله تعالى، ومن ثمّ فهو مدين لله تعالى ويجب عليه أن يتوجّه إليه بالشكر على كلّ النعم سواء فى الأُمور المادّية أو المعنوية. حتّى نعمة الشكر على ما أنعم عليه، فإنّها تستوجب شكراً، ولذلك لا يتوقّف شكر الإنسان لله تعالى عند حدّ.

لقد أنعم الله تعالى على الإنسان بالنعم المادّية لكى يستطيع أن يزكّى نفسه، ومنحه القوى لكى يكتسب المعالى والفضائل.

الورع وترويض النفس

الورع وترويض النفس

يظهر من الروايات أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يستقبل شهر رمضان كلّ عام بخطبة، ولعلّ أشهر تلك الخطب فيه وأجمعها هى تلك التى يتوجّه الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه فى آخرها بالسؤال منه صلى الله عليه وآله قائلاً: ما أفضل الأعمال فى هذا الشهر؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد ذكر أُموراً عديدة فى خطبته الشريفة ممّا ينبغى للصائم عملها فى شهر رمضان، وحثّ المؤمنين عليها، ولكنّه لم يأت على ذكر أىّ واحدة منها فى جوابه للإمام، بل أجابه صلى الله عليه وآله قائلاً: الورع عن محارم الله.

ولكن هل يحصل الورع عند الإنسان بمجرّد أن يرغب به؟

بالطبع لا، لأنّ هناك موانع كثيرة تقف فى طريقه، كالشيطان والشهوات والنفس الأمّارة بالسوء، إذاً لابدّ من ترويض النفس وتمرينها للتغلّب على كلّ الصعوبات والموانع التى تصادفه فى كلّ مجالات الحياة لعدم صمود استعدادات الإنسان من دون ممارسة وتمرين.

صفة المتّقين

لقد وصف الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه المتّقين بقوله: فهم والجنّة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون. فرغم أنّهم لم يشاهدوا الجنّة أو النار بأعينهم الباصرة ولكنّهم ممتلئون يقيناً بوجودهما، فترى أحدهم يحلم ويصفح عمّن سبّه أو ظلمه لأنّه يعلم أنّه سينال بذلك درجة فى الجنّة، فهو سعيد منعّم حتّى فى هذه الحالة، لأنّه كمن يرى الجنّة ودرجة المحسنين فيها بعين البصيرة وإن لم يرها بالعين الباصرة.

إنّ الورع هو الذى يبلغ بالإنسان إلى هذا المقام، ولكن هل يتحقّق هذا دون سعى وعمل؟ إنّ القرآن الكريم صريح فى قوله تعالى: ?وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى. ?إنّ الله تعالى هو الذى يفيض على الإنسان وهو الذى يعطيه ولكن ذلك لا يتمّ إلاّ مع السعى والتمرين من قِبل الإنسان نفسه فضلاً عن الدعاء.

لو أنّ شخصاً تثق به أخبرك أنّه مستعدّ لتعويضك عن كلّ ما ستنفقه من أموالك فى مجال الخير بل يزيدك عليه شيئاً، فهل تتأخّر عن الإنفاق أم ستبسط يدك؟ لا شكّ أنّك لا تتأخّر عن الإنفاق لأنّك تعلم أنّ هناك من وعدك أنّه سيعوّضك عن كلّ ما ستخسره من أموال، وما ذلك إلاّ لأنّك تشاهد الشخص الذى تثق به عياناً، وترى أمواله وإمكاناته وتحسّ بعلاقتك المباشرة معه.

فهكذا يكون المتّقون فى تعاملهم مع الله تعالى؛ لذلك ترى الإنسان المتّقى لا يقول لماذا عمل معى فلان كذا مع أنّى خدَمته، بل لا يفكّر فى ذلك، لأنّه يؤمن بقوله تعالى?: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ ?بل تراه يتّهم نفسه دائماً، فقد روى عن أمير المؤمنين سلام الله عليه قوله: المؤمنون لأنفسهم متّهمون أى أنّ المؤمن يتّهم نفسه ويراها مقصّرة دائماً، وما دام الأمر كذلك تراه لا يتألّم ولا يقلق لمجرد أنّ شخصاً ما لم يردّ عليه إحسانه، وأمّا حاله مع سخط الله تعالى فتراه يحتاط حتّى فى قول كلمة واحدة ويحذر من أن تصبح له عاملاً إلى مؤاخذة الله عزّوجلّ.

نقل لى سجين سابق: أنّه كان جالساً مع زملائه فى السجن لتناول وجبة إفطار الصباح، إذ نودى باسم أحدهم للذهاب إلى المحكمة، وصادف أثناء النداء باسمه أنّه كان يحمل كوب الشاى بيده، فبدأت يده ترتعش خوفاً حتّى فرغ كلّ ما فى الكوب من الشاى، ثمّ سقط الكوب من يده إلى الأرض! كلّ ذلك لخوفه من المثول أمام محكمة المخلوق، بعد يقينه بوقوعها.

وهكذا ينبغى أن يكون حال المتّقين فى استقرار يقينهم بمحكمة الخالق، فما أعظمها وأعظم أهوالها.

من يرى الجنّة لا يبالى بالصعاب

نقل أحدُ مراجع التقليد من أرحامنا أنّه أيّام دراسته وقبل أن يتصدّى للمرجعية، عن أحوال السيّد أبى الحسن الإصفهانى أيّام مرجعيته،

قال: كنت قد كتبت استفتاءً للسيّد أبى الحسن ولم أشأ أن أزاحمه لأخذ الجواب منه فى الأوقات التى يكون فيها مشغولاً إمّا بالتدريس أو اللقاءات العامّة والخاصّة. فقرّرت أن أذهب إليه قبيل صلاة الفجر؛ لعلمى أنّه يكون مستيقظاً فى ذلك الوقت؛ لأنّه كان يصلّى صلاة الصبح جماعة فى روضة أمير المؤمنين سلام الله عليه، فذهبت قبل أذان الفجر بزهاء ساعة إلى بيته فرأيت المصباح مضاءً فطرقت الباب، وعندما خرج الخادم سألته فيما إذا كان السيّد مستيقظاً؟ فردّ بالإيجاب، فطلبت منه أن يخبر السيّد أنّ فلاناً عند الباب. فمكثت هنيهة حتى عاد الخادم واصطحبنى إلى داخل الدار، فرأيت السيّد والرسائل متناثرة بين يديه يجيب عليها، ففى بعضها استفتاءات، وفى بعضها الآخر حاجات يطلب أصحابها قضاءها.

فقلت للسيّد: أرسلت لكم منذ أيّام رسالة أستفتيكم فيها عن جملة مسائل كذا وكذا.

فقلّب السيّد الرسائل حتّى استخرج رسالتى ثمّ قال لى: عندما عدت إلى البيت كان بعض الأشخاص - كالعادة - ينتظرونني لقضاء بعض الحوائج أو للإجابة على أسئلتهم، وبعد أن خرجوا رأيت أن أنتهى من الإجابة على هذه الرسائل قبل تناول العشاء، فبقى الطعام على الموقد الذى تراه أمامك على نار هادئة والرسائل لم أستوفِ تمامها بعد والوقت قريب من الفجر ومنها رسالتك هذه. ثمّ تناول رسالتى فأجاب عليها.

فلا شكّ أنّ السيّد أبا الحسن الإصفهانى لم يكن آنذاك شابّاً بل كان شيخاً قد ضعفت قواه، وكان هذا الجهد المتواصل والبقاء دون عشاء حتّى الفجر لا يخلو من أثر سلبىّ على صحّته، ولكن عندما يكون الإنسان كمن قد رأى الجنّة فهو فيها منعّم، تكون روحه كبيرة تقوى على تحمّل الصعاب، وهكذا عندما يكون الإنسان كمن قد رأى النار فهو فيها معذّب، تراه يحتاط فى أُموره كثيراً؛ حذراً من الوقوع فى ما من شأنه أن يسخط الله تعالى.

لننتهز الفرص من أجل بناء أنفسنا

لينتهز كلّ منّا جميع الفرص - لا سيّما أيّام شهر رمضان - من أجل بناء نفسه، فإنّه لا حدّ لبناء النفس، ولا يتصوّر أحد أنّه سيصل الحدّ الذى يتوقّف عنده جهاد النفس وبناؤها، ولقد ذكرنا فى بداية البحث أنّ الإمام السجّاد سلام الله عليه يطلب فى هذه الفقرة من الله تعالى ثلاث خصال فى سبيل بناء النفس وتكاملها؛ فإنّه لا حدّ للتكامل والرقىّ أبداً حتّى عند المعصوم، مع أنّ العصمة هى أعلى درجات الرقى بالنسبة لسائر الناس

- ولن يبلغوها لأنّها خاصّة بأُولئك الذين اصطفاهم الله لبلوغ هذا المقام-

ولكن هذا لا يعنى التوقّف عن بناء النفس وتكميلها، فما أحرى بالإنسان أن يسعى لبلوغ منزلة فهم والجنّة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون.

بالسعى والتمرين يمكن أن يصل الإنسان إلى مرتبة فهم والجنّة كمن قد رآها، لأنّ هذا الأمر لا يتحقّق دفعة واحدة بل يتطلّب الممارسة والمواظبة من أجل الصعود درجة درجة؛ فإنّ الله تعالى جعل عالم الدنيا عالم الأسباب، فلا يمكن أن ينام الشخص ليلاً ثمّ يستيقظ صباحاً وقد تحوّل تحوّلاً كاملاً دفعة واحدة من الصفر حتّى بلوغ تلك المرتبة.

قد تحصل عند الإنسان حالة من التغيّر بسبب حالات خاصّة أو ظرف طارئ أو نتيجة التحرّز والاحتياط أو التأثّر بموعظة سمعها من خطيب أو وصايا قرأها لأهل البيت سلام الله عليهم، وربما اجتمعت عوامل عدّة فى خلق هذا التغيير عند الإنسان، فيشعر أنّ قلبه قد تنوّر بعض الشىء، فينعكس هذا على سلوكه ومشاعره نحو الأفضل، ولكن هذه الحالة قد لا تستمرّ معه أبداً، وسرعان ما تبدأ بالذوبان كقطعة الثلج التى تذوب تدريجياً، وإذا به بعد أسبوع مثلاً يعود إلى سابق وضعه وحاله، وما ذلك إلّا لفقدانه المموّن الذى يمدّه بالرصيد الذى يستمدّ منه الفيض بإستمرار، أمّا إذا لم يفقده فإنّه سيبقى على تلك الحالة بل يزداد تصلّباً وتماسكاً فيها - كقطعة الثلج التى تحفظ فى المجمّدة - وشهر رمضان خير مموّن للإنسان فى هذا المجال، فلنستثمر أيّامه ولياليه وساعاته ومناسباته وأدعيته العظيمة.

فلنقرأ فى كلّ ليلة مثلاً مقاطع من دعاء أبى حمزة الثمالى بتأمّل وتدبّر، متمعّنين عند كلّ مفردة أو جملة أو فقرة منه؛ لأنّ قراءة الدعاء والمواظبة عليها تخلق هى الأُخرى ارتكازاً وحالة فى النفس تساهم مع التأمّل والتدبّر فى بعض فقراته فى البلوغ بالداعى نحو مرحلة (فهم والجنّة كمن قد رآها)، وتعين العبد على أداء أفضل الأعمال فى هذا الشهر وهو (الورع عن محارم الله).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد نبّه المسلمين فى خطبته التى استقبل فيها شهر رمضان المبارك على استثمار هذا الشهر استثماراً حقيقياً، ومن جملة ما قاله صلى الله عليه وآله: أيّها الناس إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم. وهذا معناه أنّ كلّ عمل نقوم به مهما كان صغيراً فإنّه يرهن أنفسنا. فالنظرة، والكلمة، وكلّ عمل يصدر عنّا يجعلنا رهائن، ولا نستطيع أن نفكّ أنفسنا منها إلاّ بالاستغفار.

ولا ـ يشترط أن تكون الأعمال التى نقترفها كبيرة لكى نصبح رهائن لها، بل كلّ عمل كفيل بأن يرهن صاحبه مهما كان صغيراً؛ قال تعالى?: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ? وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ. ?فمن القطرات يتكوّن ماء المطر ومن القطرات يتكوّن السيل العرم الذى يقلع الأشجار ويجرف البيوت.

إنّ الإنسان مسؤول عن كلّ صغيرة وكبيرة، كما ورد فى الحديث الشريف: ألا ـ وإنّ الله عزّ وجلّ سائلكم عن أعمالكم، حتى مسّ أحدكم ثوب أخيه بإصبعيه فلعلك تضع إصبعك على الثوب تريد معرفة نوعه أو لغاية أُخرى، ولا يكون صديقك راضياً بذلك، فإنّك إن فعلت ذلك ستسأل عنه يوم القيامة.

وفى الحديث أيضاً: لا يحلّ مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه. يقول العلماء: إنّ النكرة فى سياق النفى تفيد العموم، وبما أن جملة «مال امرئ مسلم» نكرة، وعبارة «لا يحلّ» نفىٌ، إذاً تكون جملة «لا يحلّ مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه» مفيدة للعموم، ويندرج تحتها أيضاً المورد المذكور فى الحديث المتقدّم (حتى مسّ أحدكم ثوب أخيه) وإن كان فى مستواه الأدنى وليس الأعلى، كالسرقة والعياذ بالله.

أى أنّ الإنسان سيسأل يوم القيامة حتّى عن النفخة ينفخها، كما لو نفخ فى وجه إنسان يتأذّى من ذلك فإنّه سيعاقب عليه، وعكسه لو نفخ فى نار قدر إطعام المشاركين فى عزاء الإمام الحسين سلام الله عليه مساهمة منه فى تعظيم شعائر الله تعالى فإنّه سيثاب على ذلك.

وهكذا تجد الإنسان الورع يحتاط فى كلّ أعماله؛ لأنّه هو والجنّة كمن قد رآها فهو فيها منعّم، وهو والنار كمن قد رآها فهو فيها معذّب.

الورع واجب فى كلّ حال

ثمّ إنّ الورع واجب دائماً وليس فى شهر رمضان فقط، وهو واجب على كلّ مكلّف.

أمّا كيف صار الورع واجباً فجوابه: لمّا كان ترك المحرّمات واجباً مطلقاً، وكان الورع – وهو تحصيل ملكة ترك المحرّمات – مقدّمة وجودية له، والمقدّمة الوجودية للواجب المطلق واجبة (من باب إذا وجب شىء وجبت مقدّمته)، إذاً يكون الورع واجباً على المكلّف.

وهذا من قبيل ما ورد فى عبارات الفقهاء: «يجب على كلّ مكلّف أن يكون فى عباداته ومعاملاته مجتهداً أو مقلِّداً أو محتاطاً»، فإنّه أيضاً وجوب نشأ من نفس الطريق وهو كونه مقدّمة وجودية للواجب المطلق.

ثمّ إنّ الورع لا يأتى من فراغ وهكذا اعتباطاً، كما تقدّم، ولا يكفى الدعاء أيضاً فى حصوله بل لابدّ من أن يسعى الإنسان لتحصيله عبر الممارسة والمواظبة والاستفادة من المناسبات التى وفّرها الله تعالى للإنسان المؤمن كمناسبة شهر رمضان المبارك مثلاً، فلنحاول أن نختار فى كلّ يوم من هذا الشهر الفضيل وهكذا فى سائر شهور السنة إحدى الإرشادات الدينية، ونعزم ونصمّم على تطبيقها، فإنّ الأمر بحاجة إلى عزيمة، وكما ورد عن الإمام الرضا سلام الله عليه: فإنّما هى عزمة والتاء فى قوله «عزمة» للمبالغة وليست للتأنيث.

وروى عن الإمام أبى الحسن الماضى عليه السلام أنّه قال: ليس منّا من لم يحاسب نفسه فى كلّ يوم.

وعبارة (كلّ يوم) غير مختصّة بشهر رمضان كما هو واضح، ولكن لنفعل ذلك فى شهر رمضان على الأقلّ أو لنبدأ منه.

ولقد روى فى هذا المجال أيضاً عن النبىّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، ووبّخوها قبل أن توبّخوا.

حذار ألّا ننتصح بما ننصح

ولنحذر نحن - أهل العلم خاصّة - أن نكون يوم القيامة مصداقاً لما ورد فى الحديث الشريف: أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثمّ خالفه إلى غيره.

ولو لم ترد هذه الرواية أمكننا إدراك ذلك الأمر بالتأمّل، كما يفترض بنا الاهتداء والاقتداء بأقوال وأفعال الأئمّة سلام الله عليهم الذين يعلّموننا ما هو الخطأ وما هو الصواب، ويمكننا القول إنّ هذا ممّا يمكن استفادته حتّى من عموم رواياتهم الأُخر.

حقّاً ما أعظم حسرة الإنسان وهو يرى نفسه متردّياً خاسراً؛ لعدم استرشاده بالنصح الذى قدّمه لغيره، فى حين يرى أنّ من نصحه قد أخذ بنصحه ونجا وفاز يوم القيامة.

إنّ الطريق إلى فهُم والجنّة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون طويل جدّاً، لكن هذا لا يعفينا من المسؤولية أبداً، بل علينا أن نسير فيه دوماً، ولقد وعد الله تعالى عباده الساعين والمتوكّلين عليه بالتوفيق، وهو تعالى صادق الوعد، فلنترفّع عن صغائر الأُمور ونضاعف من اهتمامنا بأُمور الآخرة عسى الله تعالى أن يأخذ بأيدينا ببركة أهل البيت سلام الله عليهم ويجعلنا من المستفيدين من شهر رمضان المبارك لكى نرى أنفسنا بعد انصرامه وقد تغيّرنا نحو الأفضل، وازددنا ورعاً وتقوى واقتراباً من حال الذين هم والجنّة كمن قد رآها...

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى محمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَبْدِلْنى مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَئانِ المحبَّةَ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ البَغْيِ المَوَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلاحِ الثِقَةَ، وَمِنْ عَداوَةِ الأَدْنَينِ الْوِلايَةَ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِى الأَرْحَامِ المبرَّةَ، وَمِنْ خِذْلانِ الأَقْرَبينَ النُّصْرَةَ، وَمِنْ حُبِّ المُدارِينَ تَصْحِيحَ المِقَةِ، وَمِنْ رَدِّ المُلابِسينَ كَرَمَ العِشْرَةِ، وَمِنْ مَرارَةِ خَوْفِ الظَّالِمينَ حَلاوَةَ الأَمَنَةِ.

?إبدال الشنآن والبغى إلى المحبّة والمودّة

?إبدال الظنّة والعداوة إلى الثقة والولاية

?إبدال العقوق والخذلان وتطوير المداراة

?طلب فنّ المعاشرة، والأمن من الظالمين

إبدال الشنآن والبغى إلى المحبّة والمودّة

إبدال الشنآن والبغى إلى المحبّة والمودّة

هذه فقرة أُخرى من دعاء مكارم الأخلاق يفتتحها الإمام السجّاد سلام الله عليه بالصلاة على النبى وآله الأطهار سلام الله عليهم، ثمّ يطلب من الله تعالى تسعة مطالب فى تسع جمل نتناول فى هذا الفصل المطلبين الأوّلين منها، حيث يقول الإمام: وأبدلنى من بغضة أهل الشنآن المحبّة ومن حسد أهل البغى المودّة.

ما المقصود بالشنآن، ومن هم أهل الشنآن؟

البغض والعداوة وسوء الخُلُق أمور مذمومة، ولكلّ منها معنى، فقد يكون الشخص مبغضاً ولكنّه ليس معادياً، وقد يجمع الخصلتين ولكن من دون سوء خُلُق، وقد يجمع سوء الخُلُق إلى البغض والعداوة، ولذا فُسّر الشنآن لغةً بالبغض والعداوة مع سوء الخُلُق؛ كما

فسّروا قوله تعالى?: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ.?

وقد يكون الإنسان نفسه محفّزاً لمن يشنأه نتيجة أعماله السيئة، فيكون من مصاديق قوله تعالى?: وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ،? وقد يبتلى الشخص بأهل الشنآن من غير أن يكون جالباً لهم بسوء خلق وغير ذلك، ومثاله: لو رُزق بجمال أو حسن خُلُق أو ذهن وقّاد أو نعم أُخرى، فيشنأه أهل الشنآن لذلك.

عندما نتأمّل فى دعاء الإمام السجّاد سلام الله عليه نجد أنّه عدل عن استعمال كلمة الشانئ أو الشانئين إلى «أهل الشنآن»، ولابدّ أن نتدبّر قليلاً لمعرفة السبب. فتارة يكون الشنآن عفوياً، وتارة يكون بمنزلة الحرفة عند بعض الناس، كما أنّ للعلم والتجارة وغيرهما أهلاً بحيث يصدق عليهم أنّهم علماء أو تجّار، ولا يصدق على من تعلّم مسألة أو بعض المسائل الشرعية أنّه من أهل العلم، أو من ربح فى صفقة واحدة أو صفقتين اتّفاقاً، أنّه من أهل التجارة؛ إذ لا يقال للشخص أنّه من أهل العلم مثلاً ما لم يكن جنّد نفسه للدراسة حتّى عدّت كالحرفة له.

لذلك يطلب الإمام سلام الله عليه من الله تعالى أن يبدله المحبّة ليس فقط من بغضة أىٍّ كان ولا أىّ شانئ، بل يطلب من الله تعالى أن يبدله من بغضة أهل الشنآن الذين طبيعتهم وشغلهم وديدنهم الشنآن.

كيف نتعامل مع أهل الشنآن؟

ماذا بوسعكم أن تفعلوا للتخلّص من أُناس هذه شيمتهم؟ إلّا أن يتوجّه الإنسان إلى الله تعالى بالدعاء ويقول له كما علّمنا الإمام السجّاد سلام الله عليه: اللهمّ وأبدلنى من بغضة أهل الشنآن المحبّة.

يُنقل أنّ شخصاً مرض وأوشك على الموت فقال لابنه: اذهب وادعُ لى فلاناً وفلاناً - وسمّى له بعض الأشخاص - وعندما حضروه التفت إليهم وهو مسجّىً على فراش الموت قائلاً: إنّ لكم جميعاً علىّ حقوقاً وأرجو أن تحلّلونى منها، فإنّى قد أُفارقكم الساعة.

تعجّب القوم وسألوه مستغربين: لا نعرف لنا عليك حقوقاً، فهلّا عرّفتنا بها.

قال: دعوكم من هذا وتفضّلوا علىّ بالعفو لأنّى أُوشك على الموت.

ولكنّهم أصرّوا على معرفة حقوقهم. ولمّا رأى إصرارهم التفت إلى الأوّل وقال: أتذكر حينما احترق بستانك واتّهمتَ فلاناً من الناس وحكم عليه القاضى، أنا الذى حرقتها وليس ذلك المسكين.

وزاد فضول الشخص لمعرفة تفاصيل القضية، فالتمسه أن لا يبخل بسردها عليه. فقال له: لقد دار نقاش محتدم فى أحد الأيّام بينك وبين زيد، فهدّدك بحرق نخيلك، وكنتُ أسمع كلامكما فجئت فى منتصف الليل وقمت أنا بإحراقها، وحيث إنّ زيداً كان قد هدّدك أُلبست فى حقّه التهمة وأُودع السجن.

ثمّ التفت إلى الثانى وقال له: إنّ المشكلة التى نزلت بك فى يوم كذا أنا افتعلتها. وهكذا أخذ يعدّد لهم مكايده واحدة بعد الأُخرى.

إنّ الدعاء والتوجّه إلى الله تعالى هو الكفيل بأن يخلّص الإنسان من شرور أشخاص كهذا، لأنّ كثيراً من الناس لا يدرون من الذى يتربّص بهم ليوقعهم فى حفر المشاكل والمصائب.

هذا فى حين إنّ دعاءً صغيراً - قد لا يستغرق دقائق - يتوجّه به الإنسان إلى الله تعالى كفيل بأن ينجيه من الوقوع فى مشاكل قد تدوم عقوداً ولا يعرف كيف الخلاص منها. وفى يوم القيامة يدرك الإنسان أنّه لو كان قد دعا ربّه بذلك الدعاء لما ابتلى هذه المدّة الطويلة، ولكن ماذا يجدى وقد ذهبت السنوات من عمره سدىً، ولات حين مندم.

دعم الدعاء بالعمل

الدعاء والعمل يكمل أحدهما الآخر ولا ينفع أحدهما من دون الثانى إلّا إذا كان الإنسان عاجزاً إلّا عن الدعاء؛ قال تعالى?: وَأَنْ لَيْسَ

للإنْسَانِ إلاّ مَا سَعَى.?

وقال أيضاً?: قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ.?

وفى هذا المجال إبدال بغضة أهل الشنآن بالمحبّة كما فى غيره من المجالات، ينبغى للإنسان بمقدار علمه أن يسعى إلى جانب الدعاء، لكى يبدل أهل الشنآن إلى محبّين؛ كما فى قوله تعالى?: اِدْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ.?

ففى هذه الآية الكريمة نكتة لطيفة يمكن استفادتها من كلمة «ادفع»؛ لأنّ الدفع فى اللغة كالوقاية من المرض،كما أنّ الرفع كالعلاج منه. فمثلاً- إذا دخل لصّ داراً فإنّه عند محاولة إخراجه يكون هذا سعياً لرفع السرقة، وأمّا إذا أُقفلت الأبواب بوجه اللصّ قبل دخوله الدار فهذا يعنى دفع السرقة قبل وقوعها والحؤول دون دخول اللصّ إلى الدّار.

وفى المقام يرشدنا الله تعالى إلى دفع السيّئة (أى الحيلولة دون وقوعها) بالتى هى أحسن منها كفعل الخير والصلة وما أشبه.

أمّا النتيجة من الدفع بالتى هى أحسن، فقد أشارت إليها الآية نفسها فى قوله تعالى?: فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ،? أى أنّه سيحبّك بقلبه ويدرأ عنك بجوارحه وطاقاته.

ولا يخفى أنّ الإحسان إلى المسيئين يحتاج إلى عزيمة قوية؛ ولذلك عبّرت الآية نفسها عن هذه الخصلة بقوله تعالى?: وَمَا يُلَقَّاهَا إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيم.?

وبقدر ما يكون الصبر على الإساءة تكون النتيجة مُرضية، وإنّ هذا التوفيق الإلهى وإن كان يحتاج إلى حظّ عظيم إلاّ أنّ مفتاحه بيد الإنسان نفسه.

الاقتداء بعلمائنا الأعلام

فى تاريخ علمائنا الأبرار فضلاً عن سيرة أهل البيت سلام الله عليهم الكثير من القصص التى يمكن للإنسان أن يستضىء بها.

لقد ذُكر فى أحوال الخواجه نصير الدين الطوسى رحمه الله (صاحب كتاب تجريد الاعتقاد) أنّ شخصاً كتب له رسالة وجّه له فيها سبّاً لاذعاً، كما تجاوز عليه بقوله (ياكذا)، فأجابه الشيخ وكان عالماً ووزيراً مقتدراً: وأمّا قولك أنّنى كذا فهذا غير صحيح لأنّ الكذا يمشى على أربع وأنا أمشى على اثنين، والكذا فصله «نابح» وأنا فصلى «ناطق»!

لنراجع أنفسنا ونرى هل نستطيع أن نكون هكذا فى الخُلُق الرفيع الذى تحلّى به هذا الشيخ العالم الذى لم يكن عاجزاً - لا من حيث قوّة القلم والبيان ولا- من حيث السلطة - أن يقابله بأشدّ من قوله؟ ولكنّه تلميذ مدرسة أهل البيت الذى تعلّم منهم الصبر والأخلاق الرفيعة.

كما نقل لى أحد الأشخاص - وكان هو الواسطة بين السيّد أبى الحسن الإصفهانى قدّس سرّه وشخص آخر لا أعرفه كان يكيل السباب والشتائم للسيّد، أى كان شانئاً له - قال:

فى أحد الأيّام قلت للسيّد أبى الحسن الإصفهانى - وكان قد بلغه أمر الرجل-: ماذا نصنع معه؟ قال: أنت صديقه، فلا بأس أن تغتنم إحدى المناسبات لنذهب معاً إلى زيارته.

فقلت له: سيّدنا أتزوره؟

قال: نعم.

فسررت كثيراً لذلك لأنّى كنت أُحبّ أن تحلّ المشكلة، لأنّ ذلك الشخص كان صديقاً لى وكان شخصية اجتماعية أيضاً، فكنت أستاء كثيراً من تصرّفاته تلك، خصوصاً وأنّ السيّد كان مرجعى فى التقليد، فضلاً عن العلاقة به.

وامتثالاً لطلب السيّد فى زيارته كنت كلّما ذكرت اسم السيّد عنده لأُقنعه بزيارته له، كان يردّ ولا يدع مجالاً لذلك الحديث، حتّى

مرض فى أحد الأيّام، فأخبرت السيّد الإصفهانى بالأمر، وقلت له: إنّها فرصة مناسبة. وجئت للرجل وقلت له: أنت مريض والناس يعودونك، فربما يعودك السيّد أبو الحسن الإصفهانى.

فإذا به يلتفت إلىّ قائلاً: بعد أن بلغه منّى ما بلغ، لا أظنّه يفعل!

قلت: أنت تعرف السيّد فهو يزور الجميع، ويعود المرضى.

ثمّ التفتُّ إليه أخرى وقلت: هب أنّ السيّد جاء لعيادتك، ماذا أنت صانع؟

قال: أستقبله بما يكره، ولا أقوم له!!

قلت له: افرض أنّه ليس من وصايا الإسلام الأكيدة احترام المؤمن، ولنفرض أنّك لا تلتفت إلى أنّه عالم دين، ومن سلالة البيت النبوى الطاهر، ولكن هل يسوغ لك أن تخدش حرمة شخص جاء لزيارتك وحلّ ضيفاً عليك، وأنت رجل عربىّ؟!

فتأمّل هنيهة، ثمّ قال: إذاً لا أُكلّمه، ولا أقوم احتراماً له!

فذهبت إلى السيّد وأخبرته بالأمر، وجئنا سويّة لعيادة الرجل، وحينما دخلنا تظاهر أنّه لا يستطيع القيام من شدّة المرض، مع أنّه كان يستطيع! وأخذ يتثاقل فى جواب السيّد ولا يجيب إلا بقدر الضرورة، ولكن السيّد ظلّ يلاطفه ويسأل أحواله وهو يجيب بكلّ برودة.

واستمرّ السيّد يلاطفه بأخلاقه الحسنة حتى انجلت الغبرة عن صدره، بحيث عندما همّ السيّد بالمغادرة قام الرجل لمشايعته إلى الباب!

وسألته بعد ذلك: كيف وجدتَ السيّد؟ قال: بعد إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا شخص أفضل منه على الإطلاق!

وهكذا صار هذا الشخص وليّاً حميماً للسيّد بعد أن كان عدوّاً لدوداً؛ لأنّ السيّد قدّس سرّه عمل بقول الله تعالى ?: اِدْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أحْسَنُ فَإذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ.?

أهل البغى وكيفية التعامل معهم

يقول الإمام سلام الله عليه بعد ذلك: ومن حسد أهل البغى المودّة.

البغى أصله من الحسد، ثمّ سمّى الظلم بغياً؛ لأنّ الحاسد يظلم المحسود، والحسد منشأه القلب، ولكن لا يحاسب عليه الإنسان إلا إذا انعكس أثره على الجوارح؛ ولذلك ورد فى حديث الرفع المروى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: رُفع عن أمّتى تسع ... والحسد والطيرة و ... ما لم ينطق بشفة ولا لسان.

وأمّا قوله سلام الله عليه: أهل البغى فيعنى من ديدنهم البغى، كما تقدّم فى قوله عن أهل الشنآن.

وأمّا المودّة فهى المحبّة الظاهرة؛ فقد يحبّ الإنسان شخصاً ولكنّه لا يظهر هذا الحبّ فهذا لا يسمّى مودّة، أمّا إذا كان يحبّه ومع ذلك يظهر ذلك الحبّ فهذه هى المودّة.

وفى هذا الدعاء يطلب الإمام من الله تعالى أن يخلّصه ليس من حسد الباغى العادى فقط بل من حسد أهل البغى أى من بنى أمره على البغى، ويبدل حسده ليس إلى محبّة فقط بل إلى مودّة أيضاً وهى الحبّ مع إظهاره.

هنا أيضاً لا يكفى الدعاء وحده بل لابدّ للمؤمن أن يسعى بعمله لتجنّب أهل البغى وتبديل حسدهم إلى مودّة؛ فإنّ الإمام سلام الله عليه يطلب من الله تعالى أن يخلّصه من السلبيات الموجودة فى المجتمع ويلفت نظر المؤمنين إليها أيضاً.

أمّا كيف نتصرّف مع أهل البغى، فلنا فى أئمّة الهدى صلوات الله عليهم قدوة، فلنقتدِ بأئمّتنا وعلمائنا من بعدهم؛ لأنّ ردّ الصاع بصاعين سهل إذا كانت لدى الشخص المقدرة، ولكنّ الصبر أصلح وأجدر أن يعمل به، وإن كان أصعب.

لا شكّ أنّ بلوغ هذه الدرجة العالية يحتاج إلى رياضة نفسية مستمرّة. لذا علينا بالمواظبة على قراءة هذه الأدعية بإمعان وتدبّر، والسعى للعمل بما توجّهنا إليه، والطلب من الله تعالى أن يوفّقنا فى ذلك.

إنّ الإمام المعصوم يطلب من الله تعالى حاجات، ويعلّمنا أيضاً – نحن المسلمين – كيف ندعو الله تعالى ونطلبها، ومن هذه الحاجات ما

هى دنيويـة، ومنها ما هى أخروية؛ إذ الدنيا والآخرة عالمان متشابكان كتشابك أصابع اليدين، فلا ينال الإنسان الجنّة إلا بعمله فى هذه الحياة الدنيا.

إنّ الإمام السـجّاد سـلام الله عليه يسأل الله تعالى أن ينجّيه من أُمور قد حدّدها، وأن يبدلها إلى أضدادها أو نقائضـها. فالإمام سـلام الله عليه لم يطلب من ربّه الكريم أن ينجّيه من البغضة والحسد والظنّة والعداوة فقط، وإنّما يرتجى منه سـبحانه أن يبدّل تلك الخصال عند أهلها إلى نقائضها وأضدادها بأرفعها وأسماها. يقول الإمام سلام الله عليه: ومن حسد أهل البغى المودّة.

إنّ من أهمّ الأمور التى يطلبها الإمام من ربّه تغيير حالـة حاسـده وإبـدال حسـده إلى مودّة، فالحاسـد بطبيعته يتربّص الـدوائر بمحسوده ويتحيّن له الفرص للبغى وإلحاق شتّى أنواع الأذى به.

وكان يمكن للإمام أن يقول: (ومن حسـد الباغين) ولكنّه عـدل إلى عبارة أهل البغى، لأنّ الباغى قـد يصـدق حتّى على من صـدر منه البغى مرّة أو مرّتين، أمّا أهل البغى فهم الـذين ديـدنهم الظلم وشـيمتهم البغى وعادتهم إيـذاء الآخرين. وهذا معناه أنّ الإمام يطلب من الله تعالى أن يعالج له أصعب الحالات السلبية التى قد يبتلى بها الناس عادة.

إنّ الإمام يطلب من الله تعالى أن يبـدّل هـذه الحالـة التى تمثّل أدنى درجات السـلبية إلى المودّة وهى أعلى درجات الحبّ والتى تعتبر الخصلة المناقضة لحسد أهل البغى.

إبدال الظنّة والعداوة إلى الثقة والولاية

إبدال الظنّة والعداوة إلى الثقة والولاية

يقول الإمام السجّاد سلام الله عليه بعد ذلك: ومن ظنّة أهل الصلاح الثقة، والظنّة – بكسر الظاء –: التهمة.

وههنا لابـدّ من وقفـة أيضاً؛ تارةً يتّهم الإنسانَ شـخصٌ فاسق ويظنّ به سوءاً فهـذه حالـة عاديـة؛ لأنّ من طبيعـة الفسّاق أن يظنّوا بالناس السوء.

وتارةً يكون المتّهِمون للإنسان والظانّون به سوءاً هم أُناس عاديون أى ليسوا فسّاقاً ولا على درجة مشـهودة من الصلاح والفضل، وهذه الحالة قد تهون أيضاً.

ولكن ماذا لو أنّ التهمة وظنّة السوء صدرت تجاه الإنسان من أناس صالحين؟ لا شكّ أنّ الأمر يختلف فى هذه الحالة.

فكيف إذا كـان المتّهِم للإنسـان من وصـفهم الإمام بأهل الصـلاح، أى شـيمتهم الصـلاح؟ هنا تكون الطامّـة الكبرى؛ وذلك لأنّ أهل الصـلاح لا يتّهمون أحداً جزافاً، ولا يتسرّعون فى إصدار الأحكام بلا رويّة، بل يحتاطون فى أُمورهم كثيراً ويحملون أفعال الناس على محامل حسنة ما استطاعوا، لتقيّدهم بالشرع وأحكامه، وعملهم بما روى من أنّه احمل فعل أخيك على سبعين محملاً.

وكما أنّهم لا يتّهمون أحداً جزافاً، كذلك فهم لا يثقون بأحد سـراعاً، بل إنّهم يرجعون إلى مقاييسـهم الشرعية والعرفية، ولهذا لو اتّهم أهل الصلاح أحداً ما، حصل الظنّ بأنّ هناك سبباً وراء ذلك.

ثمّ إنّ الإمام سـلام الله عليه لا يكتفى بطلبه من الله تعالى أن يـدفع عنه تهمة من يُحسَب لتهمهم حساب وهم الذين دأبوا على الصـلاح حتّى عُرفوا بأهل الصلاح بل يطلب إبدالها إلى الثقة وحسن الظنّ.

كما نلاحظ أيضاً وجود الفاصلة الكبيرة والبون الشاسع بين الظنّة والثقة، حيث يطلب الإمام من الله تعالى استبدال الظنّة بالثقة.

إبدال عداوة الأدنين إلى الولاية

فإذا انتقلنا إلى الجملة الثالثة من هذا المقطع من الدعاء نرى أنّ الإمام سـلام الله عليه يعلّمنا أيضاً أن ندعو الله تعالى ونطلب منه أحسـن

الطلبات وأعلاها بعد التخلّص من أسوأ الحالات وأدناها فيقول: ومن عداوة الأدنين الولاية أى أبدلنى من عداوة هؤلاء القوم ولاية ومحبّة.

فلفظة الأدنين جمع الأدنى وهو اسم التفضيل من الدناءة والدنوّ؛ ذلك أنّ الشخص قد يكون قريباً ظرفيّاً فيقال عنه دانٍ، ويجمع على «أدنين»، وقد يكون إنساناً سيّئاً أى فيه دناءة وحقارة؛ فيقال عنه دنيء.

ولا ريب أنّ الإمام سلام الله عليه يقصد المعنى الثانى فى قوله: أدنين، لأنّه سيشير إلى ذلك المعنى الذى يكون المعنى فيه ظرفيّاً فى قوله بعد ذلك: ومن خذلان الأقربين.

والتفضيل - فى اسم التفضيل - يكون فى اللغة بواسطة أحد ثلاثة أنحاء: هى حرف الجر «من» و «الإضافة» و «أل» التعريف، فيكون مقيّداً فى الحالتين الأُوليين، ومطلقاً فى الحالة الثالثة. فلو قلنا: (زيد أدنى من عمرو) فهذا لا يعنى بالضرورة أنّه الأدنى مطلقاً، فقد يكون الأرفع بالنسبة لغيره ولكنّه أدنى من عمروٍ خاصّةً، وهكذا إذا قلنا: (زيد أدنى ثقيف) فإنّه لا يعنى أيضاً أن يكون الأدنى مطلقاً، وإن توسّعت نسبة دناءته، حتّى بلغت تقاس بقوم، ولكنّه قد لا يكون كذلك بالنسبة لقوم آخرين.

أمّا إذا قلنا: (الأدنى) كما فى عبارة الدعاء فإنّ التفضيل هنا يفيد الإطلاق، أى يكون زيد أدنى من كلّ ما يُتصوّر؛ لعدم تقييده بشخص ما أو بقوم أو مكان أو زمان أو غير ذلك.

إذا اتّضح هذا نقول: إنّ الإمام سلام الله عليه فى هذه الجملة أيضاً لم يكتفِ بطلبه من الله تعالى أن يخلّصه من العداوة فقط، بل يطلب تبديلها إلى محبّة، بل قمّة المحبّة وهى الولاية - كما سنبيّن لاحقاً - كما أنّ الإمام لم يكتف بطلب ذلك الاستبدال على المستويات العادية بل ترقّى إلى طلب إبدال أشدّ الحالات سوءاً بأفضل الحالات حسناً.

بيان ذلك: إذا كان الشخص الدنيء يبحث عن المشاكل عادة ويسبّب بطبعه متاعب للآخرين، فإنّ الأدنى يكون أشدّ كَلَباً، لذا فالإمام سلام الله عليه يعلّمنا كيف نطلب من الله تعالى أن يبدّل هذه العداوة - التى هى ليست عداوة كلّ أحد ولا عداوة الدانى فقط. ولا حتّى عداوة من هو أدنى بالنسبة لقومه بل عداوة الأدنى مطلقاً - إلى محبّة بل إلى ولاية.

معنى الولاية فى الدعاء

إنّ الولاية غير الصداقة والصداقة غير الصحبة، فتارةً يكون الشخص صاحباً لك أو رفيقاً وزميلاً، وتارةً يكون صديقاً، والصداقة أعلى درجة من الصحبة، لأنّ الصديق من صدَقَك، ولا يشترط فى الصاحب والرفيق ذلك؛ عن سعيد بن الحسن قال: قال أبو جعفر عليه السلام: أيجيء أحدكم إلى أخيه فيدخل يده فى كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟ فقلت: ما أعرف ذلك فينا. فقال أبو جعفر عليه السلام: فلا شيء إذاً. قلت: فالهلاك إذاً. فقال: إنّ القوم لم يعطوا أحلامهم بعد.

وأعلى من الصداقة المودّة، وأعلى منها الولاية - بفتح الواو - لأنّ الولاية ليست صرف المحبّة حسب، بل المحبّة المقرونة بالصداقة والمودّة، وإظهارها مع الانصياع التامّ لمن تتولّاه.

أمّا الولاية - بالكسر - فهى الحكومة، على أى مستوى كان، فإذا قبلتَ ولاية أحد عليك فهذا معناه أنّك قبلت أن يكون رئيساً أو قائداً لك؛ ومن ذلك قوله تعالى?: وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَهَ وَرَسُولَهُ.? ...

الخلاصة: إنّ الإمام فى هذا المقطع من الدعاء يطلب من الله تعالى أن يبدّل عداوة الأدنين - وهى أشدّ العداوة - إلى الولاية وهى أعلى المحبّة.

ضرورة التدبّر فى كلمات الدعاء

ثمّة نقطة ينبغى الالتفات إليها، وهى أنّ هذه الأدعية المرويّة عن الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم ليست دعوة منهم لترك الأُمور

على الله تعالى يعالجها بطريقة إعجازية دون أن يحرّك الداعى نفسه باتّجاه معالجتها؛ بل الأمر على العكس من ذلك، فإنّ هذه الأدعية تنهض بدور بيان السلبيات الموجودة فى المجتمع لكى يعيها المتديّنون ويسعوا لتلافيها.

أذكر مسألة تنفعنا فى إيضاح المطلب، وهى: أنّ هناك بحثاً ونقاشاً بين العلماء فى قضية الأوامر غير الاختيارية التى يكلّف الله بها عباده وكيفية توجيهها. ومثال تلك الأوامر قول الله تعالى فى كتابه المجيد خطاباً لنبيّه الكريم صلى الله عليه وآله?: قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى، ?فإنّ منطوق هذه الآية يبيّن أنّ الله تعالى يأمر المسلمين بمودّة آل البيت النبوى الطاهر، والسؤال هو: إذا كانت المودّة تعنى المحبّة مع إظهارها، وإذا كان الإظهار أمراً اختيارياً، فإنّ المحبّة نفسها ليست فعلاً اختيارياً بل هى مناط قلبىّ، لأنّك إذا كنت لا تحبّ أحداً فلا معنى لأن تؤمر بحُبّه إذاً فما هو معنى ووجه هذا الأمر مع أنّ التكاليف لا تتعلّق بالأُمور غير الاختيارية؟

يجيب العلماء على هذا السؤال بقولهم: إذا كان المسبّب غير اختيارىّ وكان السبب اختيارياً، فإنّ الأمر بالمسبَّب يعنى الأمر بالسبب، والمودّة – فى المقام – كذلك فإنّها وإن كانت أمراً غير اختيارى لأنّ الإنسان إذا رأى خيراً من أحد تعلّق به قلبه دون اختياره، كما هو الحال فى البغض أيضاً فإنّ الإنسان إذا رأى شرّاً من أحد أبغضه، إلّا أنّ أسباب الحبّ والبغض اختيارية يمكن أن يتوفّر عليها الإنسان.

فيكون معنى الأمر الإلهى بحبّ أهل البيت سلام الله عليهم هو العمل بما من شأنه أن يؤدّى بالإنسان إلى حبّهم، كقراءة فضائلهم والاطّلاع على سيرتهم العطرة؛ لأنّ الإنسان إذا عرف أهل البيت سلام الله عليهم فإنّه لا يمكنه أن لا يحبّهم إلّا أن يكون سقيم الفطرة فينكر ذلك رغم وقوفه على عظمتهم، كما قال الله تعالى واصفاً منكرى آياته?: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ?فإنّهم متيقّنون من صحّتها فى قلوبهم وهذا أمر غير اختيارىّ، ولكنّهم لا يُظهرون ذلك جحوداً.

ويمكن أن نضرب مثلاً آخر وهو الهلال فى شهر رمضان المبارك، فإنّ المكلّف مأمور بأن يصوم لرؤيته ويفطر لرؤيته؛ لذلك إمّا أن يستهلّ بنفسه أو يسأل مرجع تقليده مثلاً ـ حتّى يحصل له اليقين أو الظنّ بأنّ الهلال قد هلّ فيعمل بوظيفته؛ فاليقين أو الظنّ الحاصل ليس أمراً اختيارياً ولكن الأسباب التى أدّت إليه اختيارية؛ ولذلك يتوجّه إليها الأمر.

بيد أنّ نفس أمر القرآن الكريم، يكفى سبباً لحصول المحبّة بذى قربى النبى صلى الله عليه وآله.

قضية الدعاء والطلب من الله تعالى تشبه المثالين اللذين تقدّما – أى الأمر بالحبّ فى المثال الأوّل، والظنّ أو اليقين فى المثال الثانى – فكما أنّ الأمر بهما يعنى الأمر بتهيئة مقدّماتهما، فكذلك عندما يعلّمنا المعصومون أن نطلب أُموراً من الله تعالى فإنّ فى ذلك دعوة لنا لكى نعمل فى ذلك الاتّجاه، وإلّا لا معنى لأن تطلب من الله شيئاً وأنت تعمل على خلافه لأنك بذلك تحول دون تحقيقه، وليس معنى الدعاء أن يحقّق الله المطالب كلّها بطريقة إعجازية.

فعندما يدعو الإنسان ربّه لأن يجنّبه عداوة الأدنين، فعليه أيضاً أن يتجنّب ما من شأنه أن يثير تلك العداوة. ففى المجتمع عادة يوجد أُناس دنيئون ديدنهم إيذاء الآخرين، فعلى العاقل أن لا يجعل نفسه عرضة لإيذائهم، وأن لا يعمل ما من شأنه أن يثير عداوتهم.

إذاً مفهوم الدعاء فى قول الإمام سلام الله عليه: وأبدلنى ... من عداوة الأدنين الولاية يُظهر إضافة إلى عنصر الطلب من الله تعالى وجوب أن يضمّ إليه العمل على تجنّب الخصال السيّئة من قبل الداعى نفسه.

وهكذا الأمر بالنسبة لقوله سلام الله عليه: ومن ظنّة أهل الصلاح الثقة، فإنّ الأحاديث الشريفة وتعاليم النبى صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين من آله سلام الله عليهم تدعو الإنسان المسلم وتحثّه للعمل على اتّقاء مواضع التّهم عامّة، فكيف بظنّة أهل الصلاح.

فقد روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان مع إحدى نسائه، فمرّ به رجل فدعاه صلى الله عليه وآله، فجاء، فقال: يا فلان، هذه زوجتى فلانة. فقال: يارسول الله من كنت أظنّ به فلم أكن أظنّ بك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم.

ربما لم يكن هذا الشخص متّهماً للنبىّ صلى الله عليه وآله، وربما كان من المنافقين الذين يتربّصون بالنبىّ، فقطع صلى الله عليه وآله الطريق عليه بذلك؛ ليعلّمه ويعلّمنا كيف نتّقى مواضع التّهم.

إذاً لا يكفى أن يقول المرء: «اللهمّ جنّبنى مواضع التّهم» أو «أبدلنى من ظنّة أهل الصلاح»، وهو لا يتّقى مواضع التّهم، وإنّما عليه أن يسعى بعمله لتجنّب توجّه التّهمة إليه من أبسط الناس فضلاً عن تهمة أهل الصلاح، الذين لا يتّهمون أحداً جزافاً، وإذا فعلوا فإنّ تهمتهم لا يقدر على إزالتها أو مسحها إلاّ الله، بمعنى أن يحاول الإنسان ما أمكنه تجنّب كلّ ما من شأنه أن يسبّب تهمة أهل الصلاح له، وإذا ما صدر منه ما يجعل أهل الصلاح يظنّون به أو يتّهمونه يسرع بالطلب من الله تعالى أن يبدّل ذلك الظنّ إلى ثقة، بحوله وقوّته.

ما أعظم الذين وثقهم المعصومون صلوات الله عليهم

لابدّ أن يكون للصلاح أهل يحملونه ويعملون به، ولابدّ أن يكون لأهل الصلاح رأس وذروة وسنام يستضيئون به ويستزيدون، ولا أجدر من أئمّة أهل البيت النبوىّ المعصومين سلام الله عليهم، فهم خيرة أهل الصلاح وأئمّتهم وقادتهم وعظماؤهم، فلو أُطلقت هذه الكلمة (أهل الصلاح) فالمصداق الحقيقى لها والأولى بها هم سلام الله عليهم.

كما أنّ هناك جملة ممّن حاز على ثقتهم صلوات الله عليهم سواء كانوا على مستوى أفراد أو جماعات. فمن الذين حازوا هذا الشرف، عائلة كبيرة من الأشعريين عاصروا الأئمّة منذ الإمام السجّاد أو الباقر سلام الله عليهما حتّى صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، والعشرات منهم كانوا من أصحاب الأئمّة والعديد منهم جيّدون بل جيّدون جدّاً، منهم زكريا بن آدم المدفون فى المقبرة القريبة من مرقد السيّدة فاطمة المعصومة ومن عبّر عنه الإمام المعصوم عليه السلام بقوله: المأمون على الدين والدنيا.

فما أعظم مقام هذا الشخص! ففرق بين أن يقول هذه الكلمة شخص عادى بحقّ آخر وبين أن تصدر من إمام معصوم يعرف خفايا الأمور وظواهرها، ونحن نعتقد استناداً إلى الروايات سواء بالأدلّة المطابقية أو التضمّنية أو الالتزامية أنّ الإمام المعصوم هو نفس النبىّ صلى الله عليه وآله باستثناء النبوّة؛ قال تعالى?: وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ.?

صحيح أنّ درجاتهم تختلف ولكنّهم نور واحد ومن طينة واحدة، لا يتخلّف عن ذلك أىّ منهم.

فحينما ينعت الإمام صلوات الله عليه زكريا بن إبراهيم بأنّه مأمون على الدين والدنيا أو يصف «العمرى» وابنه بأنّهما ثقتان فإنّه يريد التصريح بنزاهتهم ووثاقتهم، وهذه مرتبة عظيمة.

ينقل أنّ الشيخ البهائى رحمه الله سئل: أيّهما أفضل؛ زكريا بن آدم أم الشيخ الصدوق؟ فأجاب الشيخ البهائى: زكريا بن آدم. هذا رغم قلّة ما وصلنا منه عن الأئمّة وكثرة ما وصلنا من الشيخ الصدوق من كتب ملأت أدراج المكتبات وبيوت الشيعة، وقد لا أُبالغ إن قلت بأنّه لا توجد عبادة نؤدّيها ولا كثير من الأحكام والإرشادات والأدعية والزيارات والأخلاق والآداب إلاّ وقد وصلنا جزء منها عن طريق الشيخ الصدوق؛ فكم هو جليلٌ إذاً.

لكن الشيخ البهائى مع ذلك قال: إنّ زكريا أعظم من الشيخ الصدوق، وبرّره بأنّ الإمام المعصوم قال عنه بأنّه: المأمون على الدين والدنيا ولم يرد مثل ذلك بحقّ الشيخ الصدوق.

يقال: فرأى الشيخ البهائى فى منامه الشيخ الصدوق وهو يعاتبه قائلاً: لو قال الذى قلته غيرك لعذر، أمّا أنت العالم فكيف تقول ذلك؟ فقال الشيخ البهائى: ما قلت الذى قلت إلاّ لقول المعصوم فى زكريا. فقال: ولكنّى لم أكن معاصراً للمعصوم لتستظهر تزكيته لى، فالمقارنة غير صحيحة. فتوقّف الشيخ البهائى بعد ذلك عن هذه المفاضلة.

ولكن شاهدنا أنّ تزكية المعصوم لشخص يوجب الاطمئنان الكامل به وبعظمة منزلته.

وعلى أيّة حال، فإنّ بإمكان الإنسان أن يكسب ثقة أهل البيت سلام الله عليهم حتّى فى هذا الزمن، فهذا ليس بالمستحيل ولا بالصعب جدّاً، ولعلّه فى هذا الزمان أسهل من زمن زكريا بن آدم، لا أقول إنّه ليس صعباً أبداً، ولكنّى أُريد القول إنّه ممكن تحقيقه ولكنّه يتطلّب الجدّ والإرادة.

قد يستطيع الإنسان أن يحوز على ثقة الناس العاديين ولكن حصوله على ثقة الإمام المعصوم ليس بتلك السهولة؛ لأنّ الإمام يعرف خفايا الإنسان وما يظهره.

المعصومون يشهدوننا

يحكى أنّ أحد الأشخاص كان ذا التزام دينيّ ظاهريّ ذهب لزيارة الإمام الرضا سلام الله عليه لطلب الحوائج منه. وكانت حوائجه كثيرة إلّا أنّ أيّاً منها لم يتحقّق. يقول الشخص نفسه: ولكنّى قبيل خروجى من الروضة المباركة طلبت من الإمام سلام الله عليه أن يبيّن لى منزلتى عنده، وإذا بشخص ينادينى باسمى الحقيقى الذى كنت أُخفيه عن سائر الناس ولا يعرفه إلّا الخواص جدّاً، فاستغربت من ذلك، ثمّ إنّه أنبأنى بأنّ منزلتى ومقامى كذا وكذا ويبدو أنّه كان مقاماً بائساً.

ويقال إنّ شخصاً كان فى زيارة للإمام الرضا سلام الله عليه فبدر إلى ذهنه هذا السؤال: إذا كان ردّ السلام واجباً فهل الإمام يردّ جواب كلّ زائر يسلّم عليه منفرداً أم يجيب بجواب واحد للجميع كأن يقول: عليكم السلام جميعاً؟ فظهر له الإمام فى عالم المكاشفة وهو يردّ سلام كلّ مسلِّم باستقلال، ومنهم الشخص الذى بدر إلى ذهنه هذا التساؤل. وهذا معناه أنّ الأئمّة يشهدوننا ويعرفون عن كلّ منّا كلّ شىء، فقد روى عنهم سلام الله عليهم قولهم: نحن صنائع الله.

وإنّ الأئمّة صلوات الله وسلامه عليهم لا يثقون بأحد هكذا اعتباطاً، كما لا يتّهمون أحداً جزافاً ألبتّة لأنّهم أهل الصلاح بل قادة أهل الصلاح.

بمقدور كلّ مؤمن أن يحوز ثقة المعصوم

إذاً بمقدور كلّ مؤمن أن يحوز على ثقة أهل البيت سلام الله عليهم، شرط أن لا يقصّر. فمن عرف عظمتهم وقدّم ما فى وسعه فى سبيلهم، وهو سبيل الله تعالى، كسب ثقتهم حتّى يصل إلى مرتبة أمثال زكريا بن آدم وغيره؛ لأنّ الله تعالى لم يحصر مقاماً ما غير مقام العصمة لأحد دون آخر.

فلنسعَ لكسب ثقة الإمام المعصوم، ولنتنافس فى ذلك خاصّة فى الأشهر الحرم؛ لأنّ كلّ عمل حسن فيها فهو أفضل منه فى غيرها، وكلّ عمل قبيح فى غيرها فهو فيها أكثر قبحاً.

إبدال العقوق والخذلان، وتطوير المداراة

إبدال العقوق والخذلان، وتطوير المداراة

العقوق – لغةً – من العقّ وهو الشقّ والقطع والحفرة الواسعة فى الأرض، وأطلق «عاقّ الوالدين» على الولد الذى يؤذى والديه بشقّ عصا طاعتهما أو لايصلهما، فينشقّان عنه بسبب سوء موقفه تجاههما. فالعقوق يستعمل فى الوالدين، كما تستعمل القطيعة فى الأرحام غالباً؛ لكن هنا أُطلق العقوق تجاه الأرحام: ومن عقوق ذوى الأرحام.

إنّ الحالة الغالبة بين الأرحام هى أن يعقّ بعضهم بعضاً، بسبب المشاكل والتوقّعات أو اختلاف الأذواق أو تضارب المصالح الشخصية، فتحصل بينهم هوّة وهذه الهوّة قد تزداد بمرور الزمن، وهذا فى الأرحام شىء غير نادر، اللهمّ إلّا أن يسارع ذوو الأرحام فى معالجة ذلك والسعى فى إصلاح ذات البين.

والعلاج فى العقوق – كما هو فى جميع البلايا – له ركنان، الأوّل: الدعاء، والثانى: السعى. فعلى الإنسان – كما قلنا مراراً – أن يسعى ويدعو، لا أن يدعو دون سعى، أو يسعى دون دعاء.

إنّ الإمام السجّاد سلام الله عليه يسأل من الله تعالى - ونحن ينبغى أن نقتدى به لأنّه إمامنا المفترض الطاعة - أن يبدّل عقوق ذوى أرحامه بالمبرّة، أى: ياربّ لا تجعلنى ممّن يعملون ما من شأنه حصول القطيعة. ومعلوم أنّ المبرّة تعنى الصلة وهى الطرف الضدّ للعقوق تماماً.

ولن يتسنّى ذلك بسهولة ما لم يسع الفرد إلى دفع أو رفع وإزالة المشاكل التى توجب العقوق والشقاق. فلا ينبغى أن نقع فى الغفلة أو التغافل عن أُولى أرحامنا بداعى سوء الظنّ أو النظر فى المصالح المادّية البحتة، أو تتقطع سبل التواصل معهم بسبب الخجل أو ما أشبه.

وعمدة القول فى معنى هذا الطلب هو أن يتوسّل المرء بربّه ليعافيه عن الابتلاء بعقوق ذوى الأرحام، لما فيه من التفكّك الأُسرى والاجتماعى، فضلاً عن سخط الله تعالى.

نصرة الأقربين

ثمّ يدعو الإمام بالنصّ التالى: ومن خذلان الأقربين النصرة. ومعلوم أنّ الأقربين أعمّ اصطلاحاً من أُولى الرحم، ولذلك يطلق على مَن يعيش الإنسان معهم بصورة أشمل وأوسع، كالجيران وطلبة المدرسة، وزملاء العمل، فأفراد هذه الأصناف قد يعيش بعضهم مع بعض ويقترب بعضهم من بعض حتّى تصل درجات التأثير المتبادل فيما بينهم حدّاً كبيراً.

وقد يكون هؤلاء الأقربون أُولى رحم أى نسبيّين أو غرباء لا رابطة بينهم، أو أنّهم قرابة من حيث السبب.

والخذلان عادة يصدر من هؤلاء الأقربين تجاه بعضهم، كأن لا يتساعدون لحلّ مشكلة ما قد أصابت أحدهم، نظراً إلى أنّ ديدن الناس غالباً الاجتماع حول ذى الثروة أو النفوذ، ويكونون منفضّين عن الفقير باستثناء بعض من هو مثله أو أدون منه. والإمام سلام الله عليه يحرّضنا بدعائه هذا على أن نطلب من ربّنا الكريم أن يبدل خذلان الأقربين بمحبّتهم لنا ليتحقّق عنصر تبادل المنفعة بيننا.

إذاً، فهنا قضيّتان مهمّتان: قضية الدعاء، وقضية السعى نحو تفعيل مضمونه؛ بمعنى أنّ الفرد كما يحبّ أن ينصره الأقربون عند حاجته إليهم، كذلك عليه أن يضع فى حسبانه تقديم النصرة لهم عند الضرورة وغيرها، لدفع أكبر نسبة ممكنة من احتمالات الخذلان عند الحاجة، فهو إذا خذل قريبه حين يحتاجه، فليتوقّع خذلان قريبه له كذلك.

مداراة الناس

يقول الإمام سلام الله عليه: ومن حبّ المدارين تصحيح المقة. أى المحبّة.

لقد حثّ الإسلام على مبدأ المداراة بين الناس وجعل للمدارين جزاءً موفورا. حتى جاء فى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: من مات مداريا، مات شهيداً. والمتواتر عن السيرة النبوية الشريفة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله - وهو سيّد الأخلاق الحميدة، الذى وصفه الله تعالى فى كتابه بقوله?: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ - ?كان يعامل الناس معاملة هى الغاية فى الحكمة والطيبة حتّى ليظنّ كلّ منهم أنّه أحبّ الناس إلى النبى فكان بذلك المصداق الأكمل للمداراة.

فإن كان المرء لا يحبّ أحداً، فلا يلزمه أن يظهر هذا الإحساس له أو يبديه فى وجهه، وهذا من الأُمور المستحبّة، حتّى ورد فى النبوىّ الشريف أنّ نصف العقل مداراة الرجال. فيعاملهم معاملة يتصوّرون أنّه يحبّهم، وهذا ليس من النفاق فى شىء، بل هو من مقتضيات العقل وأُصول الأخلاق الرفيعة؛ إذ لا شكّ فى وجود الاختلاف والتفاوت فى الأذواق والأساليب والتوجّهات بين الناس، ولكن ليس من الضرورى أن يظهر المرء كلّ ما فى قلبه للآخرين، بل من الضرورى أن يبدى احترامه لأذواقهم وأساليبهم وتوجّهاتهم وآرائهم، كما يمكنه أن يعكس وجهة نظره ورأيه أو طبيعة ذوقه وما يرتئيه من أُسلوب بالصورة المناسبة والحكيمة، لكى لا يقع الشقاق والفُرقة.

وهذا النصّ من الدعاء الشريف يشير إلى أهميّة طلب المرء من ربّه أن يساعده فى تحويل المودّة الظاهرية التى نعبّر عنها بالمداراة من

قبل الناس له إلى حبّ باطنى حقيقى يضاعف الترابط الاجتماعى ويكرّس العلاقة الطيبة بينه وبين باقى أفراد المجتمع.

وبذلك يُفهم من سياق النصّ وكأنّ الإمام سلام الله عليه يقول: إلهى، اجعل من الحبّ الظاهرى الذى يبدو بسبب مداراة الناس لى، حبّاً واقعياً فى قلوبهم.

الاستفادة من بلاغة المعصومين عليهم السلام

وهنا تجدر الإشارة إلى أهمية وضرورة الاستفادة من بلاغة الأئمّة عليهم الصلاة والسلام، لنتعلّم من أساليبهم الحكيمة ما يعود علينا بالفائدة والنجاح فى التواصل مع الآخرين.

فمن البلاغة مثلاً عدم التكرار فى الكلام، أى أنّ المعنى الواحد إذا كان بحاجة إلى التكريس والتكرار، فمن الأجدر أن لا يُكرّر اللفظ نفسه، بل يُذكر فى قوالب لفظية مختلفة، لكى يكسبه جمالاً على جمالٍ، ويجعله أكثر وقعاً فى نفس المخاطَب.

وهذا الجمال يشمل فيما يشمل جمال الألفاظ وحسن التعبير وبلاغة البيان، كما يعلم سلام الله عليه أنّ العبد ملزم بمعرفة موقعه وحقيقته كمخلوق تجاه خالقه. ورغم أنّ الله غنىّ عن ألفاظه، إلّا أنّ الإنسان ينبغى أن ينتخب الأجمل والأروع والأبلغ فى الكلام.

ولذلك؛ فإنّ الإمام سلام الله عليه لم يكرّر عبارته تلك ولم يقل: «من حبّ المدارين تصحيح المحبّة»، بل استخدم لفظة (المقة) لتكريس جمال الأُسلوب فى مناجاته مع الله تعالى.

لنتعلّم من القرآن ومن أهل البيت

ونحن من جانبنا ينبغى أن نتعلّم من القرآن الكريم ومن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام جمال التعبير، لأنّ اللفظ بمثابة الإناء، والمعنى محتواه. فإذا كان الإناء جميلاً ومحتواه أيضاً، كان ذلك مدعاةً إلى القبول والإقبال، أمّا إذا كان الإناء غير جميل، فلن تكون ثمّة ضمانة فى تقبّل المحتويات وإن كانت على شىءٍ من الجمال فى نفسها. وعلى ذلك؛ فإنّ للتعبير الجميل مدخلية فى استساغة المعنى، حتّى فى حال المناجاة مع الربّ العظيم تبارك وتعالى، لأنّه جميل يحبّ الجمال.

طلب فنّ المعاشرة، والأمن من الظالمين

طلب فنّ المعاشرة، والأمن من الظالمين

يقول الإمام سلام الله عليه بعد ذلك: ومن ردّ الملابسين كرم العشرة.

فى هذه العبارة يعيد الإمام الكرّة نفسها فى استخدام الأُسلوب الأمثل من ذكر الكلمات الأبلغ فى التعبير. فالملابسون هم المعاشرون أنفسهم، ولكنّ الإمام لم يقل: (ومن ردّ المعاشرين كرم العشرة) أو (من ردّ الملابسين كرم الملابسة) مع أنّ الملابسة هى المعاشرة أو كناية عنها. وذلك لإمكان أن تصل المعاشرة بين الناس حتّى يكون مستوى القرب فيما بينهم كقرب الإنسان من لباسه. وبسبب هذا التقارب والاقتراب تنكشف النواقص والمساوئ فى الأخلاق والفعال، ولذلك تكثر المخاوف من حصول الخلاف فيما بينهم، وذلك لأنّ ديدن الملابسين الخلاف.

من هنا، يجدر بالإنسان أن يطلب من ربّه الكريم أن يحول بينه وبين وصول الخلافات وردود الأفعال التى تسىء إلى عشرته مع الملابسين له، ويحرص على أن تكون العلاقة بينه وبين القريبين منه والملابسين له علاقة طيّبة وكريمة لا علاقة تتبع العثرات لإبدائها فى النقد الهدّام أو الاغتياب والانتقاص أو الحسد، فالعشرة لها كرامة، أو هكذا ينبغى أن تكون؛ وكأنّ الإمام سلام الله عليه يريد أن يقول: فامنحهم ياربّ هذا الكرم، لئلّا يردّوا علىّ ما يزعمون أنّها من نواقصى.

وهنا – كما سبق فى نظائره – يلزم أن يعمل الإنسان أمرين:

الأوّل: أن يبادر هو قبل أيٍّ كان إلى أن يكون فرداً كريماً فى معاشرته للآخرين، فلا يردّ عليهم باللؤم وسوء الأدب، وإنّما يعاملهم بالحسنى ما استطاع.

الثانى: أن يطلب من ربّه التكرّم عليه بأن يساعده على تحويل ردّ الملابسين – المعاشرين – له، ويبدل صدودهم بعشرة كريمة؛ ملؤها السماحة والإنصاف والعقلانية.

الأمن من الظالمين

ثمّ يطلب الإمام الأمن والاستقرار مناجياً ربّه تبارك وتعالى فيقول: ومن مرارة خوف الظالمين حلاوة الأمنة.

ومعلوم أنّ للخوف مرارة أشدّ وقعاً من مرارة الآلام البدنية التى تُخلّ بنوم المريض، فيهجر لها نومه وتسلبه راحته، ولكنّها رغم ذلك تبقى آلاماً بدنية فقط بينما الخوف ذو مرارة وآلام تمسّ الروح والبدن معاً. جاء فى الحديث الشريف: نعمتان مجهولتان: الصحّة والأمان ممّا يعنى لزوم أن يستشعر الفرد نعمة الأمن وهو ينعم فى ظلّه ويطلب من ربّه أن لا يبتليه بظلم الظالمين، فيضطرّه إلى مكابدة مرارة الخوف منهم.

قد يكون الشعور بالخوف حالة إيجابية وبنّاءة إذا تعلّق بوقوع العقاب من طرف العادل، و ذلك لأنّ الإنسان المحكوم إذا قدّر له العيش تحت مظلّة حاكم أو رئيس عادل، فإنّه سيحدّث نفسه أنّ من الخطأ الخوف، لأنّ العقوبة التى يمارسها الحاكم العادل إطارها التشريع وغايتها الإصلاح، وإلاّ فإنّ الحاكم العادل رجل مأمون الجانب لا يبتغى لنفسه نفعاً جرّاء حكمه؛ بينما الحاكم الظالم أو ربّ العمل الظالم أو المعلّم الظالم أو البائع الظالم أو غيرهم يختلف حاله عن ذلك بكثير، إذ لا يُعلم سبب ظلمه أو مقداره أو زمنه مادام يصبّ فى نفع الظالم نفسه. لذلك يطلب المرء من ربّه أن لا يبتليه بهذا البلاء وأن يجعله بمأمن من جميع الظالمين.

قصّة فيها عبرة

ممّا ينقل فى هذا المجال أنّه فى إحدى البلدان عزم رئيسها على إرسال قاضٍ إلى إحدى المناطق، إلاّ أنّ حاكم تلك المنطقة سرعان ما قام بقتله، وحتّى يتبيّن للرئيس السبب فى ذلك، قام بإرسال قاضٍ آخر، ولكنّ الحاكم ألحقه بالقاضى الذى سبقه. وهذا الأمر أدّى ببعض القضاة إلى الامتناع عن التوجّه إلى ممارسة القضاء فى تلك المنطقة. غير أنّ أحدهم، بعد فترةٍ تبرّع بقبول المنصب لقاء أجرٍ باهض جدّاً، مدّعياً أنّه سيعمل فى سبيل الكشف عن أسباب مقتل القاضيين اللذين سبقاه، ومن ثمّ يُعلم رئيسه ليقضى على الحاكم وفى الوقت نفسه يكسب ثقة الرئيس بعلمه وعمله لكى يضمن لنفسه بعد ذلك منصباً أرفع وأجراً أعلى. وحين توجّه إلى تلك المنطقة أخذ القاضى بمسامرة ومجالسة حاكمها فى محاولة منه ليعرف أسباب قتله القاضيين السابقين، ولما اطمأنّ له الحاكم بعدما أخذ بمجامع عقله وقلبه، قال له: إنّه لم يقتل القاضى الأوّل إلاّ بعد أن رأى فى منامه ذات مرّة أنّه عدوّ لدود له، وحينما استيقظ مرعوباً، أمر بقتله فوراً. أمّا القاضى الثانى فرأى فيه رؤيا وكأنّه حلّ مكانه حاكماً، ففزع، ولذا ألحقه بصاحبه.

فلما سمع القاضى الثالث هذا الكلام لم يجد بدّاً حينها إلاّ الهروب والعودة إلى رئيسه، فأخبره مؤكّداً له بأنّه ربما يتمكّن من ضبط كلّ شىء من ذلك الحاكم، سوى رؤياه، فإنه لا يقدر أن يتحكّم فيها وقد يرى رؤيا لهذا الثالث ويلحقه بسلفيه.

إذاً ليس كلّ خوف له مرارة. أمّا الخوف من الظالم فإنّ له مرارة شديدة، لأنّه لا يُعلم ماذا سيصدر عنه، ولأى سبب سيعاقب، وكيف ومتى سيعاقب ويعتدى. ولا يكفى أن يحتاط المرء فى تجنّب ما نهى عنه، ما لم يسأل الله عزّ وجلّ أن يحرسه بعينه التى لا تنام، ويرعاه فى الشدّة والرخاء.

فالإمام بعد أن يطلب من ربّه أن يبدله عن عقوق أرحامه بمبرّتهم، وعن ردّ الملابسين بكرم العشرة، وعن بغضة أهل الشنآن بالمحبّة،

طلب من الله تعالى أن يبدل مرارة خوفه من الظالم إلى شعور بالأمان، أى عدم العيش تحت ظلّ الظالم.

انظروا إلى دقّة التعابير فى دعاء الإمام سلام الله عليه: فإنّ ظاهر عبارة الإمام تدعو إلى تغيير حالة أُولئك يعنى الأرحام والملابسين وأهل الشنآن و ... سوى الظالم، فإمّا أن لا يرانى ويسوؤنى، أو اجعلنى اللهمّ فى مكان وزمان بعيدين عن الظالم، لأنّ وجود الظالم يعنى وجود الخوف من ظلمه.

الدعاء دعوة للتغيير وتحصيل ملكة العدالة

ومقطع الدعاء هذا يتضمّن بين طيّاته أن على الإنسان أن يهجر الظلم ويمتنع عنه تجاه نفسه أوّلاً، وتجاه الآخرين ثانياً، فينبغى أن يعى مدى لزوم تحصيل ملكة العدالة فى نفسه، وهو واجبٌ عقلى أيضاً.

فإذا أراد الفرد عدم ارتكاب المعصية، فاللازم أن يخالف هواه، ومن أولويات ذلك أن يخلق وينمّى ملكة العدالة فى نفسه.

ولعلّ من أحسن الفرص أمام الإنسان لتنمية هذه الملكة، وتقويتها هى الأشهر الحرم ذات الفضيلة على باقى الشهور، فكما يمكن للراغب أن يستثمر هذه الأشهر فى مضاعفة ثواب الصلاة والصيام والصدقة، كذلك يمكنه أن يستثمرها فى الارتقاء بمستوى أخلاقه الحميدة وحسن سلوكه الذى يجرّ صاحبه جرّاً إلى الجنّة، وفى الحديث: ما وضع فى ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخُلُق...

لا شكّ أنّ حسن الخلق الذى هو أحد أركان ملكة العدالة كما يلزم أن يكون داخل نطاق الأُسرة كذلك يلزم فى خارجها، ولا شكّ أنّ استدامته ليس بالأمر السهل، تبعاً لوجود الموانع الصعبة والشديدة والتى منها وساوس الشيطان، والنفس الأمّارة بالسوء التى ترهق الإنسان. ويتيسّر ذلك بالعزم والإستعانة بالعلى القدير.

إنّ من لم يطرد الشيطان، ولم يبذل قصارى جهده فى ذلك وعجز عن كبح جماح نفسه الأمّارة بالسوء فإنه يخسر دنياه وآخرته، فكثيرٌ من هؤلاء الطغاة والظلمة الذين حكموا تعسّفاً ماتوا من فرط شهوات أنفسهم الأمّارة بالسوء، فترون القليل منهم قد عمّر، فلم تدع لهم شهواتهم وتكالبهم على الدنيا مجالاً للعمر فى الدنيا طويلاً، وقد ورد فى الروايات أنّ الذى يأكل أكثر من حاجته، يُصاب بكذا وكذا، فعن النبى صلى الله عليه وآله: إيّاكم والبطنة، فإنّها مفسدة للبدن، ومورثة للسقم، ومكسلة عن العبادة.

إنّ الأنبياء والرسل عليهم السلام، وعلى مقدّمتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك أئمّة أهل البيت عليهم السلام كانوا أعرف الناس بالدعاء والتضرّع إلى الله تقدّست أسماؤه، وكانوا أكثر الناس سعياً لتكريس معانى الدعاء، فكانوا يتحمّلون المشاقّ والجوع والأذى والقتل من أعدائهم بل حتى من أقاربهم وأصدقائهم ومن بعض أتباعهم! وكم سعى رسول الله صلى الله عليه وآله وجاهد وعانى ودعا إلى جانب ذلك، لكى يرسم للإنسانية النموذج الربّانى الأمثل.

فمن اللازم على المؤمن أن يجعل من الدعاء عاملاً مهمّاً فى شحذ همّته وإقدامه على ما ينبغى له أن يقوم به من الطاعات، وما ينتهى عنه من المحرّمات، إذ الدعاء عامل دفع إلى عمل الخير من جانب، وعامل كبح للشهوات من جانب آخر.

اللهُمَّ صَلّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

وَاجْعَلْ لى يَداً عَلى مَنْ ظَلَمَنى،

وَ لِسَاناً عَلى مَنْ خَاصَمَنى، وَظَفَراً بِمَنْ عَانَدَنى، وَ هَبْ لى مَكْراً عَلى مَنْ كَايَدَنى، وَقُدْرَةً عَلى مَن اضْطَهَدَنى، وَتَكْذيباً لمنْ قَصَبَنى، وَسَلامَةً ممَّنْ تَوَعَّدَنى، وَ وَفِّقْنى لطاعَةِ مَنْ سَدَّدَنى وَمُتابَعَةِ مَنْ أرشَدَنى.

?دفع الظلم والمخاصمة

?الظفر بالمعاندين والمكر على الكائدين

?القدرة على المضطهِدين

?تكذيب القاصبين

?السلامة من المتوعّدين

?طاعة المسدّد ومتابعة المرشد

دفع الظلم والمخاصمة

يقول الإمام السجّاد سلام الله عليه: اللهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ لى يَداً عَلى مَنْ ظَلَمَنى، وَ لِسَاناً عَلى مَنْ خَاصَمَنى.

مقدّمة يحسن بيان الفرق بين الظلم والمخاصمة، ونذكر فى المقام أمرين:

الأوّل: إنّ الظلم عادةً يكون من طرف واحد، أمّا المخاصمة فغالباً ما تكون من طرفين، ويجوز أن يخاصم الإنسان غيره من دون أن يعاديه.

الثانى: إذا كان الظلم صادراً من الطرفين لم يكن إذاً من موارد الدعاء، إذ لا معنى لأن يطلب أحد الظالمين من الله تعالى أن يهبه القدرة على الظالم الآخر؛ لأنّ الله تعالى لا يحبّ الظالمين.

وهذا المعنى غير متصوّر بالنسبة للإمام المعصوم الذى لا يرتكب ذنباً فكيف بالظلم وهو ذنب عظيم، فضلاً عن أن يطلب من الله تعالى مثل هذا الطلب، وهو يعلم أنّ الله تعالى لا ينصر ظالماً على ظالم بوسيلة الدعاء، بل إنّ كلا الظالمَين فى النّار، كما ورد: القاتل والمقتول فى النار وفى الحديث عن النبى صلّى الله عليه وآله ...: قيل: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: لأنّه أراد قتلاً.

بعد هذه المقدّمة نقول: إنّ الإمام سلام الله عليه طلب من الله تعالى أن يمنحه القوّة لدفع الظلم عنه – وهو ما يصدر عادةً من طرف واحد وهو الظالم – وكنّى عن القوّة هنا باليد، وحيث إنّ المخاصمة تكون بين طرفين يحاول كلّ منهما إفحام الآخر، فإنّ الإمام يطلب من الله تعالى فى هذه الحالة أن يمنحه القوّة التى تجعله متفوّقاً على خصمه وهى قوّة الردّ التى عبّر عنها باللسان.

الظفر بالمعاندين والمكر بالكائدين

الظفر بالمعاندين والمكر بالكائدين

ينبغى الالتفات بدءاً إلى نقطة مهمّة هى: أنّه ليس كلّ إنسان منحرف عن الحقّ يكون معانداً؛ إنّما المعاند هو الذى عرف الحقّ فزاغ عنه مصرّاً. قال تعالى?: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ?الأمر الذى استوجب خلودهم فى النار، كما نقرأ فى دعاء أمير المؤمنين سلام الله عليه الذى رواه كميل رحمه الله: وأن تخلّد فيها المعاندين.

إنّ كثيراً من المنحرفين عن منهج أهل البيت سلام الله عليهم قد غرّر بهم وغسلت أدمغتهم الدعايات المضلّلة والكاذبة لوعّاظ السلاطين ومن حذا حذوهم فمنعت أبصارهم من رؤية الحقّ، لذلك نسمع عن كثيرين منهم ما إن اطّلعوا على الحقيقة حتّى سارعوا إلى الأخذ بالهدى. وما أكثر القصص فى هذا المجال والتى تنتهى بالمستبصر بترديد قول الله تعالى?: اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.?

وما أكثر الذين بلغوا من بين هؤلاء المستبصرين مراحل عالية فى الإيمان والقرب من الله تعالى، حتّى تفوّقوا على كثير من غيرهم، وأفضل مثال على ذلك بعض شهداء كربلاء الذين يقف الملايين أمام قبورهم إجلالاً وإكراماً يفادونهم قائلين: «بأبى أنتم وأُمّى»، وما ذاك إلّا لأنّهم لم يكونوا معاندين، وما إن انكشفت لهم الحقيقة حتّى مالوا إليها وساروا معها حتّى الشهادة، فاستحقّوا بها الفوز العظيم الذى حظى به سائر شهداء كربلاء.

أمّا المعاند فهو الذى لا يرضخ للحقّ رغم معرفته به؛ قال تعالى فى وصف علماء اليهود المعاندين – الذين يعرفون الرسول صلّى الله عليه وآله ومع ذلك ينكرونه? -: يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم.?

أمام أشخاص كهؤلاء ليسوا منحرفين فقط بل معاندين لا تجدى معهم الموعظة يطلب الإمام السجّاد سلام الله عليه من الله تعالى أن

يُظفره بهم وينصره عليهم؛ فيقول: وظفراً بمن عاندنى.

المكر على الكائدين

هاهنا أيضاً ثلاث نقاط ينبغى الالتفات إليها:

النقطة الأُولى: إنّ الإمام سلام الله عليه فى الموارد التالية غيّر عبارة الطلب، فبعد أن كان طلبه فى الموارد الثلاثة المتقدّمة بعبارة: اجعل لى عدل عنها إلى عبارة: هب لى. ولعلّ هذا يعود للاختلاف فى نوع المطلوب؛ لأنّ الأُمور الثلاثة السابقة كانت تحتاج إلى عمل خارجى، ولذلك عبّر عنها الإمام سلام الله عليه بقوله: اجعل لى أمّا هنا فإنّ المكر وما بعده يتطلّب الفهم والفكر، ولذلك قال الإمام سلام الله عليه: هب لى.

النقطة الثانية: إنّ المكر يختلف فى الاستعمال العرفى عن معناه اللغوى، فالمكر فى اللغة يعنى: التدبير على العدوّ، أى أنّ الماكر يُنزل المكروه بالممكور به من حيث لا يعلم، بمعنى تقدير ضرر الغير من غير أن يعلم به.

وهو غير الحيلة، التى تُستعمل فى نفع الغير أيضاً.

ومكر الله كما فى قوله تعالى?: وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ ?عبارة عن إيصال الجزاء الى الماكر واستدراجه من دون أن يعلم.

فنسبة المكر لله تعالى تأتى من باب الازدواج فى الكلام كما فى قوله تعالى?: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ?فالأول عدوان والثانى ليس بعدوان ولكنّه سمّى به ليُعلم أنّه عقاب عليه وجزاء به.

من هذا نستخلص أنّ المكر الذى يطلبه الإمام سلام الله عليه من ربّه تعالى يتحدّد فى استيهابه حسن التدبير فى مواجهة الكائدين له حتى يسقطوا هُمْ فى شرّ فعالهم فلا ينالوا سوى الخسران المبين.

النقطة الثالثة: صحيح أنّ من معانى المكر التدبير على العدوّ فى محاولة إيقاعه فى المشكلة، ويجوز فى الحرب المكر والخدعة، كما روى عن النبىّ صلّى الله عليه وآله: أنّه قال: الحرب خدعة، ولكن استعمال المكر والخدعة لا يعنى اللجوء إلى الكذب والفتك، لأنّهما من سيّئ الأعمال، فإنّ الكذب من أعظم الكبائر، كما أن الإيمان قيّد الفتك.

فمثال الخدعة فى الحرب أنّ الشخص يقوم بعمل من شأنه أن يوحى لخصمه بأمر ما وهو يَنوى خلافه، وقد يُحاول تضليل عدوّه قبل الحرب أو فى أثنائها يبتغى بذلك تقليل الخسائر أو تعجيل النصر أو ما أشبه، التى يدعو إليها العقل ويحبّها الله تعالى، كما ورد من فعل النبى صلّى الله عليه وآله فى كتب السير، أنّه سار قبل غزوة بدر فى خلاف الجهة التى كان يتوقّعها الناس يريد صلّى الله عليه وآله بذلك تضليل العدو ولئلّا يشعر به الجواسيس، فتبقى المبادرة بيده من دون ظلم أحد، ولكن لا يجوز أن يُمنح العدوّ الأمان ليسلّم نفسه فإذا سلّم نفسه بادروا لقتله غيلة أو صبراً؛ لأنّ هذا يعدّ فتكاً؛ والإسلام لا يرضى به.

أمّا مخادعة العدو يُراد ستر المذهب عنه، فهذا مطلوب على كلّ حال، كما روى عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أنّه قال: فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك.

القدرة على المضطهدين

يقول الإمام بعد ذلك: وقدرة على من اضطهدنى، وقبل بيان المعنى العام لهذه الجملة ننوّه إلى أنّ كلمة «اضطهاد» مشتقّة من لفظة «ضهد» وهى فى الأصل «اضتهاد» ثمّ أُبدلت تاؤها طاءً، لأنّها من المواضع التى تبدل فيها التاء إلى طاء فى اللغة العربية تخلّصاً من الثقل وصعوبة التلفّظ بالتاء التى تأتى بعد الضاد فى الكلمة.

والاضطهاد فى اللغة هو ظلمٌ خاص، وهو الظلم الذى يقع على الإنسان بسبب عقيدته، ثمّ توسّع استعماله من باب المجاز فصار يشمل

كلّ ظلم.

فكأنّ الإمام سلام الله عليه يقول: إلهى، هب لى القدرة على من يريد ظلمى بسبب عقيدتى وتوجّهاتى الحقّة، لئلّا يتمكّن من ذلك.

والملفت للانتباه هنا أنّ الإمام عندما طلب من الله تعالى العون مقابل الظلم قال: اجعل لى يداً على من ظلمنى فاستعمل كلمة «يد» للتعبير عن القوّة والقدرة. ولكنّه هاهنا – فى مقابل الاضطهاد، وهو الظلم الواقع على المرء بسبب العقيدة والمبدأ – استعمل لفظة القدرة نفسها، فقال: وقدرة على من اضطهدنى، ولا شكّ أنّ وراء هذا الاختلاف تكمن معانٍ دقيقة، حرىّ بأهل العلم الوقوف عندها والتأمّل فيها.

تكذيب القاصبين

يقول الإمام سلام الله عليه بعد ذلك: وتكذيباً لمن قصبنى أى أعاب علىّ.

من الواضح أنّه لا يخلو أىّ إنسان من عيب؛ لأنّ الله تعالى خلق الدنيا هكذا، لكى يمتحن بها العباد. فإذا كان الإنسان غنيّاً أُصيب بعيوب كالكبر والغرور والبخل وغير ذلك، وإن كان فقيراً ابتلى بالعيوب التى يسبّبها الفقر، وربما انتقصه بعض الناس بسبب الفقر نفسه وعدوّه عيباً فيه، وهكذا هو الإنسان فى كلّ حالاته. وبما أنّ بعض الناس لا يكفّون ألسنتهم عن أحد، لذلك يطلب الإمام السجّاد سلام الله عليه من الله تعالى أن يهبه إمكانية تكذيب من يُعيّر وينتقص من غير حق.

السلامة من المتوعّدين

السلامة من المتوعّدين

الوعد إمّا أن يكون فى خير كما لو وعد الإنسان ابنه: إذا نجحتَ فى الامتحان فسأعطيك جائزة، وإمّا أن يكون فى الشرّ وهو الوعيد ومنه التوعّد، وهو الذى يطلب الإمام سلام الله عليه من الله تعالى أن يسلّمه منه.

عظة أخلاقية

لقد طلب الإمام سلام الله عليه فى دعائه من الله تعالى أن يخلّصه من شرور الظالمين والمخاصمين والكائدين والمعاندين والمضطهدين والقاصبين والمتوعّدين، ولكن ينبغى أن نذكر أنّ هناك عدواً أعدى منهم كلّهم، ولو تمكّن هذا العدوّ من الإنسان ألحق به عذاباً لا يزول أبداً، وذلك العدو هو النفس الأمّارة بالسوء. أتدرون ماذا تصنع النفس بالإنسان إن هو مكّنها من عقله؟ سوف تقوده إلى نار سجّرها جبّارها لغضبه.

إنّ الله تعالى خلق الخلق ليرحمهم؛ فقال عزّ من قائل?: إِلاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ?أى ليرحمهم، إلّا أنّ الإنسان بتصرّفاته واتّباع هوى نفسه الأمّارة بالسوء يجلب غضب الله عزّوجلّ. فلابدّ إذا من التفكير بصورة جادّة لهذه المشكلة.

إنّ الدعاء جزء مهمّ من العلاج، غير أنّ الجزء الأهمّ فيه يتمثّل فى قوله تعالى?: وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إِلاّ مَا سَعَى. ?فلابدّ من الاستعانة بالرياضة الروحية المشروعة، فعن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: وإنّما هى نفسى أروّضها بالتقوى وفى الحديث الشريف أيضاً: ليس منّا من لم يحاسب نفسه كلّ يوم...

وروى أنّه بينا موسى بن عمران عليه السلام يعظ أصحابه إذ قام رجل فشقّ قميصه فأوحى الله عزّوجلّ إليه: ياموسى قل له: لا تشقّ قميصك ولكن اشرح لى من قلبك.

فلنفكّر قليلاً من أجل ضبط ما قد يصدر من هذه النفس التى أودعها الله فينا ليختبرنا أندسّها أم نزكّيها، قال تعالى?: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ

زَكّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ?ويكون الناس بعد ذلك كما قال تعالى?: هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ الله. ?فَرُبّ أخوين عاشا معاً فى محيط واحد ولكن اختلفا فى الدرجات اختلافاً شاسعاً. ومن الأمثلة على ذلك: محمّد بن الفرج الرخجى، وأخوه عمر الرخجى. فلقد كان محمد الرخجى من أوثق أصحاب الإمامين الجواد والهادى عليهما السلام، ولعله الآن فى روضة الخلد مع الذين فيها يحبرون، بينما صار أخوه عمر بن الفرج الرخجى فى حصب جهنّم مع الذين فيها يصطرخون، لأنّه كان من أشدّ أعداء أهل البيت سلام الله عليهم. وقد تجد إنساناً آل أمره إلى أن يكون من أهل التابوت بينما ابنه فى زمرة الأبرار المؤمنين. يقول أمير المؤمنين سلام الله عليه فى حقّ محمّد بن أبى بكر: محمّد ابنى من صلب أبى بكر.

لابدّ من ترويض النفس

إنّ النفس لا تتغيّر نحو الأفضل أو الأسوأ دفعةً واحدة، وإنما بالتدريج؛ فعن أميرالمؤمنين سلام الله عليه أنّه قال: النفس مجبولة على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة حسن الأدب، والنفس تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة، والعبد يجهد بردّها عن سوء المطالبة، فمتى أطلق عنانها فهو شريك فى فسادها، ومن أعان نفسه فى هوى نفسه فقد أشرك نفسه فى قتل نفسه. ولذا شدّد على ترويض النفس حتى لا تتمادى فى غيّها، فقال سلام الله عليه: مَنْ لَمْ يَسُسْ نَفْسَهُ أضَاعَها أى كما تخدعكم خادعوها وجرّعوها الخير رويداً رويداً، ابتداءً بالأسهل فالأسهل وهكذا. فمثلاً لو لم يكن الشخص من أهل صلاة الليل فلا يفرض على نفسه أداءها بمستحبّاتها كلّها فى أوّل الأمر، بل ليكتف بأقلّ ما تطاوعه به نفسه أوّلاً ثمّ يزيد شيئاً فشيئاً لئلّا تفلت بعد ذلك؛ فإنّ من لم يرفق بمطيّته فى السير، لا هو يصل إلى غايته ولا وسيلة تبقى له. عن النبىّ صلّى الله عليه وآله: المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. فعلينا التدرّج بالنفس، والاستنارة بكلمات المعصومين سلام الله عليهم وسيرتهم لئلّا تنعطف بنا أنفسنا فنزيغ.

ورد فى رسالة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه إلى واليه على البصرة عثمان بن حنيف: ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدى به ويستضىء بنور علمه ... ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينونى بورع واجتهاد وعفّة وسداد. فلنحاول الاقتداء بأئمّتنا ما أمكننا ذلك، وإن عجزت أنفسنا عن بلوغ ما هم عليه صلوات الله عليهم فلا يبقى لنا سوى الورع والإجتهاد والعفّة والسداد، عسى أن نفوز بمرضاة الله تعالى.

روى عن أبى جعفر الباقر سلام الله عليه أنّ امرأة ادّعت على أبيه (على بن الحسين سلام الله عليهما) عند والى المدينة أنّ لها عليه أربعمائة دينار. فقال الوالى: ألك بيّنة؟ قالت: لا ولكن خذ يمينه. فقال والى المدينة يا على، إمّا أن تحلف وإمّا أن تعطيها. فقال لى: يا بنىّ قم فأعطها أربعمئة دينار. فقلت: يا أبه جعلت فداك، ألست محقّاً؟ فقال: بلى يابنىّ، ولكنّى أُجلّ الله تعالى أن أحلف به يمين صبر.

علينا أن نقتدى بالأئمّة سلام الله عليهم ونتّخذ سبيل التسامح والعفو ونغفر لإخواننا ونعذرهم؛ فإنّ بروز المشكلات بين الإخوة والمتعاشرين كالأرحام والزملاء والزوجين والأساتذة والتلاميذ والأصدقاء أمر طبيعى يولّده القرب والاحتكاك؛ فلذا لا ينبغى تضخيمها بل ينبغى التسامح بشأنها، واللازم الاقتداء بأئمّتنا الذين كانوا المثل الأعلى فى الأخلاق الفاضلة، ولا يتأتّى هذا كلّه إلاّ بالترويض والتدرّج مع النفس كما قلنا.

كما ينبغى لنا أن ننتهز كلّ الفرص والمناسبات التى منّ الله تعالى بها علينا، مثل شهر رمضان المبارك، والأيّام التى نحن مقبلون عليها من أيّام شهر ذى الحجّة الحرام لاسيّما العشر الأُول منه، ففى الحديث عن النبى صلّى الله عليه وآله: ما من أيّام العمل الصالح فيها أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من أيّام العشر. والتى تكرّر ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى?: أيّامٌ مَعْلُومَاتٌ ?و? أيّامٌ مَعْدُودَات.? فهذه الفرص نادرة فلنغتنمها ونأخذ بزمام أنفسنا بأيّة نسبة استطعنا.

فلنتأمّل فى هذه العبائر من دعاء الإمام ونتصوّر أنّ مصاديقها الأجلى هى نفس الإنسان، ولنطلب من الله تعالى أن يهبنا القدرة على

أنفسنا لكى نوفّق ونكون من الذين اتّخذوا طريق التدرّج فى الصعود والرقىّ بلوغاً إلى أعلى الدرجات ببركة محمّد وآله الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

طاعة المسدّد ومتابعة المرشد

صحيح أنّه يمكن التوسّع فى هاتين الكلمتين وأشباههما فى استعمال إحداها مكان الأخرى مجازاً، مثل جعل كلمة الطاعة مكان المتابعة أو العكس، وكذا بالنسبة للتسديد والإرشاد؛ ولكن إذا أخذنا بنظر الاعتبار مجيء هذه الكلمات معاً فى سياق واحد فإنّ الدقّة تقتضى اختلاف معانيها، خاصّة وأنّ الأئمّة الأطهار سلام الله عليهم هم أُمراء الكلام وأسياد البلاغة وأرومة الفصاحة، وما يسردونه من نظم كلامهم لابدّ وأن يكون موافقاً لفصيح الكلام وفنونه. ومن يراجع كتب اللغة يجد فرقاً واضحاً فى استعمال هذه الكلمات وفق معانيها.

فمن موارد الطاعة إستعمالها فى الامتثال بلا تأمّل، والعكس صحيح، فالامتثال دون تأمّل يعنى الطاعة بعينها، أمّا المتابعة فتعنى دوام الامتثال. فى الحديث المروىّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: إذا رأيت شحّاً مطاعاً وهوىً متّبعاً، وإعجاب كلّ ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العامّة.

الفرق بين السداد والرشد

أمّا الفرق بين السداد والرشد فالظاهر من الرجوع إلى كتب اللغة أنّ السداد يعنى التوجيه نحو الصواب كما فى دعاء الافتتاح للإمام الحجّة بن الحسن عجّل الله تعالى فرجه: وأنت مسدّد للصواب بمنّك.

إذاً فالمراد من المسدّد فى دعاء الإمام زين العابدين سلام الله عليه هو الدالّ على الصواب الذى لا يعاب عليه.

أمّا الرشد فهو الأمر الذى لا زيغ فيه ولا غواية وهو أقرب إلى الحقّ منه إلى الهداية، لأنّ الهدى بيان طريق الرشد ليسلك دون طريق الغى. هذا إذا أُطلق. فإذا قيّد استعمل فى غيره؛ كما فى قوله تعالى?: وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ. كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ. ?فإنّ أصحاب الأفكار الباطلة يهدون إلى الباطل، أمّا الرشد فلا يستعمل إلّا فى الموارد التى تنعدم فيها نسبة الزيغ والغوى. ولذا فمتابعة المرشد هو سبيل نحو الصلاح والرشد والصواب، وحقّ من يعمل عليه أن ينجو، وحقّ من يعمل على خلافه أن يهلك.

إنّ الإمام يطلب من الله تعالى أن يجعله مطيعاً لمن يسدّده لا يناقشه فيما يصوّبه اليه، متابعاً لمن يرشده لا يعصيه فيما يدلّه عليه، مثله كمثل طاعة المريض للطبيب الثقة الحاذق فيما إذا أشار عليه بتناول الدواء أو اجتناب بعض الأُمور لأنّه مطمئنّ إلى أنّه إنّما يسدّده إلى ما ينفعه، ويرشده لما يصلحه.

والملفت للنظر هنا أنّ الإمام سلام الله عليه لم يستعمل صيغة المضارع فى الجملتين بل استعمل صيغة الماضى فقال: طاعة من سدّدنى ومتابعة من أرشدنى. ولا شكّ أنّ وراء ذلك نكتة خاصّة تتلخّص فى أن يوفّقه لامتثال أمر المسدّد والمرشد سواء عرف المصلحة فيما يأمرانه أم لا.

وإنّ المصداق الحقيقى والواقعى لهذه الجملة. هم أهل البيت سلام الله عليهم. فلا يوجد أحد على مرّ التاريخ تبع أهل البيت ثمّ ضلّ بل لا يوجد أحد تبع أهل البيت سلام الله عليهم ولم يتبيّن له وجه الحقّ. إنّهم صلوات الله عليهم يرشدوننا إلى الصواب ويسدّدوننا لما فيه الصلاح.

اللهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَلِّنى بِحِلْيَةِ الصّالِحِينَ، وَأَلْبِسْنى زِينَةَ المُتَّقِينَ فى بَسْطِ الْعَدْلِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَإِصْلاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَإِفْشاءِ العَارِفَةِ، وَسَتْرِ العَائِبَةِ، وَلِينِ العَرِيكَةِ، وَخَفْضِ الجَنَاحِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ وَطِيبِ المُخالَقَةِ، وَالسَّبْقِ إلى الْفَضِيلَةِ، وَقَوْلِ الحَقِّ وَإِنْ عَزَّ، وَاسْتِقْلالِ الخَيرِ؛ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلى وَفِعْلى، وَاسْتِكْثارِ الشَّرِ؛ وَإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلى

وَفِعْلی، وَأکْمِلْ ذَلکَ لی بِدَوامِ الطّاعَةِ...

?بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النائرةِ

?ضمّ أهل الفُرقة، وإصلاح ذات البين

?إفشاء العارفة، وستر العائبة

?لين العريكة

?خفض الجناح، وحسن السيرة

?طيب المخالقة، والسبق إلى الفضيلة

?قول الحق وإن عَزَّ

?استِقلال الخير، واستِكثار الشر

?دوام الطاعة

بَسْط الْعَدْل، وَكَظْم الْغَيْظ، وَإطْفَاء النَّائرَة

بَسْط الْعَدْل، وَكَظْم الْغَيْظ، وَإطْفَاء النَّائرَة

قد يحسّ الإنسان بحاجته واضطراره بعمق وشدّة، فيكون طلبه حين يدعو الله تعالی طلباً حقيقياً ويدعوه من أعماقه، وقد لا يحسّ بهما بمثل تلك الشدّة، فيكون طلبه حينئذ طلباً عاديّاً، أی ليس صادراً من الأعماق.

فالمبتلی بمرض خطير أو ألم شديد مثلاً إذا دعا الله تعالی وطلب منه الشفاء، يكون دعاؤه بكلّ وجوده لأنّه يحسّ بالاحتياج، وكذلك الذی يعانی من تثاقل الديون عليه أو زحمة الهموم، فهذا أيضاً عندما يدعو الله تعالی ويلتمس منه الخلاص فی قضاء ديونه وإجلاء همّه فإنّما يدعو عن إحساس بالاحتياج فيكون دعاؤه حقيقياً، لصدوره من أعماقه.

فلو فرضنا شخصين كلّ منهما مدين لغيره بالمال، ولكن المدين الأوّل لم يواجه من دائنه أیّ ضغط عليه، بخلاف الثانی، حيث دائنه يهدّده إن لم يسدّد المبلغ حتّی غد، وربما يضطرّه لأن يرفع ضدّه شكوی تؤدّی به إلی السجن، فكلا الشخصين يدعو ويقول: «اللهم اقضِ عنّی الدَّين». ولكن دعاء الثانی أعمق لأنّه يصدر عن الإحساس بالحاجة أكثر ولا حيلة له فی قضائها إلاّ عن طريق الدعاء، فيلحّ فی الدعاء والطلب.

والإلحاح فی الطلب من أسباب استجابة الدعاء، كما أنّ المستفاد من الروايات بل صريح بعضها أنّه كلّما كان الدعاء صادراً من أعماق القلب كان أقرب إلی الإجابة. فلنحاول أن نروّض أنفسنا إذاً علی حالة الإحساس بالاحتياج دائماً؛ ليكون دعاؤنا صادراً من أعماق القلب، فيكون أقرب إلی الإجابة.

حلية الصالحين وزينة المتّقين

يقول الإمام: وحلّنی بحلية الصالحين وألبسنی زينة المتّقين.

الحلية كلّ ما يُتحلّی به لإظهار جمال الشیء، فما هی حلية الصالحين؟ وما هو لباس المتّقين؟ لاشكّ أنّه لا يراد به ما يستر البدن، بل المقصود من لباس المتّقين التقوی نفسها. وكما أنّ اللباس المادّی يستر البدن ويغطّی عيوبه، فإنّ لباس المتّقين يستر الشهوات والقبائح فی نفس الإنسان والتی تمثّل مركز المشكلات له. إنّ المتّقی إنسان كبقية الناس له شهوات، إلا أنّه يعيش فی عملية تجاذب دائم بينها وبين عقله، بيد أنّ غيره تكون شهواته وقبائحه ظاهرة، والسوء بادٍ فی عينيه وعلی لسانه وعمله، أمّا المتّقی فشهواته وسوءاته مستورة، قد

سترها بلباس متين ورصين ليس رثّاً ولا وسخاً ولا ممزّقاً بل كلّه زينة وتقوى.

ولعلّ الإمام سلام الله عليه أشار إلى هذا المعنى توافقاً لما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى?: وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ.?

ثمّ يستطرد الإمام سلام الله عليه لبيان مفردات حلية الصالحين وزينة المتّقين فيعدّد مجموعة من الصفات، كلّ منها ينطوي على عالم من المعاني التي لا يستوعبها أمثالنا إلّا بمقدار، الأمر الذي يحتّم على أهل العلم المتابعة والتأمّل والتدقيق في ما تنطوي عليه هذه الكلمات السامية. وأوّل طرق التدقيق هذه تكمن في تتبّع آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والتدبّر فيها، بحثاً عن الموارد التي استعملت فيها لتكون الاستفادة أعمق.

بسط العدل

البسط في اللغة مقابل القبض؛ قال الله تعالى?: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ.?

روي عن الإمام الصادق سلام الله عليه أنّه سئل عن تفسير قوله تعالى?: وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ?ففتح كفّه وفرّج بين أصابعه وقال: لا تفعل هكذا. ثمّ ضمّ أصابعه بعضها إلى بعض وقال: بل اجعلها هكذا، فلا تقبض أصابعك إلى كفّك حتّى لا يخرج منها شيء ولا تفتح كفّيك وتفرج بين أصابعك حتّى لا يبقى لك فيها شيء، فلا إفراط ولا تفريط، بل حدّ وسط، فما وقع من كفّك أو خرج فدعه يخرج، وما بقي فيه فدعه يبقى لك ولا تفرّط به.

وهذا يعني أنّ الشارع قد نهى في الإنفاق المادّي عن كلّ البسط في بعض الموارد التي يتعقّبها ضرر وإخلال، ولذلك عدّه من التفريط، بينما في الفضائل والقيم حسّن الشارع كلّ أنواع البسط ومدحها، ولذلك نرى الإمام هنا مع البسط كلّ البسط، فقال: في بسط العدل. أي مطلقاً؛ لأنّ العدل ليس فيه إفراط بل كلّه ممدوح مأجور فعله، ومن ثمّ فعلى الإنسان أن يسعى لبسط العدل ونشره مهما وسعه.

والعدل يعني وضع الشيء في موضعه، فالله سبحانه وتعالى قد سنّ العدل في الأمور التكوينية والتشريعية على حدّ سواء، وما من شيء قد قام في السماوات والأرضين إلّا بعدل بارئه سبحانه وتعالى.

إنّ العدل قائم في الأُمور التكوينية كلّها، ففي الحديث: بالعدل قامت السماوات والأرض. فهذه الشمس الهائلة والأرض والنجوم والوجود كلّه يجري بتمام العدل، فلا إفراط ولا تفريط ولو بمقدار أنملة واحدة، وهكذا الأمر لو نظرنا الى أبداننا نجد ملايين الخلايا كلّها تسير بالعدل. ومعروف في الطبّ القديم والحديث أنّ الإنسان إذا كان متوازن المزاج لا يمرض؛ لمتانة القوّة الدفاعية فيه، وعدم المقتضي لإصابته بمرض. علاوة على ما تقدّم فإنّ في العدل تتجلّى زينة المتقين بأبهى صورها؛ لذلك عُدّ من مفرداتها.

فعلى المؤمنين أن يبسطوا العدل، وأن يبدأوا بأنفسهم حتى يصلوا بعدلهم إلى من سواهم قولاً وعملاً. روي عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أنّه قال: سياسة العدل ثلاث: رقّة في حزم، واستقصاء في عدل، وإفضال في قصد. وفي حديث آخر: العدل أساس به قوام العالم. أمّا إذا جانب المؤمن العدل وصار فعله لا يطابق قوله، فأوّل من يزهد فيه أهله خصوصاً إذا كان من أهل العلم، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: أزهد الناس في العالِم بنوه ثمّ قرابته. طبعاً المراد من العالم هذا غير ما نحن فيه، إلّا أنّ الشاهد في كلمة الزهد خاصة. لهذا ترى أهل البيت سلام الله عليهم قد اعتنوا أبلغ العناية في بسط العدل من خلال مطابقة الأعمال للأقوال، فتجد من كان قريباً منهم مشدوداً في السعي نحو ما يرشدون إليه؛ لما يرى من صدقهم ومطابقة سيرتهم العملية والقولية ووفرة سعيهم لله تعالى.

كظم الغيظ وحدوده

ومن مفردات حلية الصالحين وزينة المتّقين أيضاً كظم الغيظ، ففي النفس شهوات لها ألسنة من لهب تستعر نيرانها بمجرّد أن تثار

بأدنى إثارة. فلو قال شخص لغير المتّقى كلمات وظنّها لا تناسبه فإنّ أثر الغيظ وألسنة نار الغضب تظهر على وجهه ولسانه وتصرّفاته، أمّا المتّقى فيستر غيظه ويكظمه بلباس التقوى.

إذا قيل لزيد من الناس: لِمَ لَم تكظم غيظك؟ يقول: لكلّ شيء حدود، فكم أصبر، وإلى متى أكظم غيظى؟

صحيح أنّ لكلّ شيء حدوداً، ولكن من الذى يعيّن الحدود؟ هل نحن الذين نعيّن الحدود وفق ما تمليه علينا غرائزنا، فنضيّقها ونوسّعها كيفما نشاء، أم الأئمّة المعصومون عليهم السلام؟

أليس الإمام السجّاد إمامنا؟ أوليس المفترض أن يقتدى كلّ مأموم بإمامه؟ إذاً فلنصمّم على أن نقتدى به ونتعلّم منه حدود كظم الغيظ من خلال سيرته سلام الله عليه لكيلا نقع فى المحذور.

روى: إنّ قوماً كانوا عند على بن الحسين عليهما السلام فاستعجل خادماً بشواء فى التنور، فأقبل به مسرعاً، فسقط السفود من يده على ولدٍ للإمام فأصاب رأسه فقتله، فوثب على بن الحسين عليه السلام، فلما رأى ابنه ميتاً، قال للغلام: أنت حرّ لوجه الله تعالى، أما إنّك لم تتعمّده. ثمّ أخذ فى جهاز ابنه.

حقّاً، ما أسعد الناس لو ولى حكمهم هؤلاء الأطهار، وكم كانوا سيتعلّمون منهم.

أوليست هذه القصّة أعظم من جبال الدنيا ذهباً، لأنّ جبل الذهب ينفد ويفنى أمّا مضامين هذه القصّة ودورها فى بناء الذات فلا تنفد ولا تفنى.

ولننظر إلى أنفسنا ونتفحّصها هل نحن مقتدون بهم سلام الله عليهم؟ أو نقول: إلى متى نكظم غيظنا؟ ونحن مختلفون مع بعضنا على مبلغ من المال أو على مشكلة صغيرة أو شيء تافه.

إنّ هذه السفاسف التى يختلف عليها الناس غالباً لا سوق لها فى حوزة الأتقياء من أهل الآخرة بل لا اعتبار لها عندهم، ولنعلم أنّ من لا يكظم غيظه تتحطّم أعصابه ويسوء خلقه أكثر من غيره ممّن يكظم غيظه، فيخسر بذلك ثواب الدنيا والآخرة، أمّا كظم الغيظ ففيه ربح الدنيا والآخرة وهو أمر ممكن وإن كان لا يخلو من صعوبة.

إطفاء النائرة

العداء نقيض الولاء وقد يكون فى الباطل أو الحقّ، والذى عناه الإمام فى دعائه هو عداء الباطل، فإنّ غير المتّقى إذا عاداه أحد، فلا يخلو أن يكون هذا العداء إمّا باطلاً أو حقّاً، فتراه إمّا أن يردّ العداء بمثله، وإمّا أن يسكت فى أحسن الأحوال. أمّا المتّقى الذى يرسم الإمام السجّاد سلام الله عليه لنا صورته فهو لا يكتفى بالسكوت على من اعتدى عليه، بل يحاول إرضاءه، لأنّه يسعى جاهداً أن لا يدخل شخص مسلم بسببه النار، فيحاول إطفاء نائرته مسارعاً بإسداء الخير إليه.

روى عن محمد بن جعفر وغيره، أنّه قال: وقف على الإمام علىّ بن الحسين سلام الله عليهما رجل من أهل بيته فأسمعه وشتمه، فلم يكلّمه، فلما انصرف قال لجلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحبّ أن تبلغوا معى إليه حتى تسمعوا ردّى عليه.

قال: فقالوا له: نفعل، ولقد كنا نحبّ أن تقول له ونقول.

قال: فأخذ نعليه ومشى وهو يقول?: وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ والْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ?فعلمنا أنّه لا يقول له شيئاً.

قال: فخرج حتى أتى منزل الرجل فصرخ به. فقال: قولوا له: هذا علىّ بن الحسين.

قال: فخرج إلينا متوثّباً للشرّ وهو لا يشكّ أنّه إنّما جاءه مكافئاً له على بعض ما كان منه. فقال له على بن الحسين عليهما السلام: يا أخى إنّك كنت قد وقفت علىّ آنفاً فقلت وقلت، فإن كنتَ قلتَ ما فىَّ فأستغفرُ الله منه، وإن كنتَ قلتَ ما ليس فىَّ فغفر اللهُ لك.

قال: فقبّل الرجل ما بين عينيه، وقال: بل قلتُ فيك ما ليس فيك، وأنا أحقّ به!

فهل هذا التصرّف من قِبل الإمام أفضل أم ردّه بمثل باطله أو معالجة الأمر من خلال السكوت عليه؟ خصوصاً وأنّ تركه دون الأخذ

بيده يبقيه على ما هو عليه حتى يموت ناصبياً ويدخل نار جهنّم.

لا تقل وما شأني به فليدخل جهنّم، فهذا لا يعدّ اقتداءً بالإمامعليه السلام.

إذاً فلنسأل الله تعالى أن يثبّتنا على الاقتداء بمن اصطفاهم على خلقه محمّد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ونسأله أن يلبسنا زينة المتّقين، فندعو ونعمل ونطبّق ونبدأ بأنفسنا أوّلاً.

ضَمّ أَهْل الْفُرْقَة، وَإِصْلاح ذَات البَين

ضَمّ أَهْل الْفُرْقَة، وَإِصْلاح ذَات البَين

الفرقة تعنى الانفصال، فالناس إذا كانوا مجتمعين على أمر فلا توجد فرقة فيما بينهم، أمّا إذا اعتزل بعضهم بعضاً وصار بعضهم منفصلاً عن بعض فهذا يعنى حدوث فرقة بينهم.

ويطلق أهل الفرقة على من ديدنه الافتراق، أمّا من حليته الصلاح وزينته التقوى فإنّه يحاول أن يجمع ويضمّ إليه جميع أهل الفرقة حتى يعيدهم إلى صفّ الحقّ، والإمام سلام الله عليه يطلب من الله تعالى ويعلّمنا بدوره أن نطلب منه سبحانه الإعانة فى هذا الأمر وهو ضمّ أُولئك الذين يفصلون أنفسهم عن الآخرين متّبعين أهواءهم. هذه الخصلة الأولى.

أمّا الخصلة الثانية التى يطلبها الإمام فهى إصلاح ذات البين، فممّا يعنيه البين هو الصلة والحال التى عليها أفراد المجتمع، وهو نقيض الفرقة. فإصلاح ذات البين يعنى: صيانة الألفة والمحبّة من خلال إدامتهما ومعالجة أىّ شرخ ممكن حدوثه قبل اتّساعه مهما كان حجمه سواء بين الإخوة، أو الزوج والزوجة، أو الأصدقاء، أو بين الأُستاذ وتلميذه، أو الأب وابنه أو غير ذلك.

أمّا الذات ففسّرت بالحقيقة. فالمعنى إصلاح حقيقة البين. وقال بعض الأُدباء: إنّ «ذات» كلمة زائدة ككثير من الكلمات التى تزاد فى التعابير اللغوية، خاصّة فى اللغة العربية لغرض التأكيد وغيره.

هل هما خصلتان أم خصلة واحدة؟

وهل تعود هاتان الجملتان إلى خصلة واحدة؟

يقول اللغويون وبتبعهم الأصوليّون: إنّ الأصل فى الواو هو المغايرة، إلا إذا كانت هناك قرينة على وحدة الأمرين. فمثلاً: لو قيل: جاء زيد وأبو عمر، فالمتبادر للذهن أنّ شخصين جاءا، وليس المقصود أنّ الجائى واحد وهو زيد الذى كنيته أبو عمرو. نعم قد تأتى الواو لبيان المعطوف عليه نفسه بتعبير آخر، ولكن الأمر بحاجة إلى قرينة.

إذاً يقتضى أن يكون «ضمّ أهل الفرقة» و «إصلاح ذات البين» أمرين متغايرين، ولكن هذا لا يمنع أن يكون بينهما عموم وخصوص من وجه، لكن بعض العلماء قالوا: إنّ «ضمّ أهل الفرقة» يتناول الدائرة الواسعة أى المجتمع، أمّا «إصلاح ذات البين» فالمقصود به الدائرة الأصغر وهى الأُسرة والعشيرة والأقرباء، وهذا له وجه لا بأس به فى نفسه، وقد يستوحى ذلك من كلمة «فرقة» و «بين».

وعلى كلّ حال، فإنّ من الأُمور التى ينبغى للإنسان المؤمن أن يعنى بها فى المجتمع، أى على الصعيد العامّ والواسع، أن يكون ديدنه الحيلولة دون حدوث الفرقة والاختلاف، كما عليه أن يسعى أيضاً من أجل الإصلاح على صعيد العلاقات الاجتماعية الصغرى كالعلاقات بين الإخوة والأقارب والزملاء، فهاتان الخصلتان ضمّ أهل الفرقة، وإصلاح ذات البين تعدّان من حلية الصالحين وزينة المتّقين.

ضمّ بالحقّ وتفريق الباطل

هنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال، وهو: هل الإمام السجّاد سلام الله عليه يدعو للاجتماع وعدم الفرقة دائماً من دون نظر إلى الحقّ والباطل؟ حاشا أن يكون الإمام يريد ذلك؛ لأنّ الإمام السجّاد عدل القرآن، والقرآن يقول?: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ?وهذا معناه أنّ الناس كانوا مجتمعين على الضلال والباطل، فبعث الله تعالى الرسل ليمزّقوا وحدة الباطل فيهم ببيّنات الوحى والتنزيل. أجل، الوحدة من الفضائل ولكن إذا كانت فى إطار الحقّ والفضيلة لا فى إطار الباطل والرذيلة.

ثمّة عبارة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام بحقّ أهل الشام يجدر الوقوف عندها - كما هو الحال مع كلّ كلمات المعصومين سلام الله عليهم - يقول مخاطباً فيها أهل العراق ...: والله لقد خشيت أن يدال هؤلاء القوم

- يعنى أهل الشام - عليكم، بإصلاحهم فى أرضهم، وفسادكم فى أرضكم، وأدائهم الأمانة لمعاوية، وخيانتكم، وبطاعتهم له، ومعصيتكم لى، واجتماعهم على باطلهم، وتفرّقكم عن حقّكم ... فلا- يقال للإمام سلام الله عليه ما دام الاجتماع أمراً حسناً فلماذا يلامون عليه؟ فالاجتماع فى نفسه مطلوب، إلاّ- أنّه ينبغى أن تكون الغاية حقّة. والتوجّه للباطل إذا كان من فرد واحد فهو ضلالة واحدة، فإذا اتّجه اثنان إلى الباطل فهذه ضلالتان، وهكذا كلّما زيد اجتماع أهل الباطل زاد عدد الضالّين، فأين هو الحسن فيه. فضمّ أهل الفرقة ممدوح ومطلوب إذا كان إلى جهة الحقّ، لأنّ الاجتماع على الحقّ ضرورىّ، ولو حاد فرد واحد عنه فعلى المؤمن أن يسعى لإرجاعه وضمّه ثانية.

ولنمثّل بمثال فى هذا المجال من سيرة أهل البيت سلام الله عليهم حيث يروى أنّ هناك رسالة مهمّة من الإمام السجّاد سلام الله عليه بعث بها إلى الزهرى مرويّة فى كتب الخاصّة والعامّة، يقول الإمام عليه السلام فيها: وأن تُسأل عما أخذت بإعانتك على ظلم الظَلَمَة ...جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم وجسراً يعبرون عليك الى بلاياهم. فعمل الإمام هنا فى الحقيقة ضمٌّ لأهل الفرقة، وإن كان فى ظاهره تفريقاً ومنعاً عن الانضمام؛ لأنّه تفريق للباطل ومنع عن الانضمام إليه.

ولنا فى الإمام الحسين سلام الله عليه مثل آخر، فإنّ علماء السوء قالوا عنه إنّه شقّ عصا المسلمين، لأنّ يزيد كان حاكماً مسلماً وكان المسلمون يمارسون حياتهم وطقوسهم الدينية ولا وجود لخلاف فيما بينهم ولكن الحسين سلام الله عليه بزعمهم هو الذى أوجد الخلاف!! ونقول: إنّ هذا الخلاف والافتراق الذى أوجده الإمام الحسين سلام الله عليه هو من أهمّ الواجبات بل كان أهمّ الواجبات فى زمانه سلام الله عليه فإنّ الافتراق عن حكومة الحقّ كحكومة الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن سلام الله عليهما هو الضلال الذى يجب السعى لضمّ أهل الفرقة عنه، أمّا إحداث الفرقة فى صفوف أهل الباطل فهو من الفضائل والواجبات.

لقد كان صفوان الجمّال من خيرة أصحاب الإمام الكاظم سلام الله عليه، فأكرى جماله لهارون العبّاسى لسفر الحجّ، فبلغ ذلك الإمام عليه السلام فقال له كلمة عظيمة؛ قال: كلّ شىء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً. ولاشكّ أنّ هذا تقريظ عظيم من الإمام ممّا يكشف عن منزلة صفوان، ولكن الإمام استنكر عليه إكراءه جماله لهارون. فقال صفوان: يابن رسول الله، هذا يريدها للحجّ. فقال له الإمام: أتحبّ بقاءهم حتى يخرج كراك؟ قلت: نعم. قال عليه السلام: فمن أحبّ بقاءَهم فهو منهم.

هذا والإمام كان يعلم أنّ هارون سيعرف السبب، وبالفعل جاء هارون فى اليوم الثانى فاعتذر له صفوان بأنّه باعها كلّها.

بل الأمر قد يتعدّى ذلك حتى إلى بناء مسجد، فقد روى عن الإمام الصادق سلام الله عليه قوله: لا تعنهم على بناء مسجد هذا والإمام يعلم عظمة المسجد والصلاة فيه، ولكنّه يعلم كذلك أنّهم سيتّخذون منه شعاراً لتقوية ظلمهم من خلال إشعار الناس بأنّهم أهل تقوى وصلاح؛ فيلتفّون حولهم ويدينون لهم، والدين منهم براء، وإلاّ فإنّ الإمام الصادق سلام الله عليه هو القائل: من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنّة شريطة أن يكون مسجداً قد أُسّس على التقوى والصلاح، لا على الظلم والفساد.

بين الصلاح والإصلاح

تقدّم أنّ ضمّ أهل الفرقة يقع فى الدائرة العامّة من المجتمع، أمّا إصلاح ذات البين فالمقصود به الدائرة الأصغر كالعائلة والعشيرة.

وربّ سائل يسأل عن الإصلاح الذى ورد فى الدعاء والفرق بينه وبين الصلاح الذى عناه الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه فى إحدى وصاياه: أوصيكما وجميع ولدى وأهلى ومن بلغه كتابى بتقوى الله، ونظم أموركم، وصلاح ذات بينكم فإنّى سمعت جدّكما صلّى الله عليه وآله، يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام أى المستحبّة.

هنا نكتة بلاغية وهى أنّه وردت فى بعض النصوص عبارة «إصلاح ذات البين» فيما وردت فى بعض آخر منها عبارة «صلاح ذات البين» والمؤدّى واحد؛ إنّ الإصلاح إمّا أنّه نتيجة الصلاح لأنّك إذا رفعت الفساد وأصلحت بين اثنين، فإنّ نتيجته هو الصلاح أو يراد به دفع الفساد قبل وقوعه، كما لو أحسست أنّ خلافاً ما سيحدث بين زيد وعمرو فبادرت إلى عمل ما من شأنه الحيلولة دون وقوعه، فيطلق على عملك هذا صلاحاً وليس إصلاحاً لأنّه لم يكن فساد فى البين لتصلحه وإنّما حُلت دون وقوعه، بينما الإصلاح أمر يعقب الإحداث دائماً، لغاية العلاج فيه، والذى بين الصلاح والإصلاح كالذى بين الوقاية والعلاج.

للإمام الحسن سلام الله عليه جملة عظيمة تنفعنا فى مجال «إصلاح ذات البين»، يقول الإمام لجنادة: واعلم أنّه تطلب الدنيا والموت يطلبك. فلو آمن الإنسان بهذه الكلمة وكانت حاضرة عنده دوماً لسهل عليه السعى فى طلب الفضائل، ولأمن على نفسه الصراع من أجل ركام الدنيا، لأنّه يعلم أنّ كلّ ما يطلبه من الدنيا لا محالة زائل، فإنّ ذكر الموت وحده كفيل بأن يحدّ من شهوات النّفس.

حذار من التسويف

جاءنى شخص وسألنى عن الحجّ، قال: كنت مستطيعاً منذ عشرة أعوام ولم أحجّ، ولكنّى كتبت فى وصيتى أن يحجّ أولادى بالنيابة عنّى، فقلت له: إنّ التسويف فى الفرائض يعدُّ من الكبائر، إلى أن اقتنع بأن يحجّ بنفسه، وإن استلزم أن يقترض فى ذلك، وإن كان هو مستطيعاً كما تبيّن لى، وبعد أن أبدى استعداده وكان فى شهر ذى القعدة انصرف.

وبعد أسبوع أتوا لأذهب الى الصلاة على جنازته، وعندما وصلت المكان كان أبناؤه موجودين، وقالوا لى: لم يكن به شىء ولكن أُصيب بسكتة قلبية. فأخبرت أكبر أولاده أنّ عليهم أن ينفّذوا ما كتبه لهم فى وصيّته التى أخبرنى عنها قبل موته بأسبوع، وذلك بأن يبعثوا شخصاً خلال هذه السنة أى فى غضون أيّام أو أسابيع لكى يحجّ نيابة عنه، فهذا يعدّ من أوجب الواجبات.

إنّ على الإنسان أن يضع الموت نصب عينيه دائماً، فإذا فعل ذلك خفّت حدّة شهواته واستطاع أن يعمل على ضمّ أهل الفرقة وإصلاح ذات البين بنحو أحسن، ولا يكترث للأعذار غير الصحيحة.

ورد فى الحديث الشريف ...: فإنّك لا تدرى ما اسمك غداً.

إفْشاء العَارِفَة، وسَتر العائبَة

إفْشاء العَارِفَة، وسَتر العائبَة

يطلب إمامنا زين العابدين وسيد الساجدين سلام الله عليه فى طىّ دعائه هذا الذى نستنير به والموسوم بدعاء مكارم الأخلاق أن يحلّيه الله تعالى بحلية الصالحين ويلبسه زينة المتقين، والتى من جملة مصاديقها ما قد سلف بيانه، فيقول تتميماً لمبتغاه: وإفشاء العارفة، وستْر العائبة، ولين العريكة.

الإفشاء: النشر والإذاعة والإظهار. والعارفة: المعروف، والتاء فيها باعتبار الخصلة؛ فإفشاء العارفة يعنى نشر المعروف.

أمّا العائبة وهى مؤنث العائب، والتأنيث فيها باعتبار الخصلة فهى ضدّ العارفة والمعروف. وأمّا السَّتر فالإخفاء؛ فيكون معنى إفشاء العارفة: نشر المعروف وعدم إخفائه، ومعنى ستر العائبة: إخفاء المنكر وعدم إظهاره. وهاتان الخصلتان من صفات الله تعالى؛ ففى الدعاء المروىّ عن الإمام الصادق سلام الله عليه: يا من أظهر الجميل وستر القبيح.

أمّا كيف يكون إفشاء العارفة وستر العائبة؟ الجواب:

أولاً: بالعمل بالمعروف، والانتهاء عن المنكر؛ فإنّ العمل بالمعروف يُعدّ أصدق مصاديق إظهاره، كما أنّ الانتهاء عن المنكر يعدّ كذلك من مصاديق إماتته وإخفائه. فالواجب إذاً يحتمّ على المؤمن أن يلبس رداء المعروف واجبه ومندوبه، وينزع رداء المنكر محرّمه ومكروهه.

ثانياً: أن نذكر الذين يعملون المعروف ونمدحهم، فنقول مثلاً: فلان وقور وفلان مخلص وهكذا. فهذا يعدّ نشراً للعارفة، وأن نستر على الذين زلّوا ولا نشيع ذكر ما عملوا من المنكرات.

ثالثاً: أن لا ننسى معروف الآخرين إلينا ونذكره، وننسى معروفنا إليهم فلا نذكره؛ روى عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أنّه قال: إذا صنع اليك معروف فاذكره، إذا صنعت معروفاً فانسه. أى إذا أحسن إليك شخص ما، فمن إفشاء العارفة أن تذكر لغيرك أنّ فلاناً قد أحسن إليك. أمّا إذا أحسنت إلى غيرك، فليس من العارفة أن تذكر ذلك أينما حللت وارتحلت لتقول مثلاً: «لولاى لكان وضع فلان كذا وكذا» لأنّ هذا يعدّ من العائبة.

الاقتداء بسيرة العلماء

لقد كان السيّد محمد تقى الخونسارى رحمه الله مرجعاً للتقليد فى مدينة قم يوم دخلها السيّد البروجردى وكلاهما كانا من تلامذة المرحوم الآخوند (صاحب الكفاية) رحمه الله.

ففى إحدى الزيارات المتبادلة بينهما قال السيّد الخونسارى للسيد البروجردى: كنت أحضر درسكم فى النجف الأشرف، فأنت أستاذى.

وربما كانت المدّة التى تتلمذ فيها السيّد الخونسارى عند السيّد البروجردى رحمه الله قصيرة جدّاً، ولكن السيّد الخونسارى كان يرى أنّ من إفشاء العارفة وأداء حقّ التعليم أن يذكر ذلك ويبيّنه، وإن كان مرجعاً للتقليد. الأمر الذى يبيّن أنّ إفشاء العارفة بحاجة إلى عزم وإيثار وإيمان وتوكّل على الله تعالى؛ فإنّ النفس لا تدع الإنسان عادة يتنازل أمام أصدقائه ومعارفه.

ففى مثل هذه الحالة، وبعد أن ذكر السيّد الخونسارى ذلك، ترون ماذا سيكون موقف السيّد البروجردى تجاه ما أعلنه السيّد الخونسارى؟ هل يؤيّد كلامه وهو يعلم أنّه ليس من العارفة أن يذكر الإنسان إحسانه إلى غيره؟ أم ينكر الحقيقة، وذلك لا يصحّ أيضاً.

لقد بادر السيّد البروجردى إلى حلّ وسط، فجعل نفسه كمن لا يتذكّر أى أعطى انطباعاً لذلك، دون أن يقع فى الكذب تخلّصاً من حراجة الموقف. ولكن السيّد الخونسارى أعاد الكلام ثانية وأكّده.

فقال السيّد البروجردى: لعلّى لا أتذكّر.

فتبسّم السيّد الخونسارى وقال: يحقّ لك أن تنسى لأنّ كثيرين من أمثالى درسوا عندكم؛ ولذا من الطبيعى أن لا تتذكّرونى، أمّا أنا فمن حقّى أن لا أنسى لأنّى قلّما رأيت أستاذاً مثلكم، ولذلك لا أنساكم.

كما ينبغى لنا أن نتحلّى بحلية الصالحين فى إفشاء العارفة، كذلك الحال فى ستر العائبة وإخفاء عيوب الآخرين فضلاً عن عيوب أنفسنا.

الإسلام وستر العائبة

فمن يراجع الأحكام الجنائية فى الإسلام يلاحظ بوضوح تأكيد الإسلام لهذا المبدأ، فى حين لا تجد هذا فى القوانين الوضعية أبداً.

تحكى الروايات الشريفة فى موارد عديدة أنّ أشخاصاً كانوا يأتون إلى النبى الأكرم صلى الله عليه وآله ليعترفوا بذنوب قد تستوجب

إقامة الحدّ عليهم كالزنا مثلاً، وعلى الرغم من أنّ إقرار العقلاء على أنفسهم حجّة، أى نافذ ومقبول، إلّا أن الإسلام لا يكتفى بإقرار المذنب على نفسه مرّة واحدة دائماً، بل ثمّة موارد يُحتاج فيها الى تكرار الإقرار أربع مرّات. ولهذا كان النبى صلى الله عليه وآله لا يعيرهم اهتمامه، كأن يُعرض بوجهه الشريف عنهم أو ما شابه ذلك؛ لكى يمهل المذنب ويدفعه على التراجع مادام فى الأمر فسحة، ولم يكمل نصاب شهادته على نفسه.

فقد روى أنّ ماعز بن مالك جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنّى زنيت، فأعرض عنه، ثمّ جاء من شقّه الأيمن، فقال: يا رسول الله إنّى قد زنيت، فأعرض عنه، ثمّ جاءه فقال: إنى قد زنيت، ثمّ جاءه فقال: إنى قد زنيت، قال ذلك أربع مرّات.

وروى أنّه صلى الله عليه وآله قال له: لعلك قبّلت، أو غمزت أو نظرت؛ كلّ ذلك محاولة منه صلى الله عليه وآله للستر على المعترف ودفعه للتراجع والاكتفاء بالتوبة، مما يدلّ على أنّ الإسلام وتعاليم النبى وأهل بيته سلام الله عليهم هى ستر المعايب لا إفشاؤها ونشرها.

كما روى أيضاً أنّ رجلاً جاء للإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أيّام حكومته الظاهرية وطلب منه أن يطهّره من زنا قد ارتكبه، فقال الإمام ...: أيعجز أحدكم اذا قارف هذه السيّئة أن يستر على نفسه كما ستر الله عليه.

إنّ المجتمع الذى تسرى فيه روح ستر العائبة وإفشاء العارفة لهو حقيق بأن ينعم بالطمأنينة والسعادة.

ومن عبر القصص

كان السيّد أحمد الروحانىّ القمّى خطيباً واعظاً يرتقى المنبر، سمعت منه بعض القصص الغنيّة بالمواعظ والعبر، وقد حكى مرّة فقال:

اتّصل بى فى أحد الأيّام شخص أعرفه وطلب منّى حضور تشييع جنازة أحد المؤمنين، فاعتذرت منه وقلت له: إنّنى لا أعرف المتوفّى وربما كانت لديه التزامات أخرى كان يراها أهمّ، وإلا فإنّ تشييع المؤمن أمر قد حثّت عليه الروايات كثيراً، ولا يشترط فيه معرفة المتوفّى فقال لى: ولكنّه إنسان مؤمن، فأرجو أن تحاول حضور تشييعه وإن لم تعرفه.

يقول: فوافقت، ولمّا حضرت التشييع لفت انتباهى شخص من المشيّعين يبكى بكاءً مرّاً دفعنى لأن أسأله: هل أنت ابن المرحوم؟

فقال: لا.

قلت: فمن أقربائه؟

قال: لا.

قلت: إذاً فلما هذا البكاء عليه، وما هو السبب.

قال: لذلك قصّة سأحدثك عنها بعد انتهاء التشييع.

وبعد انتهاء التشييع قال: كنت رجلاً فقيراً ومعيلاً وأخجل أن أمدّ يدى إلى أحد، ولم يكن المال الذى أكسبه يكفى لمعيشتى وعائلتى، فقد كنت أستأجر لهم غرفة فى مكان متواضع وبأجرة رخيصة، وعندما يطالبنى المؤجّر بالزيادة، اضطرّ لنقل عائلتى إلى مكان آخر، وهكذا أغيّر مكانى كلّ مدّة، فمكثت على هذه الحال أعانى من صعوبة الحياة وضنك العيش حتى اتّفق فى أحد الأيّام أن التقيت بهذا الرجل، ولكن أىّ لقاء.

صادف أن دخلتُ إحدى المساجد فى أحد الأيّام لأداء الصلاة، وكانت الجماعة منعقدة والصفوف متراصّة، ولم أجد مكاناً بين الصفوف، فوقفت وحدى خلف آخر صفّ، وإذا بهذا الرجل الذى فرغنا من تشييع جنازته قد جاء ولم أكن أعرفه قبل ذلك فوقف بجانبى، وقبل أن يكبّر تكبيرة الإحرام أفرغ بعض الأشياء من جيبه ووضعها أمامه لعلّه كان يلتزم ببعض الآداب من عدم حمل بعض الأشياء أثناء الصلاة ثم التحق بالجماعة، وفى أثناء الركوع لفت انتباهى أنّ فى الأشياء التى وضعها أمامه خاتماً من ذهب.

وفجأة بدر إلى ذهنى فكرة سرقته، مع أنّى لم أكن قد تجرّأت يوماً للسرقة قبل ذلك - وكنت فى ذلك اليوم أمرّ فى أسوأ حالاتى الماديّة، حتى أنّه لم يكن عندى ما أبتاع به طعاماً لعائلتى.

فبقيت متردّداً لحظات أحدّث نفسى وتحدّثنى، وأجذبها وتجذبنى، أأسرقه أم لا؟

وأخيراً جذبتنى نفسى فطاوعتها على السرقة وبدأت أخطّط للأمر وأراقب الرجل؛ هل هو منتبه للأشياء التى وضعها أمامه، أم هو غارق فى الصلاة ليس ملتفتاً إلى غيرها؟ فرأيته كأنّه غارق فى صلاته، فقرّرت أن أسرق الخاتم فى حال السجود لأنّ المسافة بين موضعَى سجودنا لم تكن بعيدة، فكان لا يتطلّب منّى الأمر سوى أن أضع يدى على الخاتم قبل أن يرفع هو رأسه، ثمّ أسحبه فى خفّة وأضعه فى جيبى وأواصل صلاتى لئلاّ ألفت انتباهه، ثمّ أغادر بمجرّد أن تنتهى الصلاة.

ولكنّى لم أجرؤ على القيام بذلك فى سجود الرّكعات الأولى حتى بلغنا السجدة الأخيرة من الركعة الأخيرة وفى تلك اللحظة قرّرت أخيراً أن أقوم بالمجازفة مهما كلّف الأمر.

وفعلاً وضعت يدى على الخاتم وسحبتُهُ، ثمّ وضعتُ يدى على رجلى، إلا أنّنى كنت متوجّساً خيفة من احتمال أن يكون قد شعر بى، فصرت أرقبه باختلاس وريبة، فرأيته وكأنّه غير منتبه، فضلاً عن عدم إبدائه لأىّ ردة فعل، خصوصاً وأنّنا لازلنا فى الصلاة، ولكن مع ذلك بدأت دقّات قلبى تتسارع وبدأت أفكّر كيف أفرّ بالخاتم إذا انتهت الصلاة.

وبينما الأفكار تصارعنى، نفذ الى سمعى صوت الإمام قائلاً: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ولما هممتُ بالقيام وضعَ الرجل يده على يدى وقال لى: الخاتم لكى! ولكن قل لى: لماذا فعلت هذا؟ وعندما سمعته يقول لى": الخاتم لكى "اطمأننت قليلاً وهدأ قلبى.

قلت له: صدّقنى إنّها المرّة الأولى وإنّى لم أسرق قبلها فى حياتى قطّ.

فقال: هذا بادٍ عليك لأنّ وجهك قد اصفرّ ويديك ترتعشان وبدنك يرتجف، فأخبرنى عن شأنك؟

فقلت له: أنا رجل معيل وقد أضرّ بى الفقر، حتى بلغ بى الحال أن لا أقدر على تأمين قوت أهلى.

فقال لى: الخاتم لكى خذه، ولكن إيّاك أن تبيعه بثمن بخس. فأنا رجل غنىّ وجديد عهد بالزواج، وقد اشتريت هذا الخاتم لأقدّمه هدية لزوجتى، ولكن لا بأس سأشترى لها غيره، ولكنّى أنصحك أوّلاً أن لا تفرّط به وتعرف قدره لئلا يغشّوك. وثانياً إذا أردت بيعه فحين تذهب إلى بائع الذهب ربما ينكر أن يكون هذا الخاتم لكى، واذا ما حصل هذا ولكى تتخلّص من مساءلته قل له: إنّ فلاناً وذكَر لى اسمه يعرفنى.

وكان الأمر كما أخبرنى بالفعل، فعندما أعطيته بائع الذهب أخذ ينظر إليه وينظر إلىّ مستغرباً ثمّ قال: من أين أتيت بهذا الخاتم، قلت: هو خاتمى. قال: ليس خاتمك، قلت: إن كنت تشتريه فادفع لى ثمنه وإلا فادفعه لى لكى أنصرف. قال: لا أدفع ثمنه ولا أسلّمه لكى إلا فى مركز الشرطة! فقلت له: إنّ فلاناً يعرفنى ويعرف أنّ هذا الخاتم لى.

ولكنّه لم يقتنع وطلب منّى أن أحضره لكى يستبين الأمر.

وبالفعل حضر الرجل وشهد لى عنده بأنه يعرفنى وأنّ الخاتم خاتمى، فأعطانى بائع الذهب حينها ثمنه وكان كثيراً وخلّى سبيلى.

ولكن هذا الرجل صاحب الخاتم لحقنى وقال: ماذا ستصنع إذا نفد ثمن الخاتم؟

فلم أحر جواباً.

فاقترح علىّ أن أشترى به بيتاً صغيراً فى منطقة مناسبة، لكى أسكن فى قسمٍ منه، وأؤجّر القسم الآخر، لكى يكون لى عائدٌ مستمرّ، ولو قليل، من إجارته.

فوافقت، وظلّ هو يبحث معى حتى وجد لى منزلاً بنفسه، فاشتريناه وكان كما اقترح.

ومرّت علىّ السنوات بعد ذلك وقد خفّ ثقل الماضى ولم يعد يقلقنى ضنك العيش بتلك الصورة، فهلاّ يحقّ لى إذاً أن أبكيه من كلّ قلبى، كيف لا، وهو الذى ستر علىّ ولم يحدّث أحداً بصنيعه هذا.

أُنظروا كيف أنّ ستر العائبة من قبل هذا الرجل التاجر أخذت بيد إنسان كان على شفير السقوط، فربما لو كان هذا الرجل قد صاح به ونهره وأذاع به أثناء سرقته الخاتم لسقطت شخصيته وانهارت كرامته ولم يبال بعدها بما سيؤول إليه أمره؛ لسقوطه عن أعين الناس،

ولتحوّل من إنسان بسيط إلى سارق محترف يضرّ نفسه والمجتمع.

لين العريكة

لين العريكة

العريكـة: تعنى النفس والخلق، والمستفاد من استعمالاتها فى الروايات طبيعة المعاشـرة مع الآخرين؛ لأنّ العرك هو الدلك والتحمّل؛ يقال: عرك الأديم أى دلك الجلد.

وحسب هـذا الـدعاء وكذلك من وجهة نظر الإسـلام ومنطق أهل البيت عليهم الصـلاة والسـلام، فإنّ المطلوب من الإنسان المؤمن أن يكون ليّن العريكة، أى سلس الخُلق فى المعاشرة مع الناس.

وهذه الفضـيلة فى بنى آدم إمّا أن تكون بالطبع، أى ما جُبل عليه الانسان، وإمّا بالتطبّع، أى بالأخذ والاكتساب، أو ما عُبّر عنه فى بعض الروايات بالنيّة، أى أن يروّض ويحمّل الإنسان نفسه عليها ويتصنّعها حتى يكتسبها.

فمن لم يكن لديه نيّة الوصول إلى خصـلة لين العريكة أو كان فى الدرجات النازلة من التقوى والصلاح فى النفس فهو كالصخرة التى يصـعب التأثير فيها، أمّا من توفّر على نيّة الوصول إلى تلك الخصـلة أو من كان فى الدرجات العليا من التقوى والصـلاح فهو من هذه الجهة كالماء يأخذ شكل كلّ شىء يحتويه.

لاشك أن الذى له نفسٌ شديدة العريكة كالصخر، يصعب عليه تحويلها إلى نفس ليّنة قادرة على تحقيق المعالى ولكن يمكنه تحمّلها والتغلّب عليها بالرياضة والتطبّع ليتّصف بالفضائل فى الأقوال والأفعال، فى السرّاء والضرّاء، والشـباب والشـيوخة، والسـفر والحضر، مع الأهل والجيران والأصدقاء بل حتى مع الأعداء.

فصـقل الذات قضية صعبة للغاية، غير أنّه لا بدّ للمؤمن من ذلك، ولا بديل له عن إنجاز هذه المهمّة الضرورية؛ لأنّ كلّ إنسان تواجهه فى الحياة عقبات وصـعوبات قد يشـيب الطفل من بعضها، ولكن لا بدّ له من تجاوزها لئلّا يتحسّر على عدم التحمل فى يوم لا ينفع فيه حسرة ولا ندم.

ألم الحسرة على تفويت الفرصة

لقـد روى أنّ الحسـرة تعمّ جميع الخلق فى يوم القيامـة بمن فيهم المؤمنون؛ لأنّهم سيتحسّـرون على عدم مضاعفة جهودهم فى الإكثار من العمل الصالح فى الحياة الدنيا ليزدادوا إلى أجرهم أجراً، لذا فإنّ واحداً من مسمّيات يوم القيامة هو يوم الحسرة والندامة.

وليست الحسرة فى الآخرة كما هى فى الدنيا؛ لأنّ حسرات الدنيا يمكن تداركها بالسعى ومضاعفة الجهد، أمّا حسرات الإنسان فى يوم القيامة فلا يمكن تداركها؛ لانقطاع العمل بحلول الأجل.

فإذا كانت الحسـرة على تفويت الفرصـة تؤذى الإنسان فى الحياة الـدنيا فكيف به فى يوم القيامة الذى وصـفه الله تعالى بقوله?: يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ?

نقل أحد العلماء وكان فى مجلس حضره بعض الفقهاء ومراجع التقليد:

كنت جالساً فى صحن مرقد أمير المؤمنين سلام الله عليه مع رفيق لى كان مرجعاً دينياً كبيراً حينذاك، وقد توفّاه الله تعالى وكنّا نتداول بعض البحوث العلمية، إذ مرّ من أمامنا سقّاء يوزّع الماء، وكان رجلاً كبير السنّ يحمل جرّة الماء بصعوبة.

فقال لى صاحبى المرجع: هل ترى هذا السقّاء؟ لقد كنّا معاً زميلين فى الدراسة قبل ثلاثين عاماً، وكان يمتاز بالذكاء، ولكنّه توقّف عن مواصلة الدراسـة بسـبب ضـغوط الحياة، فلم يقاوم، فترك الدرس واتّخذ مهنة السـقاية للزائرين بدلاً عنه، لعلّه يحرز جانباً من تكاليف

معيشته.

ثمّ قال الناقل:

فاصطحبنى ذلك المرجع ونهضنا إليه لنسأله عن حاله، فقال لنا بعد أن تذكّر زميله: إنّنى أتحسّر وأتأسف ليلى مع نهارى على قلّة صبرى وعدم تحمّلى بضع سنوات من الصعوبة حتى استبدلت الأدنى بالذى هو خير.

فالحسرة فى الدنيا تنتهى خلال سنة أو سنوات وربما تداركها الانسان، ونادراً ما تستغرق العمر كلّه، ولكن حسرة الدار الآخرة لا تنتهى؛ لفوات تداركها؛ فتكون أبدية ولا حيلة للإنسان حينها فى التخلّص منها.

رسول الله ألينهم عريكة

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو القمّة فى كلّ الفضائل والأخلاق، وقد وصفه ربّ العرش بقوله تعالى?: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ?وقال تعالى أيضاً?: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ، ?وقال فى وصفه الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: وألينهم عريكة.

ولقد نقل التاريخ آثاراً كثيرة، تروى لنا عظمة النبى صلى الله عليه وآله وتبيّن مدى لين عريكته، منها:

ما جرى بينه صلى الله عليه وآله وبين زوجته عائشة، فرغم أنّها تصغره بسنين كثيرة، وهو رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى، والذى وصفه الله تعالى من فوق عرشه العظيم بأنّه «على خلق عظيم»، تروى عائشة أنّه: حدث نوع من الخلاف بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وآله فحاكمته الى أبيها، وحينما اجتمعوا بادرته بالقول: «أقصد يا رسول الله» أى أعدل. ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يردّ على إساءتها تلك ولو بأبسط ردّ، وتحمّل منها ما تحمّل.

وثمّة حادثة أخرى تعكس هذه الخلّة الكريمة لنبيّنا الأعظم صلى الله عليه وآله عُرفت فيما بعد بقضيّة القطيفة الحمراء، فقد روى أنّه فى غزوة بدر فقدت قطيفة حمراء من الغنائم فزعم رجل من الأصحاب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذها. فأنزل الله تعالى هذه الآية?: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ. ?فجاء رجل فقال: إنّ فلاناً قد غلّ قطيفة واحتفرها هنالك، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بحفر ذلك الموضع فأخرج القطيفة. وبرّأ الله تعالى رسوله الكريم.

فمن لين عريكته صلى الله عليه وآله ستره للغالّ لتلك القطيفة وعدم تعريفه للنّاس فضلاً عن عدم أخذه بما اتُّهم به كذباً وزوراً.

الخلاصة: حرىّ بنا أن ندعو الله سبحانه وتعالى بأن يمنحنا هذه الخصلة، ولا ينبغى أن يتخيّل بأن الانسان إذا كان ليّن العريكة أُكِل، أمّا إذا كان صلباً جلب احترام الناس وهيبتهم له؛ بل العكس فإنّ لين العريكة فى محلّه هو الذى يجلب القوّة والإحترام، كما أن المؤمنين إذا تحلّوا بهذه الخصلة أمكنهم أيضاً أن يكونوا دعاة للدين بصورة عملية ويكونوا خير مصداق للحديث الشريف المروىّ عن الإمام الصادق سلام الله عليه: كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم.

إنّ الدعوة العملية قد لا تكون سريعة الاستجابة، ولكنّها ستكون عميقة التأثير توتى أكلها ولو بعد حين، كما أن التوفّر على خصلة لين العريكة قد يكون أمراً صعباً ويحتاج الى ترويض، ولكنّها إذا توفّرت فإنّها تكون من أقوى أسباب التأثير فى المجتمع.

خَفْضُ الجَناحِ، وَحُسْنُ السّيرة

خَفْضُ الجَناحِ، وَحُسْنُ السّيرة

يطلق الجناح لغة على الميل والكنف. فمن لا يملك مالاً فليس له كنف مال، والجاهل ليس له كنف علم.

إنّ ما يستفيده الطائر من جناحيه متوفّر لدى الإنسان أيضاً ولكن بصفة أخرى. فكما أنّ الجناح يعدّ مصدر قوّة ووسيلة يستعين بها الطير

على الطيران، فكذلك الإنسان ومن باب المجاز يكون له جناح متمثّلاً ـ بقواه التى يستعين بها على الخوض فى أمور الحياة. فالعلم والمال والعضلات والذكاء والعشيرة وغيرها، كلّها تعدّ أجنحة يستطيع الإنسان التحليق بها فى حياته؛ فمن طريق هذه الأجنحة يعى الإنسان الأشياء ويبيع ويشترى ويبطش أو يعفو، ويحفظ من المعلومات ويستنتج من التحاليل أو يكون مرهوب الجانب.

ولاشكّ أنّ العلم الذى يتمتّع به الإنسان إنّما هو نعمة تكرّم الله تعالى بها عليه كسائر المواهب والقدرات، لذا يجدر به أن يحسن التصرّف بهذه النعمة كما فى غيرها، فيكون ذلك فى رضا الله تعالى.

إنّ الإمام زين العابدين سلام الله عليه يسأل الله تعالى فى هذا المقطع أموراً تعدّ هى الأخرى من حلية الصالحين وزينة المتّقين، منها خفض الجناح، حيث يدعو الله تعالى أن يمكّنه من الإمساك بجناحه والسيطرة عليه وخفضه عند مواضع رضاه سبحانه وتعالى؛ فلا يتكبّر الإنسان بعلمه على الناس، فيخفض جناح علمه لمن سواه، وكذلك الأمر بالنسبة لسائر الأجنحة، فلا يبطر بماله وجاهه، ولا يطغى بقوّته البدنية، ولا يسىء استخدام ذكائه، ولا يتعصّب لعشيرته وذوى قرابته، كما لا يستميلهم فى الباطل على خصمه.

ولابدّ للمؤمنين أن يقتفوا أثر الإمام سلام الله عليه لأنّه الأسوة والقدوة لهم فيسعوا فى التحلّى بهذه الخصلة بمعونة الله تعالى.

خفض الجناح نيّة وسجيّة

إنّ خفض الجناح لدى الإنسان يُعدّ من مصاديق الخلق الحسن الذى ينبغى أن يكون عليه، لكى يكون بواسطته أهلاً لأن يشقّ طريقه فى الحياة بقليل من الصعوبة، وهذا يوجب محبوبيّته عند الناس أيضاً، وإنّه خفض الجناح أمر صعب جدّاً، إلا أنّه ممكن تحقيقه.

روى عن إسحاق بن عمّار عن الإمام الباقر سلام الله عليه أنّه قال: إنّ الخُلق منحة يمنحها الله خلقه، فمنه سجيّة ومنه نيّة.

قال إسحاق: فقلت: فأيّهما أفضل؟

قال: صاحب السجيّة هو مجبول لا يستطيع غيره، وصاحب النيّة يصبر على الطاعة تصبّراً فهو أفضلهما.

فبدءاً، يكشف الإمام الباقر سلام الله عليه أنّ الخلق الحسن ومنه التواضع والصدق وخفض الجناح نعمة قد تكرّم الله بها على خلقه.

ثمّ يؤكّد أنّ هذه الأخلاق تكون على نحوين:

الأوّل: السجيّة، أى طبيعة متأصّلة فى ذات الإنسان بفعل عامل التربية والأجواء التى يعيش فيها، كأن يكون الجوّ المنزلى أو العام جوّاً أخلاقياً طيّباً، فينمو الإنسان فى ظلّه، فيتطبّع بالأخلاق الطيّبة. وهذا يكون من السهل عليه الالتزام بالأخلاق الفاضلة، بل قد يصعب عليه خلافها.

الثانى: النيّة، أى الإرادة والقصد إلى الفعل الحسن والخلق الحسن؛ بمعنى أنّ الشخص بحاجة إلى إرادة وتصميم ليشقّ طريقه فى الحياة. فالذى ترعرع فى أجواء غير حميدة أخلاقاً، تراه يعانى كثيراً لكى يلتزم بالأخلاق الفاضلة والسلوك الطيّب. وهذه المعاناة، إنّما تقف وراء تحمّلها نيّة صادقة وإرادة قاهرة لتجاوز الحالة أو الطبيعة السيّئة التى يعيشها المرء مع نفسه أو مع غيره.

ولذلك فإنّ صاحب الطبيعة أو السجيّة الحميدة لا يستطيع التخلّى عنها بسهولة، أى من الصعب عليه أن يستبدل بها غيرها، فلا يتكبّر مثلاً، لأنّه مجبول على التواضع، ولا يسرق لأنّ الأمانة تسرى فى عروقه.

أمّا صاحب النيّة فتجده يكابد ويقسو على نفسه ليصبّرها على الطاعة والخلق الحسن. فعندما يحاول أن يكون متواضعاً ذا خلق حسن يجد فى نفسه امتناعاً عن ذلك، حينئذ تراه يصبّرها جهاداً ليرقى بمستواها حتى تأخذ طابعاً جديداً ومسلكاً طيّباً عبر إرادة صلبة. فكان والحال هذه صاحب النيّة المكافح أفضل درجة وأرفع منزلة.

إمكان التغيير رغم صعوبته

أمّا الذى يبدى عجزه عن إحداث التغيير فى نفسه وسلوكه نحو الأحسن، بذريعة الرواسب العالقة فى ذاته، فغير صائب فى ذلك لأنّ

عملية التغيير ممكنة وإن كانت صعبة. والأمثلة على ذلك.

من المعروف وجود التنافر بين رئة الإنسان وبين الدخان الداخل فيها يفوق التنافر الذى بينه وبين أعضاء أخرى من بدن الإنسان بما فيها العين؛ وذلك بسبب حساسية الرئة ولطافتها ورقّتها من جهة، ولكونها العضو المهمّ فى عمليّة التنفّس من جهة أخرى. ولكننا مع ذلك نلاحظ أن كثيراً من الناس يقومون بإدخال كميات كثيرة من الدخان إلى رئاتهم عبر السجائر بشوق ورغبة، بل أن بعضهم يشتاق إلى السجائر أكثر من شوقه إلى ألذّ الأطعمة، فكيف بلغوا هذه الحالة؟

لاشكّ أنّ هذه الحالة لم تحصل دفعة واحدة بل حصلت بالتدريج، ولاشك أنّ الرئة قاومت الأمر بردّ فعل شديد فى المرّة الأولى، ولكن شيئاً فشيئاً بدأت المقاومة تخفّ، حتى تبدّلت إلى شوق ورغبة.

ينقل أنّ طبيباً قال لأحد المدمنين على التدخين: إنّ الدخان يُنقص من عمرك إلى حدّ النصف، فإذا كان عمرك سيبلغ المئة عام دون تناولك السجائر فإنّه سيتدنّى إلى الخمسين معها. فقال الرجل: إنّ خمسين سنة مع السيجارة أفضل عندى من مئة سنة بدونها! وكان الرجل صادقاً فى كلامه؛ لما يحسّ من ضعف فى نفسه عن ممارسة إرادته التى دفنها بنفسه.

وعلى كلّ حال فإنّ إمكانيّة أن يبدّل الإنسان طبعه بإرادته لا يخلو من صعوبة ولكنّه يمكن تجاوزها مع العزم والإصرار، وهكذا الأمر فى ترك التدخين فهو الآخر بحاجة إلى نيّة صادقة وعزم شديد، بل هكذا هو الحال فى التحلّى بالأخلاق الفاضلة عموماً، ومنها خفض الجناح.

الأئمة سلام الله عليهم أفضل قدوة

يروى عن الإمام محمد الباقر سلام الله عليه أنّه لقى فى طريق عودته من الشام إلى المدينة نصرانياً ديرانياً فسأله النصرانى: أأنت من علمائها أى المدينة أم من جهّالها.

ورغم أنّ الإمام الباقر لا يمكن أن يُقاس به أحد، إلا أنّه اختار جواباً هو الغاية فى الحكمة، والقمّة فى التواضع وخفض الجناح.

قال الإمام: لستُ من جهّالها.

فعدم ادّعائه سلام الله عليه العلم فى معرض جوابه، بل التلميح له من خلال نفى الجهل عنه، يعتبر القمّة فى الخلق الرفيع والتواضع رسمه لنا سلام الله عليه.

تأسّى العلماء

إن الكثير من علمائنا عملهم هكذا فى مواجهة من يسىء إليهم؛ متأسّين فى ذلك بسادة الخلق أهل البيت سلام الله عليهم الذين كانت من أولويّاتهم وقبل كلّ شىء هداية الناس.

يُنقل عن هؤلاء العلماء، أنّ أحدهم لما أتمّ تأليف موسوعة فقهيّة له، فى النجف الأشرف بعد جهد جهيد، جاءه أحد المدرّسين فقال له: إنّ الشيخ الأنصارى رحمه الله قد رفع المستوى العلمى فى النجف بكتبه القيّمة، وأنت قد أخفضته بكتابك هذا.

وكان بإمكان مؤلف ذلك الكتاب أن يطرد هذا الرجل وينهره ويهينه من خلال استفادته من مكانته المرجعية أو مواجهته مواجهة علمية يبطل فيها زعمه فى ادعائه. إلا أنّه لم يختر لا هذا ولا ذاك، بل قال له بكلّ أدب وتواضع وخفض جناح: وكيف تقارننى بالشيخ الأنصارى، أين أنا من الشيخ، حبّذا لو تدوّن ملاحظاتك على الكتاب، لأكون شاكراً لك.

فلم يسع الرجل حينها سوى الاعتذار إلى ذلك المرجع وطلب الصفح عنه لما بدر منه من تحامل عليه، بالإضافة إلى أنّه حدث فى ذلك الرجل بسبب هذا التواضع وخفض الجناح تغيّر كلىّ تجاه ذلك المرجع.

بنود خفض الجناح

لا ينحصر التواضع فى كلمات معدودة أو سطور بقدر ما هو حياة عملية يعيشها المرء فى أكثر أوقاته؛ وقد أشار الإمام الصادق سلام الله عليه إلى أربعة بنود فيه، فى قوله:

١. من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس فلا- يتوقّع الإنسان أن تكون له الصدارة دائماً فى كلّ مجلس؛ وإن كان مستواه العلمى أو السياسى أو الاقتصادى أو غير ذلك أعلى مرتبة من غيره، بل يجلس بما إنتهى به ولا- يتعقّب أسباب ذلك، بل يقبل به تواضعاً، فلا يعتبر نفسه أرفع مكاناً من الآخرين، إذ الناس مهما تفاوتت مستوياتهم المادّية، تبقى لهم كراماتهم ومشاعرهم الإنسانية، فلا موجب للمساس بها عبر التكبّر وتصعير الخدّ لا سمح الله.

ينقل عن أحدهم أنّه تعوّد سنين طويلة على الوقوف فى الصف الأول لأداء صلاته خلف إمام الجماعة، وكأنّ ذلك المشهد صار جزءاً لا يتجزّأ من صلاته. وذات يوم جاء كعادته لأداء صلاة الجماعة فرأى المسجد مكتظّاً بالمصلّين ولا مجال له للوقوف سوى فى الصفّ الأخير، فاستاء أيّما استياء! واضطرّ للصلاة فى الصفّ الأخير.

ولكن وهو فى أثناء صلاته كأنّ نوراً قد أضاء فى قلبه وكان هذا بمثابة فرصة ذهبيّة لهدايته من قبل الله تعالى حين تنبّه لنفسه وللغرور الذى أصابه بإصراره على أداء الصلاة فى الصفّ الأوّل، فرأى نفسه بعد ذلك مجبراً على إعادة كلّ صلاة كان قد صلّاها فى الصفّ الأوّل، احتياطاً خوفاً من أن تكون باطلة لما شابها من الرياء والتكبّر.

٢. وأن تسلّم على من تلقى أى لا فرق بين من تعرفه ومن لا تعرفه، الكبير والصغير، العالم والجاهل، الغنىّ والفقير؛ لما لذلك من أثر فى إبراز أجمل صور التواضع فى الإنسان؛ لأنّ إبداء السلام تستلزم كبح الذات وتأديبها وإيقافها دون انطلاقها نحو الكبر وتصوّر الأفضليّة.

٣. وأن تترك المراء وإن كنت محقّاً. والمقصود بالمراء الجدال غير المثمر الذى لا يراد عبره التوصل إلى النتيجة المطلوبة، بقدر ما يريد المرائى أن يظهر أنه الأفهم وأنّ رأيه هو الصحيح، فالذات ونصرتها هى الهدف. وهذا مذموم فى الإسلام.

يُنقل أنّ الشيخ البهائى رحمه الله وكان المرجع الدينى الأعلى فى إيران قبل حوالى أربعمائة عام زار النجف الأشرف والتقى هناك المقدّس الأردبيلى رحمه الله الذى كان معروفاً بأعلميّته وكراماته ومدى اقتدائه بأهل البيت عليهم الصلاة والسلام فدار أثناء لقائهما حوار علمىّ بينهما، شوهد خلاله المقدّس الأردبيلى يتقطّع فى الجواب، مما ترك انطباعاً لدى الحاضرين بأعلمية الشيخ البهائى بما قدّمه من أدلّة وآراء. وفى اليوم التالى عندما ذهب الرجلان إلى مقبرة وادى السلام لقراءة سورة الفاتحة على أرواح المؤمنين ذكر المقدّس الأردبيلى ضعف أدلّة الشيخ البهائى التى قدّمها يوم أمس بالنقض والتحليل، حتى اقتنع الشيخ البهائى بصحّة آراء المقدّس الأردبيلى، وعندما سأله الشيخ البهائى عمّا إذا كان قد عكف ليلة أمس فى البحث عن الأدلّة الأكثر عمقاً؟ أجابه المقدّس الأردبيلى بأنّه كان على اطّلاع بها ولكن منزلته أى منزلة الشيخ البهائى كضيف فضلاً عن شهرته العلمية ومكانته الدينية، منعت المقدّس الأردبيلى من الردّ ومن كشف ضعف أدلّة الشيخ أو خطأ رأيه على مرأى من الناس، أما هنا، فلا يوجد ذلك المحذور، مما يصحّح إثبات رأيه العلمى ونحو ذلك.

وهذه الأخلاق الحميدة وخفض الجناح هو الذى أبقى اسم المقدّس الأردبيلى والشيخ البهائى وأمثالهما من علمائنا رغم مرور مئات السنين على وفاتهم.

۴. وأن لا تحبّ أن تحمد على التقوى. ولعلّ هذه الخصلة هى الأصعب من بين الخصال، إذ الحبّ وعدمه لهما مقدّمات كثيرة، فإنّ الحبّ عاطفة، وهذا ما لا يمكن السيطرة عليه بسهولة قياساً بإمكانية السيطرة على الجوارح والحواسّ. فعندما تكون مثلاً عالماً فقيهاً أو خطيباً بارعاً ولا تحبّ أن تُمدح على هذه المميزات، فذلك من الصعوبة بمكان، لذا ينبغى للإنسان أن يروّض نفسه على عدم حبّ هذا المديح، فلا يستاء إذا لم يؤدّ الناس له ما دأبوا عليه من مدحٍ لذلك.

فبمثل هذا التواضع وخفض الجناح يبقى ذكر المرء مدى الدهر، فقد كان فى زمن المقدّس الأردبيلى الكثير من الأثرياء، ولكن التأريخ لم يأت لهم بذكر، لأنّهم اعتمدوا فى حياتهم على ثرواتهم فقط، فذهبوا كما ذهبت ثرواتهم كهشيم تذروه الرياح، وبقى تراث المتّقين المتواضعين مدرسة معطاء لمن يريد أن ينهل من معينها.

حسن السيرة وقوّة الشخصية

ومن جملة ما يطلبه الإمام السجّاد سلام الله عليه من الله تبارك وتعالى من الأخلاق الحميدة التى تعدّ من حلية الصالحين وزينة المتّقين: حسن السيرة وسكون الريح. يقول عليه السلام: وحسنِ السيرة وسُكونِ الرّيح.

وحسن السيرة إنّما يتحقّق بحسن السريرة. فإذا كان باطن المرء طيّباً طاهراً كان ظاهره كذلك فالسريرة الطيّبة تنعكس على شخصية الفرد وتصرّفاته، والعكس بالعكس، حتى أنّ الإنسان ليلمسها فى نفسه ويراها رأى العين.

فمن كانت سريرته طيّبة، لا تصدر عنه تصرّفات تنمّ عن الكبر والغضب والعنف، سواء كان ذلك من خلال العين أو اللسان أو سائر جوارحه، حين تعامله مع أسرته، أو ما يحيط به من أفراد المجتمع على مختلف أطيافهم وأصنافهم. قال أمير المؤمنين سلام الله عليه: طوبى لمن ذلّ فى نفسه، وطاب كسبه، وصلحت سريرته (سيرته)، وحسنت خليقته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من لسانه.

وبما أنّ قضية حسن السيرة مهمّة ومصيرية فى حياة الفرد، لذا فمن الجدير بالإنسان المؤمن أن يدعو الله تعالى لينعم عليه بهذه الصفة الخيّرة، ويكون دعاؤه دعاء المضطرّ، فيدعو من كلّ قلبه وبكلّ صدق وثقة ليحصل على ما يريد.

سكون الريح

تعدّدت الشروح والبيانات لعبارة «سكون الريح» لكنّ الأرجح أنّ كلمة «سكون» تعنى الثبات. أمّا كلمة «الريح» فهى استعارة للتعبير عن شخصية الإنسان، فيكون معنى سكون الريح، ثبات الشخصية وعدم تزعزعها، كما قال سبحانه وتعالى?: وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ?أى تزول قوّة شخصيتكم ويتفتّت كيانكم.

إنّ حسن السيرة وسكون الريح من صفات الصالحين وحلية المتّقين، فالتصرّف اللائق وقوّة الشخصية، والاتّزان فى المواقف والسلوك تأخذ بالإنسان نحو التقوى والصلاح. فلا تجدون صالحاً تقيّاً يميل مع الرياح أينما تميل، كأن يعتنق اليوم مذهباً وغداً يؤمن بآخر، أو يدافع عن جهة أو شخص ما دون أن يزن موقفه وفق موازين التقوى والصلاح المذكورة فى كتاب الله وسيرة النبى وآل بيته عليهم الصلاة والسلام. هذا بينما ضعيف الإيمان يتحرّك وفق هواه والأجواء، فبدافع حبّ المال وطلب الجاه يمدح هذا أو ذاك، فلا يرى شخصه ولا يهتمّ لكرامته بقدر اهتمامه بمن حوله، وشدّة حرصه على تحصيل المكاسب الآنية الزائلة، فهو لا يهتمّ فيما إذا كان هذا الموقف حقّاً أم باطلاً، لأنّه لا يجد متّسعاً تحت وطأة ميوله وهوى نفسه لاحترام هذه القاعدة الشرعية والإنسانية لأنّ نفسه قد استولت على شخصيته وكرامته حتى أعمته عن الرؤية الصحيحة، تلك الرؤية التى يجب عليه أن يرى من خلالها الواقع بمنظار الصلاح والتقوى.

مثال على الذين يميلون مع الريح

لعلّكم كُلُّكم قد وصل إلى سمعكم إسم (شبث بن ربعى)، هذا الشخص الذى يُعدّ من النماذج الأبرز للشخصية المتزلزلة، حيث يُنقل عنه أنّه قد بدّل معتقده قرابة خمس أو ستّ مرّات أو أكثر من ذلك!! فهو الذى كان يقاتل فى ركاب الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، وكان يوصف بالذكاء الانتفاعى، أو ما يُطلق عليه بالواقعية النفعيّة، أى يتصرّف وفق ما يمليه عليه الواقع وما يدرّه عليه بغضّ النظر عن مدى حسنه أو بشاعته. فقد روى أنّ أمير المؤمنين سلام الله عليه اختاره من بين عشرات الآلاف من جنوده بمعيّة بشر بن عمرو

وسعيد بن قيس للتفاوض والمحاججة مع معاوية؛ لعلّه يؤوب الى الطاعة فى اتّباع أمر الله سبحانه، وذلك قُبيل واقعة صفين. كما أنّه كان من الذين كتبوا للإمام الحسين سلام الله عليه الكتب التى تطلب منه أن يقدم إلى الكوفة، بعد أن أعلن ورفاقه نقض بيعة يزيد بن معاوية.

ولكنّه حيث كان ميّالاً مع كلّ ريح، فقد انتهى به الأمر للاشتراك بمباشرة ذبح سيد الشهداء سلام الله عليه، فضلاً عن قتاله والتأليب عليه، فكان مثال العالم الضالّ المتذبذب، الذى كان قد مدح أمير المؤمنين يوماً، وذمّه يوماً، وكاتب الإمام الحسين يوماً، وقتله يوم عاشوراء وهو يعلم أنّه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيّه، حتى أنّه كان من أمره أن بنى

مسجداً عرف باسمه قد أسّس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنّم. ففى مرسلة صفوان عن أبى عبد الله قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام نهى بالكوفة عن الصلاة فى خمسة مساجد ... ومسجد شبث بن ربعى...

وعن سالم عن أبى جعفر قال: جدّدت أربعة مساجد بالكوفة فرحاً لقتل الحسين ... ومسجد شبث بن ربعى.

ومن قبله كان أبو هريرة نموذجاً بيّناً لعدم الثبات فى المعتقد وانعدام الشخصية، فهذا الرجل الذى يصفونه بأنّه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ويتردّد اسمه كثيراً فى كتب العامّة وأعلامهم وكأنّه حامل لواء الإسلام والمدافع عن حياضه، ينقل عنه التاريخ، أنّه قال: الصلاة خلف علىّ أتمّ، وسماط معاوية أدسم، والوقوف على التلّ أسلم! أى أنّه كان يصلّى خلف علىّ، ويأكل عند معاوية، وإذا نشبت الحرب تنحّى ووقف متفرّجاً على بعد!

الكذب والفجور

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: إيّاكم والكذب، فإنّ الكذب يهدى إلى الفجور، والفجور يهدى إلى النار؛ لأنّ الكذب ليس مجرد مخالفة المعتقد، وإنّما هو مخالفة الواقع أيضاً.

قال الله سبحانه وتعالى بشأن المنافقين?: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعلَمُ إِنَّكَ لَرَسولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ المنَافِقِينَ لَكَاذِبُون ?فقولهم «إنّك لرسول الله» إنّما هو خلاف ما يضمرون؛ لكونهم كافرين بالله قبل إنكارهم الرسالة، فلسانهم ينطق بما لا يعتقدون، كذلك كان أبو هريرة ومثله شبث بن ربعى، الذى كان يكذب حتى فى قتاله إلى جانب أمير المؤمنين سلام الله عليه، لأنّ قتاله كان نابعاً عن قلب متزلزل مضطرب، فكان شأنهما ومن شاكلهما فى ذلك مصداقاً لقوله تعالى?: مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤلاَء.?

لذا يجدر بالإنسان أن يهتمّ كلّ الاهتمام بحسن سريرته كما يهتمّ بحسن سيرته لأنّه مهما حاول التظاهر بالصلاح فإنّه لا محالة سينكشف إن كانت سريرته طالحة، وإذ ذاك يكون الغرم عليه أفدح وأفظع.

الاعتبار بقصص الماضين

كانَ عَلى عَهْدِ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وآله مُؤْمنٌ فَقيرٌ شَديدُ الْحَاجَة منْ أَهْل الصُّفَّة وكَان مُلازماً لرَسُول الله صلى الله عليه وآله عنْدَ مَوَاقيت الصَّلاة كُلِّها لا يَفْقدُهُ فى شَىْء منْها وكَان رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله يَرقُّ لَهُ ويَنْظُرُ إلَى حَاجَته وغُرْبَته فَيَقُولُ: يَا سَعْدُ لَوْ قَدْ جَاءَنى شَىْءٌ لأَغْنَيْتُكَ.

فَأَبْطَأَ ذَلكَ عَلَى رَسُول الله صلى الله عليه وآله فَاشْتَدَّ غَمُّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله لسَعْد، فَعَلمَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَا دَخَلَ عَلَى رَسُول الله منْ غَمِّه لسَعْد، فَأَهْبَطَ عَلَيْه جَبْرَئيلَ عليه السلام ومَعَهُ درْهَمَان، فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ إنَّ اللَّهَ قَدْ عَلمَ مَا قَدْ دَخَلَكَ منَ الْغَمِّ لسَعْد، أَفَتُحبُّ أَنْ تُغْنيَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ: فَهَاكَ هَذَيْن الدِّرْهَمَيْن فَأَعْطهمَا إيَّاهُ ومُرْهُ أَنْ يَتَّجرَ بهمَا.

فَأَخَذَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله ثُمَّ خَرَجَ إلَى صَلاةِ الظُّهْر وسَعْدٌ قَائمٌ عَلَى بَاب حُجُرَات رَسُول الله صلى الله عليه وآله يَنْتَظرُهُ، فَلَمَّا

رَآهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله قَالَ: يَا سَعْدُ أ تُحْسِنُ التِّجَارَةَ؟ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: والله مَا أَصْبَحْتُ أَمْلكَ مَالاً أَتَّجِرُ به. فَأَعْطَاهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله الدِّرْهَمَيْنِ وقَالَ لَهُ: اتَّجِرْ بهمَا وتَصَرَّفْ لِرِزْقِ الله.

فَأَخَذَهُمَا سَعْدٌ وَ مَضَى مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله حَتَّى صَلَّى مَعَهُ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ، فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: قُمْ فَاطْلُبِ الرِّزْقَ فَقَدْ كُنْتُ بِحَالكَ مُغْتَمّاً يَا سَعْدُ.

فَأَقْبَلَ سَعْدٌ لاَ يَشْتَرِي بِدِرْهَم شَيْئاً إلاَّ بَاعَهُ بِدرْهَمَيْنِ وَلا يَشْتَرِي شَيْئاً بِدرْهَمَيْن إلاّ بَاعَهُ بأَرْبَعَة دَرَاهِمَ. فَأَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى سَعْد، فَكَثُرَ مَتَاعُهُ وَمَالُهُ وَعَظُمَتْ تجَارَتُهُ، فَاتَّخَذَ عَلَى بَاب الْمَسْجِد مَوْضعاً وَجَلَسَ فيه فَجَمَعَ تِجَارَتَهُ إلَيْه، وَكَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله إذَا أَقَامَ بلالٌ للصَّلاة يَخْرُجُ وسَعْدٌ مَشْغُولٌ بالدُّنْيَا لَمْ يَتَطَهَّرْ وَلَمْ يَتَهَيَّأْ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ قَبْلَ أنْ يَتَشَاغَلَ بِالدُّنْيَا، فَكَانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: يَا سَعْدُ شَغَلَتْكَ الدُّنْيَا عَن الصَّلاة؟ فَكَانَ يَقُولُ: مَا أَصْنَعُ؟ أُضَيِّعُ مَالى؟ هَذَا رَجُلٌ قَدْ بعْتُهُ فَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَوْفِيَ منْهُ، وَهَذَا رَجُلٌ قد اشْتَرَيْتُ منْهُ فَأُرِيدُ أَنْ أُوفيَهُ.

فَدَخَلَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله منْ أَمْر سَعْد غَمٌّ أَشَدُّ منْ غَمِّه بفَقْره. فَهَبَطَ عَلَيْه جَبْرَئِيلُ عليه السلام فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إنَّ الله قَدْ عَلِمَ غَمَّكَ بسَعْد، فَأَيُّمَا أَحَبُّ إلَيْكَ حَالُهُ الأُولَى أَوْ حَالُهُ هَذِهِ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: يَا جَبْرَئيلُ بَلْ حَالُهُ الأُولَى. قَدْ أَذْهَبَتْ دُنْيَاهُ بآخرَته.

فَقَالَ لَهُ جَبْرَئيلُ عليه السلام: إنَّ حُبَّ الدُّنْيَا وَالأمْوَال فتْنَةٌ وَمَشْغَلَةٌ عَن الآخرَة، قُلْ لسَعْدٍ: يَرُدُّ عَلَيْكَ الدِّرْهَمَيْنِ اللَّذَيْن دَفَعْتَهُمَا إلَيْه، فَإنَّ أَمْرَهُ سَيَصيرُ إلَى الْحَالَة الَّتى كَانَ عَلَيْهَا أَوَّلاً.

فَخَرَجَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله فَمَرَّ بسَعْد، فَقَالَ لَهُ: يَا سَعْدُ أ مَا تُريدُ أنْ تَرُدَّ عَلَيَّ الدِّرْهَمَيْن اللَّذَيْن أَعْطَيْتُكَهُمَا؟ فَقَالَ سَعْدٌ: بَلَى وَمائَتَيْن.

فَقَالَ لَهُ صلى الله عليه وآله: لَسْتُ أُريدُ مِنْكَ يَا سَعْدُ إلاَّ الدِّرْهَمَيْن.

فَأَعْطَاهُ سَعْدٌ درْهَمَيْن، فَأَدْبَرَتِ الدُّنْيَا عَلَى سَعْدٍ حَتَّى ذَهَبَ مَا كَانَ جَمَعَ وَ عَادَ إلَى حَاله الَّتى كَانَ عَلَيْها.

عوامل انكشاف السريرة

وهكذا يتّضح أنّ من الممكن انكشاف السريرة عبر عوامل وحالات عديدة، كالمال والشهرة والعلم والذريعة والمنصب والغضب والأمانة. وعليه فإنّ تأكّد المرء من ما تنطوي عليه سريرته ومدى معرفته بمقدار حسنها أو قبحها يمكنّه من انتخاب السلوك المناسب لسيرته بين الناس لتحاشي أيّ خسارة أو فضيحة من جهة، وضمان أكبر قدر ممكن من الثقة والاعتداد بنفسه من جهة أخرى.

فحريّ بالإنسان المؤمن أن يجاهد نفسه حقّ الجهاد لتحسين سريرته وصقلها وفق الالتزام بالأوامر والنواهي الشرعية، لكي يعلم حقيقتها وما ترمي إليه، فيتفادى السقوط، ويضمن النجاح.

مثال لحسن السيرة

لقد وعى المقدّس الأردبيلي مرجع الشيعة في زمانه هذه الحقيقة فطبّقها مبتدئاً بنفسه، حتى أنّه نقل عن حسن سريرته وسيرته ما يقف له الإنسان متعجّباً؛ إذ قيل إنّه كان ذات يوم يمشي في صحن مرقد الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، فسأله أحد الزائرين دون علمه بمن يكون عمّا إذا كان يعرف محلاًّ خاصّاً بغسل الملابس، فقال له المقدّس الأردبيلي: أنا أغسلها لك بنفسي! ضارباً بذلك كلّ ما يمكن أن يكون عذراً قد يحول ما بين الإنسان وبين أداء الخدمة للمؤمنين والزائرين، الأمر الذي يكشف عن حقيقة السريرة الطاهرة لهذا الرجل النادر المثال، فقام بغسل ملابس الرجل الزائر، وعاد إليه بها في الوقت المحدد لتسليمها، فشاهده بعض من يعرفه، فقال للزائر: هل تعرف من غسل ملابسك؟ إنّه المرجع الأعلى! فأخذ الرجل يبدي كلّ الاعتذار، فردّه المقدس الأردبيلي قائلاً: إنّما أنت

صاحب الفضل علىّ، لأنّك من زوّار أمير المؤمنين عليه السلام.

يُنقل أنّ الإمام، كان قد كافأه بأن كان يرحّب به فى أىّ وقت أراد الزيارة حيث كانت الأبواب تفتح له دون مفتاح. وما أعظم ذلك من قدسيّة وفضل.

طيب المخالقة والسبق إلى الفضيلة

طيب المخالقة والسبق إلى الفضيلة

لاشكّ أنّ الإنسان المؤمن يطمح لأن يكون من عباد الله الصالحين والمتّقين، ولكن لابدّ لذلك من مقدّمات ومراحل تكون كفيلة بذلك. هذه المقدّمات أشار إليها الإمام السجّاد فى هذا المقطع من الدعاء، من جملته قوله: وطيب المخالقة والسبق إلى الفضيلة، فقد عدّهما سلام الله عليه مقدّمتين من مقدّمات تحقّق التقوى والصلاح فى الإنسان.

طيب المخالقة

لم أرَ فى قصائد شعراء العرب أو كلمات فصحائهم أنّهم أضافوا عبارة «الطيب» إلى «المخالقة» كما فعل الإمام سلام الله عليه فى هذه الجملة. فهذا التعبير يعكس أدباً وبلاغةً رفيعتين للغاية. ولو تدبّر أدباء العرب فى هذه الجملة وغاصوا فى بحورها لأخرجوا من بديع معانيها وجمال الذوق فيها الكثير. ولعلّ كلّ من له أدنى إلمامة بالأدب يمكنه أن يكتشف بعض كنوز ما قاله الإمام سلام الله عليه.

إنّ كلمة «طيب» تستعمل فى الغالب بمعنى المستحسن المرغوب فيه، وهى نعت يشير إلى معنى حقيقى ذاتىّ غالباً، كما يُستعمل فى الأمور التى هى خارج كذلك، فيطلق مثلاً على الأكل اللذيذ: بأنّه طعام طيّب؛ حيث أُضيفت إليه بعض المقبّلات ذات النكهة الطيّبة مع الطهى الجيّد، كما يطلق على المسك والعنبر أنّهما من الطيب.

إنّ موارد الاستعمال لهذه الكلمة، سواء فى القرآن الكريم الذى هو القمّة فى البلاغة جمالاً ودقّة أو فى السُّنة المطهّرة المرويّة عن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام أو فى قصائد فطاحل الشعراء مثل البحترى وأبى تمام والمتنبّى ومن سبقهم كامرئ القيس وغيرهم، غالباً ما تكون فى أحد موردين:

الأوّل: فى الأمر الذاتى كما فى المسك وسائر الأنواع الطبيعية حيث تسمّى طيباً.

الثانى: فى الأمر الخارجى كما فى الأطعمة الطيبة بسبب ممازجتها بما يجعلها كذلك.

أمّا استعمالها لإرادة معنى جديد عبر إضافتها إلى كلمة أخرى للخروج بمعنى ثالث يوحى بذاتية الأمر، فلعلّه مما تفرّد به الإمام السجّاد سلام الله عليه فى هذا الدعاء، حين جمع بين الطيب والمخالقة، فلم يقل: (حسن المخالقة) مثلاً، لأنّ ذلك كان سيدلّل على رغبته فى أن يكرمه الله تعالى بحالة خارجية، قد يكون باطنها غير ظاهرها، ولذلك قال: «طيب المخالقة» ليتعزّز طلبه من ربّه تبارك وتعالى بحالة داخلية يتكافأ فيها الباطن مع الظاهر.

ولعلّ من النكات الخاصّة بهذا الاستخدام، أنّه صلوات الله عليه أراد أن يضمّن كلمته أو يشربها معنىً آخر، حيث يأتى بتعبير واسع ثمّ يربطه بكلمة ما، ليستخرج من هذا الربط معنى جديداً.

أمّا المخالقة فتعنى لغةً: التعامل الخلقى أى المعاشرة، فمن المخالقة مثلاً إجابة الدعوة إلى الطعام وغيره من الأمور الحسنة والتكلّم مع الناس والإصغاء إليهم، والتعامل بالحسنى معهم عموماً، فهى إذاً أمرٌ أكثر ما يرتبط بالحواسّ الخمس؛ العين والأنف واللسان والأذن والبشرة، ولذلك قيل فى المخالقة: المخالطة والاستيناس.

فتارة ينظر المرء إلى أخيه بعين المحبّة وأخرى بعين الغضب، وقد يصغى إليه وقد يسمعه فقط، وقد يصافحه بحرارة، وقد يقدّم يده إليه

ببرودة ليجامله وهكذا.

فهذه جملة من مصاديق المخالقة ذات العلاقة بالجانب الحسّي من الإنسان والذى يطلق عليه اسم المخالطة أو المعاشرة، ولعلّ ما نسبته تسع وتسعون بالمئة من مصاديق المعاشرة باعتبار أن المعاشرة أعمّ من المخالقة مرتبط بهذا الجانب.

فإذا قرنت المخالقة مع الطيب حصلت صورة جديدة تؤدّى إلى تصوّر الصدق فى العلاقة بين الإنسان ومن حوله، وكأنّ هذه العلاقة طيّبة ذاتاً ومنذ البداية وأنّها من الصميم. فالكلمة الصادرة عبر طيب المخالقة توحى بأنّها قد خرجت من القلب، ولا يراد بها المجاملة وحسب، وتعرف على أنّها كلمة صدق وليست مراوغة يراد بها المكيدة والخداع، وكذلك الأمر بالنسبة لجميع مصاديق المخالقة.

فطيب المخالقة تعنى إحراز الصدق وإبرازه فى التعامل مع الناس.

فلنغرس طيب المخالقة فى نفوسنا، ونرقَ بعلائقنا عبر صفاء ذواتنا ونقاء سرائرنا وسلامة قلوبنا من الكدورة. وليس شيء أبلغ وأنزه يمكن أن يحققه الإنسان فى ميدان التعامل الاجتماعى أكثر من هذا الأمر.

أهل البيت سلام الله عليهم وطيب المخالقة

يشهد المخالف والمؤالف أنّ أهل البيت سلام الله عليهم كانوا يتمتّعون بأعلى مستويات طيب المخالقة فى علاقاتهم مع الناس، مؤثرين لهم على أنفسهم، وأنّهم كانوا صادقين فى سلوكهم هذا ومتّسمين به فى كلّ المواقف وفى مختلف الظروف؛ سواء كانوا، كباراً أو صغاراً، ظاهرين أو مستترين، قائمين بالأمر أو مقصيّين عن الحكم. فالإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه هو نفسه فى زمن النبىّ المصطفى صلى الله عليه وآله، وهو نفسه فى الخمسة والعشرين عاماً بعد النبى، وكذلك فى أيّام حكمه سلام الله عليه، لم يتغيّر فى خلقه شيء.

لقد روى العامّة والخاصّة بل غير المسلمين أيضاً، قصّة شراء الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه قميصين أعطى أفضلهما خادمه قنبراً، مع أنّه كان يرأس أكبر حكومة على وجه الأرض، ويرتقى المنبر، ويلتقى كبار الرجال من مختلف الديانات والمذاهب والأقوام.

ولم يكن يتصرّف سلام الله عليه ذلك التصرّف إلا لأنّ خُلقه من سنخ خُلق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فقالها سلام الله عليه مدويّة: إنّ الله عزّ وجلّ قد فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعَفة الناس كيلا يتبيّغ (أى يهيج) بالفقير فقره.

ومن هنا نفهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد.

روى الفتّال النيسابورى أنّ أمير المؤمنين سلام الله عليه أتى سوق الكرابيس، فاذا هو ... فقال: يا غلام عندك ثوبان بخمسة دراهم؟ قال: نعم، عندى ثوبان. فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين. فقال: يا قنبر، خذ الذى بثلاثة دراهم...

طيب المخالقة تنفع صاحبها

وهناك قضية يلزم الانتباه لها، وهى أنّ المخالقة الحسنة إن لم تكن نابعة من داخل الإنسان، فإنّه سيبتلى بالتعرّض للضغوط النفسية الشديدة، جرّاء تصنّعه وتذبذبه، الأمر الذى يؤدّى بالتالى إلى عجزه فى المحافظة على سلامته وصحّته، بينما إذا كان الفرد مؤمناً صادقاً بمخالقته أى كان طيّب المخالقة فإنّه سوف ينطلق الى آفاق الحياة بكلّ أمن وسلامة.

إنّ من مميزات طيب المخالقة أنّها تساعد الإنسان على مقاومة المشاكل، والصمود بوجه المشاكسين والمغالطين والمعاندين والوصول إلى برّ الأمان رغم كلّ الظروف.

ولقد رأيت شخصين لكلّ منهما قصّة، قد ابتلى كلّ منهما بمشكلة مالية، فكان الأوّل مختلفاً مع شخص على نسبة حصّته من أرض يتنازعان فيها، فكان يدّعى أنّ نسبته ۸۰٪ فى حين كان خصمه لا يقرّ له بأكثر من ۴۰٪ وكان لكلّ منهما أدلّته وشواهده، فكان الأوّل يتظاهر بحسن المخالقة ويقول: رغم ثقتى بكسبى للدعوى فيما لو ترافعنا للمحكمة إلا أنّى لا أقوم بذلك لأنّ الترافع ليس من شأنى،

كما أنّى لا أريد تعريض غريمى للهزيمة القضائية. ولكنّه بعد فترة وجيزة أصيب على أثر هذا الخلاف بانهيار أعصابه، ما أدّى إلى إصابته بالسكتة القلبية ومات على أثرها، وما ذلك إلاّ لأنّه كان يتصنّع ويتظاهر بحسن السلوك وعدم الاكتراث، ولم تكن حسن مخالقته نابعة من الداخل حتى أجهد نفسه وأتلف أعصابه.

أمّا الشخص الثانى الذى له قصّة مشابهة، فكان مثالاً حقيقياً لمن لا يكترث بالنواحى المادّية، وكان طيّب المخالقة مع الناس، وذلك لأنّه عندما أُخبر بأن بيته قد صودر، لم يكترث؛ وقال: إنّ الأمر ليس من شأنه أن يقلقنى بالمستوى الذى يمكن أن يسوء فيه خلقى مع الناس، بل لا يمكنه أن يؤخّرنى حتى عن موعد نومى الليلة.

ولعلّ من عمدة الأسباب فى تفاوت سلوك الشخصين المذكورين، هو أنّ أحدهما لم يكلّف نفسه عناء ترويض ذاته وتأديبها وتعويدها على الصلاح الحقيقى، بينما الثانى كما بدا من سلوكه كان أكبر همّه صقل شخصيته من خلال تهذيب نفسه بالقدر الذى يجعلها طيّعة لأمر بارئها سبحانه وتعالى. إذاً فطيب المخالقة ينتفع بها صاحبها قبل أىّ شخص آخر، سواء فى الدنيا أو فى الآخرة.

فإذا كان لدى المرء لسان حسن، أو نظرة إيجابية، أو مصافحة حارّة، أو ظنّ حسن، أو عمل صالح فإنّ هذه وغيرها من مظاهر طيب المخالقة ستعود عليه بالنفع أوّلاً، وستشمل غيره أيضاً بمنافعها ومردوداتها الإيجابية.

السبق إلى الفضيلة

من روائع البلاغة فى تعبير الإمام السجّاد سلام الله عليه أنّه ضمّ الى طيب المخالقة، السبق إلى الفضيلة. أى بعد أن يتأكّد الإنسان من طيبه الداخلى وحسنه الذاتى، يمكنه أن يتقدّم خطوة نحو الأمام ليشرع فى إعمال الفضائل، ثمّ يسمو إلى مرحلة التسابق أو السبق فيها.

فالمرء إذا كان طيّباً فى داخله فإنّه لا يتوقع الفضل والإحسان من الآخرين بقدر ما يكون دَيدَنُه الإسراع فى عمل الخير وإنجاز الصالحات. فيزور قبل أن يزار، ويحاسب نفسه قبل أن يُحاسب غيره، ويبدأ بالسلام قبل أن يضطرّ إلى ردّه، ويَحترم قبل أن يُحترم، إلى غير ذلك من شواهد الإسراع فى الخيرات وطيب التعامل.

وبالنسبة إلى ما ذكر من الابتدار فى السلام، فقد أكّدت الروايات بأنّه من المستحبّ أن يبدأ الإنسان بالسلام على كلّ من يلقاه بل حتى على زوجته وأطفاله عند دخوله البيت، كما فى قوله صلى الله عليه وآله: إنّ أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام وقوله صلى الله عليه وآله: وإذا دخل أحدكم بيته فليسلّم فإنّه ينزل البركة وتؤنسه الملائكة.

ولطالما رأيت السيّد المرحوم والدى يبدؤنا بالسلام وكنت من ضمن الصبية، وعندما مضى بى العمر، تأكّدت بأنّ من وراء ابتداره بالسلام على من هم أدون منه قناعة تامّة لديه، بأنّه يحرز بذلك كثيراً من الفضل والدرجة وتربية الذات، فضلاً عن تعليم الآخرين هذا السلوك الحسن.

قول الحقّ وإن عزّ

قول الحقّ وإن عزّ

واحدة من أهمّ مصاديق حلية الصالحين وزينة المتقين التى يطلبها الإمام زين العابدين سلام الله عليه من الله سبحانه وتعالى، قول الحق، وإن قلّ ناصروه وكثر مناوئوه وتبعته المخاطر والصعوبات.

ملاحظتان فى البدء

قبل أن نشرع فى بيان ذلك لا بدّ من تأكيد نقطتين هامّتين فى الموضوع، هما:

۱. إنّ قول الحقّ يعدّ من أهمّ أسس الصلاح والتقوى للفرد المسلم، يؤيّد ذلك ما صدر عن أهل البيت سلام الله عليهم من القول بالحقّ دائماً، ولولاه لما كنّا اليوم مسلمين ولما بقى للإسلام والإيمان من أثر، خصوصاً فى ظلّ محاولات الحكّام الظلمة، الهادفة إلى محو الدين وطمس أهمّ معالمه ورموزه.

۲. لقد أمرنا الدين الحنيف مراراً وتكراراً أن نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق للصلاح والتقوى، وأن نشفع سؤالنا هذا بالعمل والتطبيق؛ قال تعالى?: قُلْ مَا يَعبَأ بكم رَبى لَولاَ دعَاؤكم ?فى إطار التحريض على الدعاء وإدراك أهميته. وقال أيضاً?: وَأنْ لَيسَ لِلإنْسَان إلاَّ مَا سَعَى ?حيث ينبغى أن يكون السلوك الصالح مصدّقاً لما يلهج به فى الدعاء.

لماذا القول وليس العمل؟

قد يتبادر إلى الذهن هذا السؤال وهو أنه: لماذا قال الإمام فى هذا الدعاء: «قول الحقّ» ولم يقل: العمل بالحقّ؟

إنّ لمعاريض كلام أهل بيت النبوّة عليهم الصلاة والسلام جوانب عديدة وآفاقاً مديدة، وما غاب عنّا أكثر مما نستحضره، إلا أنّ ما يمكن قوله بهذا الصدد هو أنّ المجتمع الإسلامى كما هو بحاجة إلى فعل ليصدق عليه أنّه مجتمع إسلامى، كذلك هو بحاجة إلى قول وتصريح بالموقف الحقّ وبحزم.

أمّا إذا اقتصرت حياة الفرد على الجلوس فى الدار دون أن يتكلّم بما يطلبه الحق منه، وتبعه الآخرون من أفراد المجتمع فى الإحجام عن القول والتصريح أدّى ذلك إلى عدم العمل أيضاً، فعند ذلك لن يتحقّق الهدف المتمثّل ببناء مجتمع الصلاح والتقوى فى المجتمع الإسلامى أبداً.

نعم قد جرت العادة فى القرآن الكريم والأحاديث والروايات الشريفة على حثّ الإنسان على العمل أكثر من القول، نظراً لأنّ العمل هو الركيزة الأساسية فى الإنسان؛ فإنّ تلفّظ الفرد بشهادة لا إله إلا الله أسهل عليه ملايين المرّات من العمل وفق شروطها؛ إذ العمل بهذه الشهادة يستوجب فى كثير من الأحيان تقديم التضحيات الجسيمة وتحمّل المصاعب والمشكلات الكبيرة.

ولكى يهون الأمر فى سبيل ذلك فلابدّ من نظرة إلى من نصّ بهم الله تعالى قدوة، لتؤنس وحشتنا بعظيم رزئهم، وتشحذ هممنا بجميل صبرهم، فلقد كان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه نموذجاً أوحد فى العمل بمقتضى شرائط التوحيد، الأمر الذى كلّفه أن يقصى عن الحكم مدّة خمسة وعشرين عاماً، وهو الأعلم والأفضل والأتقى والأقضى من بين الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكذلك كان شأن الكثير من عظماء الإسلام ممّن شايعه واقتدى به مثل الصحابىّ الجليل أبى ذر الغفارى رضوان الله تعالى عليه الذى التزم وعمل بشهادة التوحيد ما أمكنه جهده؛ فمات بسبب ذلك نفياً وغربة ووحدة وجوعاً، بعد أن كابد الفاقة والجوع قبل ذلك فترات طويلة.

إذاً المجتمع الصالح، بحاجة إلى القول كما هو بحاجة إلى العمل، ولعلّ الإمام استعمل هنا كلمة (قول) لإرادة هذا الأمر، وإن كان ثمّة تناوب فى الاستعمال بين هاتين الكلمتين، حيث قد تُطلق إحداهما ويراد بها الأخرى، كقولهم: قال بيده هكذا أى عمل هكذا، إلا أنّ الذى هو ثابتٌ أنّه لا يكفى من أجل صلاح المجتمع، العمل بالحقّ وحده، بل لابدّ من الدعوة إليه، والتصريح به.

ما هو الحقّ؟

ذكروا للحقّ معانى، ففى اللغة: هو الثابت الذى لا يسوغ إنكاره، واصطلاحاً: الحكم المطابق للواقع؛ ويطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك. وعندما نقرأ القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت سلام الله عليهم نجد لهذه الكلمة معانى متشابكة ومتداخلة، وكلّ معنى له خصوصيته، والجامع لكلّ معانيه هو وقوع الشىء فى موقعه الذى هو أولى به. ويشخّص الحقّ فى الفتوى الفقيه، وفى البناء المهندس، وفى الصحّة الطبيب، وتشخيصه فى التاريخ والسيرة من اختصاص المؤرّخ، وهكذا.

أفضل الحق

إن أفضل الحقّ عندما يكون إظهاره والعمل بمقتضاه عزيزاً.

أمّا كيف يعزّ قول الحق؟

إذا قلّ الشيء النافع وندر أصبح عزيزاً، فمثلاً الماء الذى تتوقّف عليه الحياة، وجُعل منه كلّ شيءٍ حيّ، يصبح عزيزاً إذا ما ندر أو حيل بينه وبين طالبه. أمّا إذا كان متوفراً فلا يسمى عزيزاً رغم نفعه وأهميّته، وهذا يعنى أنّ الشيء العزيز هو النافع النادر.

والقول بالحقّ أمر حسنٌ جدّاً ونافعٌ، ولكن ما يجعله حلية للصالحين وزينة للمتقين هو عندما يكون إظهاره والعمل به عزيزاً ونادراً، بسبب المخاوف والمخاطر، كالتعذيب والحرمان والاعتقال وسائر الصنوف الأخرى التى يستخدمها الظالم لإرهاب من يجترئ على قول الحقّ بوجهه.

إنّ التاريخ يتشرّف بأولئك الذين صدعوا بالحقّ بعد أن عزّ وغاب قائله فضلاً عن فاعله، وأصدق من قال الحقّ فى عزّته، هم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ومنهم السيّدة الصديقة فاطمة الزهراء سلام الله عليها حيث كانت أوّل المقدمين فى قول الحقّ بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله حين ظهر الباطل فأصبح الحقّ عزيزاً، فكان أوّل ما قامت به عليها الصلاة والسلام هو فضحها للمؤامرة أو قل المؤامرات التى حيكت ضد الإسلام لاستهداف أصوله وصميمه، حتى تسنّى بفضل قولها الحقّ أن حافظت على جوهر الدين من الدمار التامّ، وأبقت للمسلمين ما يتمسّكون به، وإلا لنجح الشياطين فى إرجاع الناس إلى الجاهلية الأولى.

ومن هنا نفهم وندرك عمق تصريح النبى الأكرم صلى الله عليه وآله حينما أجاب عن أفضل الجهاد، فقال: أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر؛ فقول الحقّ بوجه الظلمة يعدّ جهاداً بل أفضل الجهاد، الأمر الذى يشير إلى مدى أهميّته وخطورته، فضلاً عن ندرة المتصدّى له.

وهذا الحديث الشريف ورد بلفظ عند إمام جائر أيضاً، وهذا يستدعى التأمّل أيضا؛ فكلمة (سلطان) ذات مفهوم أو استعمال أوسع من كلمة (إمام). ففى الاصطلاح الإسلامى إذا جار الحاكم الكافر سمّى سلطاناً جائراً، أمّا إذا جار الحاكم المسلم، فيسمّى إماماً جائراً.

والجهاد ضدّ إمام الجور بقول كلمة الحقّ بوجهه، أفضل من الجهاد ضد سلطان الجور؛ لأنّ ما يضعف الإسلام ويؤدّى إلى تآكله من الصميم وفى نفوس المستضعفين من المسلمين ويدفع بغيرهم إلى الإعراض عنه، هو ما يقترفه إمام الجور، مثل يزيد بن معاوية لعنهما الله، الذى حكم باسم القرآن والرسول صلى الله عليه وآله، وكان فى الوقت نفسه من أعدى أعدائهما، حتى أنّه اختطّ خطّاً فى الجريمة والتجاوز على مقدّسات الدين ورموزه، لا تزال مظاهره تؤذى بدن الدين والأمّة، ظاهرة فى كلّ من تقمّصها من بين الحكّام الذين توالوا بعده وهم يحملون معاول التحريف بالدين والتنكيل بالأمّة كلّما تهيّأت الظروف لهم.

ومن هنا أكّدت الأحاديث الشريفة بأن ظالمى محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله لو كانوا قد امتنعوا عن الظلم والاضطهاد، وفسحوا المجال لأمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بممارسة دوره بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لما بقى على وجه الأرض كافر، لأنّ الإسلام الذى يطبّقه علىّ بن أبى طالب ويحكم هو به هو الإسلام الحقّ وإنّما هو ضياء ورحمة للعالمين، وكلّ من لم يكن جاهلاً أو معانداً، فمن طبيعته أن يبحث عن الضياء ليهتدى به.

إنّ كلمة الحقّ كثيراً ما تؤدّى بقائلها إلى المشكلات وحتى القتل، كما فعلت مع الشاعر الصنديد دعبل الخزاعى. فما قاله فى إمام الجور هارون العبّاسى كان وحده يكفى فى تعريض حياته للخطر، فاضطرّ إلى التشرّد والتخفّى بين البلدان، بسبب قوله:

قبران فى طوس خير الناس كلهم

وقبر شرّهم، هذا من العبرِ

لا ينفع الرجس من قرب الزكى ولا

على الزكيّ بقرب الرجس من ضررِ

حتى قال فى مناسبة: أحمل خشبتى على كتفى منذ خمسين سنة، لست أجد أحداً يصلبنى عليها.

وفى الزهراء قدوة

روى أصحاب الحديث ومن مختلف الطرق إسرار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بضعته الصدّيقة الطاهرة سلام الله عليها حين دنت وفاته وقوله لها: ليس أحد من نساء المسلمين أعظم رزية منك.

وليس سبب هذه الرزية كما تشهد بذلك الوقائع التاريخية كافّة سوى قولها كلمة الحقّ فى باكورة الخيانة الكبرى التى أفرزتها السقيفة، وبعد أن علم مناوئوها باستعدادها وإصرارها على قول كلمة الحقّ وعدم اكتراثها بمن يتنازل أو ينهزم؛ خوفاً أو طمعاً بمن صيّر نفسه إماماً للمسلمين وهو الذى صرّح بنفسه فى أكثر من مناسبة «وُلّيتكم ولست بخيركم»، ناهيك عن صنوه وقرينه الذى كشف عوراته للناس عندما أعلن سرّاً وجهراً بأنّ جميع الناس بمن فيهم النساء أفقه منه، وهو الذى أصدر حكم الإعدام الجماعى ضدّ كلّ من كان طوله يقلّ عن خمسة أشبار.

ترى، لماذا رزئت الصديقة الزهراء سلام الله عليها وهى سيّدة نساء المسلمين والعالمين، بل كيف ولماذا تكون رزيّتها الأعظم من بين سائر النساء المسلمات؟

ذلك لأنّها تحمّلت مسؤولية الحفاظ على الإسلام مع زوجها الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، عملاً بوصية أبيها صلى الله عليه وآله وذلك عبر كلمة الحقّ التى قرعت بها سمع حشود المسلمين الذين قلبوا لوصىّ المصطفى ظهر المجنّ، حتى أنّها اضطرّت سلام الله عليها إلى مصارحة عدوّها بالحرف الواحد حين قالت له: والله لأدعونّ الله عليك فى كلّ صلاة.

ما أعظم رزيّتها سلام الله عليها وهى تتخطّى الرقاب لتدلى بخطبتها، وما أعظمها من كلمة حقّ عند إمام جائر، قد صدرت ممّن يغضب الله لغضبها ويرضى الله لرضاها، لترسم لنا بذلك خطّ الإسلام الأبىّ، وتقول للتاريخ والأجيال: هذا هو الإسلام الأصيل الذى بُعث به أبى صلى الله عليه وآله.

فالتوفيق لقول الحقّ إن عزّ وندر، يعدّ من علامات التقوى وزينتها والصلاح وحليته، كما قال الإمام السجّاد سلام الله عليه، ويتحقّق ذلك بالطبع ضمن شروط وحالات حدّدتها كتب الفقه فى مظانّها.

والمعرضون عن إظهار قول الحقّ حين يحقّ بوجه الجبابرة والطغاة، لا يُعدّون من الصالحين والمتّقين، وإن كانوا يصلّون ويصومون، لأنّهم بإعراضهم يداهنون الظالمين الجائرين الذين لا يهمّهم صلاة من صلّى أو صوم من صام، بقدر اهتمامهم بالطاعة وإبداء الصمت والتسليم لهم من قبل رعاياهم.

إنّ مولاتنا فاطمة الزهراء سلام الله عليها آلت على نفسها إلاّ قول الحقّ بوجه إمام الجور بل أئمّة الجور، وإن كان يستجلب لها الظلم من قِبلهم وسلبها راحة العيش. والأمر هكذا قد تمّ فعلاً بعدما أنهت خطبتها حتى وصل الحال بهم أن صنعوا ما صنعوا، مما يعرفه الكُلّ.

فالتمسّك بقول الحقّ هو من أساس التقوى والصلاح، خصوصاً حينما يقلّ ناصروه ويكثر مناوئوه ويعزّ قائله ويكثر الصامت عنه.

استقلال الخير واستكثار الشرّ

استقلال الخير واستكثار الشرّ

من المسائل التربوية الأساسية هى أن يستقلّ الإنسان الخير الصادر عنه، وأن يستحضر هذا المعنى دائماً ويلقّن به نفسه باستمرار، وأن يلاحظ اللوازم التى أدّت إلى صدور فعل الخير منه، فلا يعتبر سهمه فى إنجازه.

وحريّ بالإنسان المؤمن أن يوكل تقييم ما أنجزه إلى الله عزّوجلّ، لقوله تعالى?: أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكّى مَنْ يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً.?

ليس المقصود من استقلال الخير احتقاره، بل أن يجد الإنسان نفسه أنّه لا يستغنى عن الاستمرار فى فعل الخير والمواصلة وإن كثر فعله له، لئلا يرى أنّه أتمّ الواجب وزاده.

إنّ الإنسان إذا أصابه هاجس الاستكثار لما فعل من الخير؛ أدّى ذلك إلى الغرور. حتى أنّ بعض الناس يغترّ لمجرّد عمل بعض الصالحات، ولذلك فعلى الإنسان أن يعرف بأنّ استقلاله للخير هو بمعنى إيجاده الدافع فى نفسه نحو إدامة العمل الصالح والإكثار منه.

ففى طلب الإمام سلام الله عليه، نرى نقاطاً جوهرية؛ وهى:

۱. طلب المدد الإلهى.

۲. الكشف عن الطبيعة الإنسانيّة الخاصّة، فى هذا الصدد.

۳. قدرة الإنسان على تحقيق هذه المهمّة.

۴. استقلال الخير، قولاً أو فعلاً، فى داخل نفوسنا.

كما إنّ استكثار قليل الشرّ واستعظامه يعنى إيجاد الرادع الذى يحول دون ممارسة المزيد من الأخطاء، فضلاً عن عدم التجرّؤ على الله عزّ وجلّ عبر استصغار السيّئات والتغافل عنها.

إضافة إلى أنّه ينبغى للعبد أن يراقب الله سبحانه وتعالى فى المعصية، بغضّ النظر عن كمّية المعصية ونوعيّتها؛ فلعلّه يؤوب الى رشده ويستعظم فى نفسه خطاياه وإن قلّت وصغرت.

فإنّك قد تمزح مزحة بسيطة أو غير مقصودة، أو قد تمسّ بيدك عباءة شخص مّا محاولاً إبعاد شىءٍ عنه، فينزعج لذلك؛ ففى مثل هذه الحالات أيضاً يجب عليك أن تستكثر خطأك وتستعظمه وإن كان غير مقصود.

وهذا الحثّ على متابعة مثل هذه الملاحظات كفيلٌ بأن يصنع من الإنسان موجوداً رهيف الحسّ يشعر بالمسؤولية الدائمة عما يبدر منه من تصرّفات وإن كانت صغيرة أو قليلة، فيتنبّه؛ بينما الغفلة عن الصغائر وعدم الاكتراث بها وإهمالها يمكن أن يُحوّلها إلى كتل كبيرة كما هو الحال فى كرة الثلج التى تبدأ حين تدحرجها من قمّة المرتفع بحبات أو ذرات بسيطة من الثلج لتفاجئ من هم فى الأسفل بوجودها الضخم ولذا يجب أن يتنبّه الفرد إلى أنّ عدم استصغار قليل الشرّ بحدّ ذاته يعتبر إصراراً عليه، وهو ما ورد التحذير عنه فى كثير من الروايات باعتباره تجرّياً على الله سبحانه وتعالى، والعياذ بالله.

بين الاستقلال والاستكثار

إنّ للمؤمن مع نفسه حالات يمكن من خلالها أن يعلم مدى ارتباطه بالله عزوجل.

مثلاً: لو قُدّر للإنسان أن يصلّى صلاة الليل فى ليلة باردة، فذاك فعل خير متميّز يستحقّ عليه جزيل الثواب، ولكى يتعوّد على ذلك ويستمرّ به، عليه أن يستقلّه ويرى أن القسط الأوفر منه هو توفيق الله سبحانه وتعالى، ثمّ نعمه الكثيرة التى هيّأت له إمكانية الأداء.

وكذلك الحال لو بدأ بالسلام على أخيه المسلم أو صام صوماً استحبابياً إلى غير ذلك من الصالحات، فلا ينبغى له استكثاره أبداً.

لا ينبغى الاستهانة بأية سيّئة، مهما كان حجمها وبعدها، فإنّه لو شاء الله عزّ إسمه، لأخذ الفرد على ذلك وأذاقه وبال أمره، لأنّ الخطيئة بغضّ النظر عن حجمها وطبيعتها، هى بمثابة التحدّى والجرأة على الله عزّ وجلّ، من خلال الاستخفاف بتشريعه، وكأنّ الإنسان لدى ممارسته الذنب يريد أن يثبت بطريق باطل وجوده بإزاء وجود الله وجبروته وأوحديّته فى حقّ التشريع وفرض الإرادة وبسط المشيئة.

فما هى قيمة الإنسان الذليل الفقير حين يضع نفسه بإزاء خالقه العزيز الغنى، كى يسوّغ لنفسه بأن يرتكب ما يرتكب من الخطايا

والـذنوب، ثمّ لاـ يستكثرها ويصرّ عليهـا مستكبراً جـذلاً وكـأنّه قـد بلغ الجبال طولاً وخرق الأرض قوّةً، وأنّى له التناوش وهو الكائن الضـعيف لولا عقله الذى زيّنه به البارئ تبارك وتعالى، وأوجب عليه إعماله لمعرفة قيمته من خلال الاطلاع على خبايا نفسه، وليتسنّى له معرفة ربّه تعالى.

لهـذا وغيره يجدر بالإنسان أن يكون حذراً للغاية فى موقفه من الخطأ، فيحصـى على نفسه كلّ زلّةٍ وهفوة، ضـمن برنامج دقيق يقضـى بمحاسبة النفس، لئلّا يتّسع عليه الخرق.

روى أنّ النبى صـلى الله عليه وآله نزل بـأرض قرعـاء، فقـال لأصـحابه: ائتوا بحطب. فقـالوا: يـا رسول الله، نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب. قال: فليأت كلّ انسان بما قدر عليه. فجاؤوا به حتى رموا بين يديه، بعضه على بعض.

فقال رسول الله صـلى الله عليه وآله: هكذا تجتمع الذنوب. ثمّ قال: إيّاكم والمحقّرات من الذنوب، فإنّ لكلّ شىء طالباً، ألا وإنّ طالبها يكتب ما قدّموا وآثارهم وكلّ شىءٍ أحصيناه فى إمام مبين.

وبما أنّ الإنسان مبتلىً بالنفس الأمّارة بالسوء فضلاً عن وسوسة الشيطان اللعين، فإنّه يغفل عن الواجب من محاسبة النفس.

ولأجل ذلك، فهو بحاجة إلى تصميم قاطع، تبعاً لأهمية الموضوع.

ويلزم أن نعلم جميع الواجبات الملقاة على عواتقنا وبالأخصّ تلك التى لا نعيرها أهميـة بسـبب جهلنا أو تجاهلنا لها والعمل بمقتضاها، مثل واجب أداء حقوق الجار وما ينبغى له علينا من العلاقـة الطيبـة وتفقد أوضاعه والدعاء له، كما كانت تفعل السيّدة الصديقة فاطمة الزهراء سـلام الله عليها حيث رُوى أنّه رآها ولـدها الإمام الحسن المجتبى عليه الصـلاة والسـلام فى مصـلّاها تعبد ربّها وتدعو للجيران حتى طال بها المقام إلى الفجر، فسألها عن سـبب اهتمامها الكثير بالجيران وعدم ذكرها لنفسـها أو أفراد أسـرتها فأجابته قائلة: الجار ثمّ الدار.

فـالكثير من الواجبـات المنسـية يتوقّع من الإنسـان الاهتمـام بها لكى لا يفاجأ يوم القيامـة بكتاب يحوى كلّ ما غاب عنه أو غيّبه عامـداً بنفسه فيتضاعف لـديه الإحساس بالنـدم والحسرة، وقد صوّرت الآية القرآنية هذه الحقيقة?: وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحتَسِبُونَ? حين يرى الناس أنفسـهم صـفر اليدين بسـبب ما نسوا من الواجبات أو تناسوه، أو بما استكثروا من فعل الخيرات، حين ألحقوا أعمالهم بـالمنّ والأذى، فحبطت أعمالهم وهم لا يشـعرون، غافلين أنّ ما كانوا قـد فعلوه من الخير إنّما هو بهدايـة الله تعالى وتوفيقه، فهو الـذى زوّدهم بنعمه الجزيلة، وهو الذى هداهم ومهّد لهم السبل وسهّل عليهم فعل الخير.

ولقـد نقل لنا التاريـخ ما قام به أهل بيت نبيّنا صـلى الله عليه وآله فى هـذا الإطار لنتّخذه نبراساً تسـير وفقه حياتنا الإيمانية، منها ما روى عن الإمام أمير المؤمنين صـلوات الله وسـلامه عليه: أنّه كان يسقى بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده، ويتصدّق بالأجرة، ويشدّ على بطنه حجراً، ولم يعتبر ما قام به شيئاً.

كما روى عن الإمام الحسـين صـلوات الله عليه حين قصده فقير، فقدّم له أربعة آلاف دينار ما يعادل عشـرة كيلوات من الذهب واعتذر له من وراء الباب على أنّه لو كان باستطاعته تقديم الأكثر لفعل.

وكذلك روى عن الإمام السـجّاد وأولاده الميامين سلام الله عليهم هذا السلوك. وهؤلاء هم أئمّتنا الذين يجب أن نقتدى بهم، وهكذا كان علماؤنا رضوان الله تعالى عليهم، فقـد كانوا على مستوىً رفيعٍ للغايـة من الأدب مع ربّهم، مما يشـير إلى وعيهم وإدراكهم حقيقة الحيـاة ودورهم فيهـا، فكانوا يسـتقلّون الخير المنبعث منهم ويسـتكثرون الشـرّ الصادر عنهم ويقـدّمون خـدمتهم للآخرين على طبق من الإخلاـص، ولاـ يلحقون بمـا قـدّموا منّاً ولاـ أذىً ولاـ عجباً ولاـ ريـاءً، كمـا كـانت عبـادتهم الغايـة فى الكثرة واليقين، ومع ذلك لم يستكثروها، فكانوا النموذج المثالى لذلك.

استقلال الخير

يطلب الإمام زين العابدين سلام الله عليه من الله سبحانه وتعالى، ويعلّمنا أيضاً أن نطلب منه عزّ وجلّ أن يخلق فى نفوسنا حالة استقلال ما يصدر منّا من الخير، فلا نستكثره فنتوقّف عنده، وإنّما نستعينه تبارك وتعالى ليجعل فينا حالة الإصرار على الأعمال والأقوال الصالحة، لنكون بمثابة شعلة دائمة التوهّج، عميمة النور وكذلك نطلب من الله سبحانه، أن يجعل فى ذواتنا حالة استكثار الأعمال والأقوال الطالحة التى ربما تصدر لا سمح الله منّا.

وهذا الشعور ينبع من إدراك الإنسان بأنّ ما قدّمه ويقدّمه من الصالحات قليل، لعدم تناسبه مع ما ينبغى له من السموّ فى فعل الخير والصلاح.

والإنسان إذا ما استطاع السير فى طريق استقلال الخير واستكثار الشرّ، فإنّه سيصل إلى واقع آخر، وهو شعوره بالتقصير والعبودية فى آن واحد أمام ربّه العزيز فيزداد تعلّقه بربّه ليرتقى الى مراتب من السموّ والكرامة الحقيقية، كما تحقّق ذلك للأولياء والصالحين ممّن أنعم الله عليهم وأكرمهم بكرامة القرب منه.

استكثار الشرّ

أمّا المطلب الثانى الوارد فى الدعاء، فهو الطلب من الله تعالى أن يخلق فينا الشعور باستكثار الأعمال والأقوال الشرّيرة وإن كانت ضئيلة، ليكون هذا الشعور رادعاً يحول دون تمادينا فى باطل الحياة الذى يؤول بالإنسان إلى عقاب الله وعذابه الشديد.

فالإنسان حينما يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يعطيه ملكة استكثار الشرّ وإن قَلّ، يكون قد سلك شيئاً طريق استقباح كلّ شرّ، وهذا ما يؤدّى به تدريجاً إلى الامتناع عن كلّ شرّ وإن قلّ وصغر.

ولعل هذه الحالة النورانية هى التى بلغت ببعض الأولياء والصالحين إلى طىّ المسافات بعد تجشّم العقبات ليبلغوا عند عتبات العصمة التى تمثّل الذروة فيما يمكن للإنسان من غير النبى والأئمّة أن يبلغها، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، فإنّ مرتكب الشرّ والجريرة ينبغى أن يعلم بأنّه إنّما يسىء لما استخلفه الله عليه، باعتبار أنّ الله سبحانه وتعالى هو المالك الحقيقى لكلّ شىء? إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون. ?فنفس الإنسان وكيانه ووجوده ملك صرف لله تعالى وحده، وهذا الملك صائر وراجع إليه دون سواه، وعليه؛ فابن آدم مدعوّ إلى مراجعة نفسه ومحاكمتها على ما ارتكبته من شرّ فيما لا تملك؛ إذ ارتكاب الشرّ يعنى جملةً وتفصيلاً تجاوزاً وانتهاكاً لحرمة الخالق وسلطته على مخلوقاته، والتى فى ضمنها الإنسان نفسه، وسائر ما يحيط به.

لذلك فإنّ الذنب مهما تضاءل فى نظر صاحبه، فهو كبير فى مقياس العبوديّة فضلاً عن أنّه يعدّ استخفافاً يجرّ إلى استسهال التجرّى على العصيان، وبالتالى يرى الإنسان نفسه أداة طيّعة لمختلف حالات الإجرام والمعاصى.

فالمفترض بالإنسان أن يقطع الطريق على وساوس نفسه وما يملى لها الشيطان، لئلا يقع فيما لا يحمد عقباه، فيستشعر فداحة ما يصدر عنه من الأخطاء التى منعه الشارع المقدس عن الوقوع فيها.

هل يصدر الشرّ من الإمام ليستكثره؟!

لقد ثبت بالأدلّة النقلية والعقلية القطعية عصمة أئمة آل البيت عليهم الصلاة والسلام ومنهم الإمام زين العابدين سلام الله عليه، ومما لا شك فيه عدم صدور الشرّ من الإمام، والإمام السجّاد سلام الله عليه شأنه شأن سائر أهل البيت صلوات الله عليهم لا يصدر عنه ترك الأولى، فضلاً عن ارتكابه الشرّ والعياذ بالله.

فطلبه سلام الله عليه من الله تعالى أن يدفعه عن استكثار الشرّ، وأن يجعل فيه حالة استقباح الباطل وكرهه له، ينبغى النظر إليه بملاحظة سائر الجهات أى: بمنظار أوسع.

فمن تلك الجهات هى أنّ الإمام يهدف إلى إرشاد وتوجيه المؤمنين إلى أن يطلبوا من الله ذلك، وكأنّه فى هذا المقام يوحى إلى

قارئی هذا الدعاء بضرورة الانتباه وتمييز الحالات النفسية فی ذات كلّ إنسان لدی قيامه بعمل الخير أو الشرّ، كما تقدّمت الإشارة إليه.

ومن تلك الجهات أنّ الإمام يخاطب الربّ بلسان المخلوق الذی لا تنفكّ عنه لوازم المخلوقية، ومنها العجز، فإنّ المعصوم وإن كان أعلی من غيره بفاصلة غير متصوّرة، ولكن هذه الفاصلة تبقی دون الفاصلة اللامحدودة بين الخالق والمخلوق. فمن لوازم المخلوق العجز والمرض، والإرهاق والتعب، لذلك فإنّ المعصوم مع تلك الطوارئ التی تعرض عليه كإنسان يجد نفسه قاصراً تجاه أداء حقّ العبوديّة لله تعالی وإن كان معذوراً.

لقد جاء فی رواية سماعة أنّ الإمام الصادق سلام الله عليه قد حال المرض بينه وبين الصوم لمدّة ثلاث رمضانات متتالية لم يصم فيهنّ ثمّ أدرك رمضاناً، قد عافاه الله فيه، فصامه وتصدّق بدل كلّ يوم ممّا مضی بمدّ من الطعام. فكأنّه سلام الله عليه يشعر فی مثل هذه الحالة بالتقصير وإن رُفع عنه التكليف بسبب مرضه.

وإذا أردنا أن نضرب لذلك مثلاً، نقول:

إذا سيطرت عليك رغبة قويّة لرؤية إمام العصر؛ الحجّة المنتظر عجّل الله تعالی فرجه ولو لدقيقة واحدة، ثمّ بحثت عن وسيلة تحقّق ذلك، فقيل لك: إنّ وسيلة ذلك هی أن تعمد إلی أنواع خاصّة من العبادة، بواسطتها يستجيب الله تعالی لطلبك فی رؤية الإمام، وفعلاً بدأت تلك العبادة والأعمال، ولكنك لم توفّق لرؤيته عجل الله تعالی فرجه الشريف، فأعدت الكرّة، واستغرق منك الأمر أشهراً وسنين مديدة، ولم تفتر فيها عزيمتك أو تخمد رغبتك، ثمّ صادف أن ابتليت بمرض عضال أقعدك عن القيام ورأيت نفسك مجبراً علی ملازمة فراش المرض دون أن تستطيع حتی تحريك ساقيك. وفی تلك الأثناء، ظهر لك من كنت تتمنّی رؤيته ولو لدقيقة واحدة وكنت علی يقين بأنّ هذه الرؤية ستضمن لك سعادة الدارين الدنيا والآخرة فأردت أن تُظهر له مقدار حبّك وإجلالك له والتعبير عن مدی شوقك إليه، فعزمت علی القيام، فعجزت، وأردت أن تجمع قدميك مستجمعاً كلّ قواك احتراماً له، فلم تقدر، إذ ذاك تبادر بالاعتذار إليه، معتبراً قصورك هذا تقصيراً بحقّه وبرفيع منزلته، للعجز من جانبك، الأمر الذی من شأنه أن يقرّبك إلی ولیّ الله الأعظم أرواحنا فداه.

فالمعصوم لا يخرج عن كونه إنساناً، علم الله ما سيكون عليه من النزاهة والإخلاص والتقوی، فزاده من فضله ضمن قوانين كتبها سبحانه وتعالی، كما كتب علی نفسه الرحمة لخلقه من قبل.

وليس أعظم من نعمة العصمة التی أنعم الله تعالی بها علی الإنسان، فأصبح نبيّاً أو وصيّاً وإماماً، ولذلك فهی نعمة العصمة تستوجب المزيد من الخضوع له تبارك وتعالی، كما تستوجب علی المعصوم تحمّل عدم قدرة الإنسان علی استيعاب الفاصلة اللامحدودة بين المخلوق وعظمة الخالق وعدم وجود عبادة قادرة علی تقليل تلك الفاصلة.

ومن مصاديق ما كان المعصوم يعتبره شرّاً رغم العذر الشرعی له هو ما ورد فی خبر سماعة عن الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه.

دوام الطاعة

يوضّح الإمام السجّاد سلام الله عليه بقوله: وأكمل ذلك لی بدوام الطاعة. أنّ كمال استقلال الخير واستكثار الشرّ يتوقّف علی دوام الطاعة، فلا يتوقّف ابن آدم عند حدّ من الحدود فی كدحه إلی ربّه عزّوجلّ، بل يسأل ربّه ثمّ يعزم علی العمل الطاعة بصورة دائمة، وإن كانت قليلة، فقد ورد فی الأثر: قليل تدوم عليه أرجی من كثير مملول، والمرء إذا تعوّد فعل الخير وإن قلّ، تاق الی أكثَرَ منه، لما سيشعر بذلك من اللذة، وبما سيتكرّس لديه من الرغبة فی الحصول علی الجزاء الأوفی.

قصّة الابتلاء وعبرة الإجابة

نقل لی من أثق به عن أحد العلماء أنّه كان بصدد تأليف كتاب فی الدفاع عن مقام أهل البيت عليهم الصلاة والسلام وإثبات حقّهم،

فانشغل بجمع المصادر، حتى أوقفته الحاجة إلى أحد الكتب المهمة، فبحث عنه بحثاً كثيراً، لكن دون أن يوفّق للعثور عليه، فرأى أن يذهب إلى مرقد أمير المؤمنين سلام الله عليه وأن يتوسّل به ليهيّئ له وسيلة العثور عليه، وطال توسّله أشهراً، وهو خلال ذلك لم يكلّ عن البحث عنه فى المكتبات.

قال العالِم: وذات يوم كنت قرب ضريح أمير المؤمنين صلوات الله عليه، واضعاً عباءتى على رأسى وكانت هذه الهيئة منه لئلّا يشغله شيء عن توجّهه منشغلاً بالدعاء إلى الله تعالى والتوسّل بالإمام ليرشدنى إلى ضالّتى، سمعتُ صوت رجل قرويّ قريب منّى يكثر الإلحاح على الإمام فى أن يجيبه لما يريد، وقد ضمّن كلامه كلمات حادّة وفيها تهديده بعزمه على عدم زيارة الإمام أبداً إذا لم يُجبه.

قال: فتأثّرت لذلك كثيراً، وهالنى هذا الأسلوب الفضّ فى التحدّث مع سيّد الأوصياء وأمير المؤمنين سلام الله عليه، وأردت أن أعاتب الرجل وأؤنّبه عما بدر منه، ولكنّى أحجمت عن ذلك وقلت فى نفسى إنّ الإمام أعرف بلسان الرجل.

قال: بعد أيام قلائل وبينما كنت عند الضريح مستمرّاً فى توسّلى بالإمام إذ سمعت الرجل نفسه وقد بدت على كلامه أمارات السرور، وهو يضفى للإمام عبارات المدح والثناء بأسلوبه الخاص، وكأنّ الإمام قد قضى له بإذن الله حاجته. فتأثّرت فى نفسى من سرعة الإجابة لهذا الرجل القرويّ فى شأن من شؤون الدنيا، بينما أتعرّض للإهمال فى ما نويت فيه الدفاع عن حقّ أهل البيت.

فقلت ذلك لأمير المؤمنين، لكن ندمت بعده، وعدت إلى البيت غارقاً فى التفكّر ولم أعد أشتهى تناول الطعام وقد هجرنى النوم.

وحين الصباح جلست إلى أوراقى لكى أكتب شيئاً، والضجر يملأنى، جاءنى ابنى ليقول لى: بأن رجلاً كان جاراً لنا قديماً حيث كنا نسكن فى منطقة أخرى يريد رؤيتى. فقلت له بأن يسمح له بالصعود إلى غرفتى.

وحينما استقرّ به المكان قال لى: إنّ سبب زيارتى لكم هو أنّنا انتقلنا من المحلّ الذى كنّا وإيّاكم فيه، إلى بيت آخر، وحين انشغالنا بتنظيف البيت رفعتُ ولدى إلى أحد الرفوف لينظّفه، فوجد فيه كتاباً قديماً، فنزل به وأنا لا أعرف القراءة والكتابة، فرأيت أن آمره بوضعه فى مسجد المنطقة ليستفيد منه الآخرون، ولكننى غيّرت رأيى حينما تذكّرتك وقرّرت أن آتيك به. فبحثت عنك، إلى أن وجدت دارك، وها هو الكتاب.

قال: فتناولت منه الكتاب وفتحته، فإذا نفس الكتاب الذى استغرقت فى البحث عنه أشهراً، فأسقط فى يدى، وتأكّدت من أنّ الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه إستجاب لطلبى، ولكن بعد مدة.

والسبب فى تأخير الإجابة، رغم قدرة الإمام بإذن الله تعالى عليها فوراً، هو الإمتحان أحياناً، قال الله تعالى?: أَحَسِبَ النّاسُ أنْ يُتْرَكُوا أنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُون ?بمعنى أنّ لكلّ امرئ امتحانه وبلاءه ليثبت جدارته ويرفع من منزلته عبر الاستمرار فى الطاعة والإلحاح فى الدعاء الذى هو عبارة عن وسيلة لتقوية علاقة العبد بخالقه من جهة، ولكى يشمل الله سبحانه عبده بمزيد من العناية والرحمة من جهة أخرى?: قُلْ مَا يَعْبَأ بِكُمْ رَبّى لَوْلاَ دُعَاؤُكُم.?

إغتنام الفرص

من الضرورى اغتنام الفرص الحسنة للاستزادة من العبادة والطاعة، لاسيما أيّام شهر رجب الأصبّ وشهر شعبان المعظّم وشهر رمضان المبارك، ليكرّس فيها الإنسان ما يملك من قوّة ليعى العبادة ويقوم بأدائها حق الأداء بالإضافة إلى مواصلة مهمّة محاسبة النفس، كما أمرت بذلك الأحاديث والروايات الشريفة التى نقلها كبار علمائنا فى كتبهم؛ فقد ورد عن أهل البيت صلوات الله عليهم أنّ الله يجزى عامل الصالحات والمحاسب لنفسه من الجزاء – خاصّة فى هذه الأشهر المباركة، ومنها شهر رجب الأصبّ الذى تُصبُّ فيه الرحمة والبركة على رؤوس العباد صبّاً ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشرٍ.

والورع عن محارم الله من الأمور الموصى بها فى هذه الأشهر خاصّة، الأمر الذى يستلزم معرفة المحرمات أوّلاً. وبالورع تقلّ نسبة الحسرة فى يوم القيامة بعد ما يُرى ما يناله المتّقون مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وهذا كلّه يكون بالخروج

من الامتحان الإلهی بنجاح.

اللهُمَّ صَلِّ عَلی مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِکَ عَلَیَّ إذا کَبِرْتُ، وَأَقْوَی قُوَّتَکَ فیَّ إذا نَصِبْتُ، وَلاَ تَبْتَلِیَنّی بِالْکَسَلِ عَنْ عِبَادَتِکَ وَلاَ الْعَمَی عَنْ سَبِیلِکَ، وَلاَ بِالتَّعَرُّضِ لِخِلاَفِ مَحَبَّتِکَ وَلا مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْکَ، وَلا مُفَارَقَةَ مَنِ اجْتَمَعَ إلَیْکَ...

?أوسع الرزق وأقوی القوّة

?الابتلاء بالکسل عن العبادة والعمی عن سبیل الله

?عدم التعرّض لخلاف محبّة الله

أوسع الرزق وأقوی القوّة

أوسع الرزق وأقوی القوّة

یسأل الإمام من الله تعالی سعة الرزق حین الکبر، وأقوی القوّة حین النصب. ولاشکّ أنّ رزق الإنسان علی الله فی تمام عمره بل کلّ مخلوق رزقه علی الله تعالی?؛ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فی الأرض إلاَّ عَلَی اللهِ رِزْقُهَا.?

والرزق قد یکون موسّعاً وقد یکون مضیّقاً. وحیث إنّ قوی الإنسان تضعف فی الکبر عادة، الأمر الذی یؤدّی الی ضعفه عن الحرکة والنشاط کما کان أیّام شبابه، لذلک فإنّه غالباً ما یحتاج إلی من یعینه ویأخذ بیده للقیام بأکثر أموره ومنها الحصول علی رزقه. فإذا کان الرزق واسعاً کانت الحاجة إلی المساعدین أقلّ، والعکس بالعکس، ولیس کلّ إنسان یتمکّن من تحصیل من یساعده فی تمام شئونه، حال شیخوخته. لذلک تری الإمام سلام الله علیه یخاطب ربّه الجلیل ویطلب منه أن یجعل أوسع رزقه له أیّام کبره وشیخوخته لیکفیه مُؤنه ولا یکله إلی غیره، لأنّه أحوج ما یکون لسعة الرزق فی تلک الفترة؛ لضعفه عادة وصعوبة تحصیل من یقدّم له العون بلا منّة أو أذی.

بحث فی الرزق

هنا ملاحظتان:

الأولی: إنّ الرزق قد یکون بالمعنی الأخصّ وهو الرزق المادّی، وقد یکون بالمعنی الأعمّ وهو ما یشمله ویشمل الرزق المعنوی أیضاً، ولعلّه هنا یُراد به المعنی الثانی، أی الأعمّ.

الثانیة: إنّ الإمام أضاف الرزق إلی الله تعالی، فقال: «أوسع رزقک» وإن کان یصحّ نسبته إلی نفسه أیضاً باعتبار آخر، أی الحصّة التی قسم له منها فإنّ الرزق یصدر عن الله تعالی ثمّ یصیر إلی العبد، ولذلک یصحّ التعبیر «رزقک یا إلهی وقوّتک» وأیضاً: «رزقی»، ویراد به «الرزق الذی أنت منحتنیه یا إلهی» لمناسبة دخول یاء المتکلّم هنا کما ورد فی بعض الأدعیة.

إذاً لماذا عدَل الإمام فی هذا الدعاء إلی التعبیر الأوّل وهو «رزقک»؟

ما یمکن استفادته فی المقام أمران:

الأول: استبطان الشکر فی هذا التعبیر. أی أنّه اُشرب معنی الشکر من خلال الاعتراف بأنّ الرزق إنّما هو من عند الله تعالی دون سواه. فتارة یطلب العبد من مولاه أن یوسّع علیه ما قسم له من الرزق فیقول: أوسع علیّ فی رزقی. أی الرزق الذی قسمته لی، وتارة یقول له: أوسع علیّ من رزقک. ولاشکّ أنّ المصداق فی التعبیرین واحد؛ لکن فی التعبیر الثانی لحاظ الصدور. فقوله «رزقک» یکون مشرباً بذلک المفهوم وإن لم یرد فی اللفظ فلم یقل: «رزقی الصادر منک» بل ارتقی وقال: «رزقک» لیؤکّد علی اللحاظ الثانی، وهو جهة الصدور، ویصرف الذهن عن اللحاظ الأوّل وهو جهة الوصول.

الثانى: إنّ هـذه الإضافة إلى الله سبحانه تعنى اعترافاً من قبل الداعى بأنّه لا حقّ له على ربّه، بل الله هو المبتدئ بالإنعام، كما أنّها تشير من ناحية أخرى إلى سعة الرزق عندما تنسب إلى الخالق سبحانه؛ فإنّ الرزق إذ لوحظ من حيث نسبته إلى الله تعالى فسيأخذ آفاقاً واسعة لاتحدّها الحدود لأنّه سيشمل كلَّ المخلوقات، وحيث إنّ الحديث عن أوسع الرزق فناسبه قوله سلام الله عليه: (من أوسع رزقك).

يقول أهل اللغة إنّ الرزق مصدر مضاف، وإن المضاف يتّسع ويضيق بسعة المضاف إليه وضيقه. فإذا اُضيف إلى العبد فيكون بقدر ما قسم الله له، ولكن إذا أضيف إلى الله تعالى كان بعدد ما لا يحدّ ويحصى.

نكته أدبية

أمّا استخدامه صلوات الله وسلامه عليه لمفردة (عليَّ) عوضاً عن كلمة (إليَّ) فى قوله: «أوسع رزقك عليّ..» فإنّما يشير إلى أدب بالغ يهدف الإمام من ذكره أن الإنسان المؤمن يحسّ بالصغر أمام عظمة الله عزّوجلّ، فهو سلام الله عليه يصوّر للداعى حالة الرزق وهو ينزل من العالى وهو الله تعالى إلى الدانى وهم خلقه، فيكون مثله كالشلال الذى ينزل على من يقف تحته ويغمره. فاستفادة الداعى من كلمة (عليّ) لدى مخاطبة ربه الجليل يوحى: بأنّك يا إلهى وحدك العالى، وما يصدر عنك إنّما يصدر من علوّ مكانك وشرافة قدسك، إلى دنوّ مكانى وضعة نفسى، فأنا عبدك الذى لا يملك لنفسه سوى ما يهبط عليه من فضلك، فضاعف يا إلهى من رزقك عليّ إذا ما تضاعفتْ حاجتى حين الكبر.

القوّة والنصَب

يقول الإمام سلام الله عليه أيضاً: «وأقوى قوّتك فيّ إذا نصبت».

النصب: التعب والإعياء، وهو أعمّ من التعب الناشئ عن مزاولة بعض الأعمال، فقد ينتج التعب عن تقدّم الإنسان فى السنّ أو التعرض لمصاعب الحياة، وقد يكون نتيجة الفقر سيّما إذا كان المبتلى به عزيز النفس يصعب عليه الاقتراض فضلاً عن الاستعطاء، بل قد يتوسّع مفهوم النصب ليشمل ضعف النفس أو ما ينتج عنها، الأمر الذى يُقعد الإنسان ويعيقه عن الحركة والنشاط؛ باعتبار أنّ قوّة الإنسان الحقيقية تكمن فى قوّة النفس، والعلاقة بينهما طردية. فتمتّع النفس بالقوّة والنشاط يعنى تمتّع سائر بدن الإنسان بهما، والعكس بالعكس. وقد رأينا نماذج كثيرة من أنّ الوازع النفسى يعمل على تنشيط المُقعد من الناس، وكيف أن التثبط النفسى يُقعد عن الحركة صاحب البدن السليم النشط.

فمثلاً لو أنّ شخصاً كان مرهقاً لأنّه لم ينم منذ يومين ولاشكّ أنّ النوم أحبّ إليه من أى شىء فى تلك الحالة وكان على وشك أن ينام إذ طرق باب داره شخص عزيز عليه لم يره منذ فترة طويلة وكان يتمنى رؤيته، أترى كيف يزول عنه إحساس التعب والإعياء، وربما يجلس للحديث معه حتى الصباح دون أن يحسّ حتى بمرور الوقت، وهذا إنّما يدلّ على أنّ العامل النفسى تغلّب على العامل البدنيّ.

وفى هذه الجملة من الدعاء يطلب الإمام السجّاد سلام الله عليه من الله سبحانه، ويعلّمنا أيضاً أن نطلب منه أن يرزقنا أقوى القوّة حين النصب والإعياء.

ولعلّ من جملة ما يقصده الإمام فى طلبه هذا هو أن يُحدث اللهُ تعالى فى نفس الداعى التوازن فى كلّ أبعاده المادّية والمعنويّة، بمعنى أنّه متى ما حلّ فيه النصب النفسى وما يتبعه من تعب جسميّ، أسعفته القوّة الربانية لتعيد له توازنه، فيبقى إنساناً متعادل الجوانب، سواء على صعيد المشاعر والأحاسيس أو الأقوال والأفعال.

فقد ورد فى الحديث عن الصادق سلام الله عليه، فى ذكر المؤمن وصفاته المتميّزة، ومنها صفة عالية لا يمكن للإنسان الاتصاف بها

مالم تكن له خلفيّة إيمانيّة كثيرة؛ يقول سلام الله عليه: وإن تداكّت عليه المصائب لم تكسره.

هذا الحديث الشريف هو فى سياق بيان مسؤولية الإنسان فى إحراز قوّة روحية تكفل له مقاومة المصائب وإن تكاثرت وتوالت عليه، فلا ينهزم ولا ينكسر ولا يجزع فى أوّل اختبار له. فالدنيا دار بلاء وتعرّض للنوائب والمصائب، فالمطلوب منه الصلابة والاستقامة والوقوف بوجهها عبر ما أعدّ من قوّة نفسية تؤهّله لإنجاز مهمّته فى الحياة وإثبات جدارته وأهليّته ليكون حقّاً خليفةً لله فى أرضه، وليكون النموذج الأمثل الذى يستحقّ الأجر والثواب فى الآخرة.

وخير مصداق لهذه الحقيقة ما نقل عن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فى يوم عاشوراء حين تداكّت عليه المصائب والرزايا بكلّ صورها، حيث وصفه عبد الله بن عمّار بقوله: ما رأيت مكثوراً قطّ قد قُتل ولده وأهل بيته أربط جأشاً منه.

فالإمام الحسين سلام الله عليه كان فى يوم عاشوراء حتى الساعات الأخيرة من المعركة طبيعيّ المظهر، لا يعبأ بحقد الأعداء وتكالبهم عليه، فكان يقاوم ما قد حلّ به من المصائب الكبرى والرزايا العظمى التى لم تكن قد نزلت بأحد غيره، فكان قدوة للمؤمنين فى الثقة بالله تعالى.

الخلاصة: إنّ التغلّب على المتاعب والمصائب لا يتأتّى إلا بممارسة الرياضة النفسية من خلال الورع والاجتهاد، ولعلّ من مفاتيح تلك الرياضة الأدعية المأثورة عن أهل البيت سلام الله عليهم والتى تمثّل فى الحقيقة أعظم كنز لمن أراد الاستفادة منها فى تقوية نفسه لمواجهة ما يمكن أن يصدر عنها من سوء بسبب وساوس الشيطان ومصائب الحياة الدنيا ورزاياها.

الابتلاء بالكسل عن العبادة والعمى عن سبيل الله

الابتلاء بالكسل عن العبادة والعمى عن سبيل الله

أصل الابتلاء فى اللغة من «بِلِيَ، يَبْلَى، بَلَىً ... الثوب وبلاءً، إذا صار خَلِقاً، فهو، بالٍ، أى خَلِقٌ، رثٌّ.

والبلوى والبلوة والبليّة جمعها بلايا: المصيبة والغمّ؛ كأنّه يبلى الجسم. والابتلاء: الاختبار بها.

أمّا بلا يبلو (من باب نصر ينصر) فهو بمعنى الاختبار، ويكون فى الخير والشر؛ قال تعالى?: وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً.?

وقيل: الابتلاء: هو الاختبار مع شدّة؛ لأنّ أهل اللغة يقولون: إنّ الزيادة فى المبانى تدلّ على زيادة فى المعانى.

وقيل أيضاً: إنّ هناك علاقة بين البلى (من بلى يبلى) والبلاء (من بلا يبلو) لأنّ هناك ترابطاً فى المعنى بين الكلمات التى تتألّف مصادرها من ذات الحروف، وإن كانت من أبواب مختلفة ولها معانٍ مختلفة.

ومن ثمّ فإنّه يمكن أن يكون هناك تناسب بين البلاء والبلى، فكأنّ الإنسان الذى يقع عليه البلاء يبلى جسمه، وقد تبلى نفسه أيضاً إن لم يصبر، ومن ثمّ فإنّ ضغط البلاء يجعله خلِقاً بالياً، فكما أنّ الثوب إذا استعمل باستمرار بلى، كذلك الإنسان الذى يعرّض للبلاء يبلى، إلاّ إذا كان مستعيناً بالله تعالى، فكثرة الضغط لا تثنيه ولا تبليه بل تزيده صلابة وقوّة، تماماً كالذهب كلّما تعرّض للنار إزداد جلاءً، بينما غيره يسودّ.

وهكذا هو حال الانسان إذا تعرّض للبلاء يُكشف عن معدنه، فإن كان غير مؤمن بالله بلى، وإن كان مؤمناً زاد إشراقاً.

الكسل عن العبادة

إنّ من مصاديق الكسل كثرة النوم والقعود عن أداء الواجبات فى العبادة بالمعنى الخاصّ والعامّ وسيطرة حالة الاتكالية التى من لوازمها انعدام الطموح، والرغبة عن التقدم والانطلاق لما أعدّ الله تعالى من نعيم الآخرة لعباده الصالحين.

ومع أنّ الله تعالى يقول فى محكم تنزيله?: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون ?بمعنى أنّ الهدف من خلق الإنسان هو أن يعبد الله

سبحانه، إلا أنّ أغلب الناس يكسلون عن أداء حقّ العبادة التى خلقوا لأجلها، فترى كثيراً منهم نشطاً فى سائر مجالات حياته، ولكن ما إن يصل وقت العبادة حتى يغلب عليه الكسل والنعاس وكأنّه لم ينم منذ ساعات كثيرة، وإذا شرع بالعبادة لا يفكّر إلا فى سرعة إتمامها والتفرّغ منها لينشغل بأمور أخرى، فتكون بذلك عنده أقلّ حظّاً من كلّ اهتماماته. والأمرّ من ذلك أنّه حتى هذا المقدار القليل من الوقت الذى يخصّصه للعبادة ينشغل خلالها بالتفكير فى أموره الدنيوية.

روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنّه أبصر رجلاً يعبث بلحيته فى الصلاة، فقال: أما أنّه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه.

وأكثر الناس مبتلى بهذه الحالة. ولذلك فإنّ الإمام السجّاد سلام الله عليه يلفت أنظارنا فى هذا الدعاء إلى هذه المسألة لكى نستعين بالله تعالى فى التخلّص منها.

أليس من العجب أن يفكّر الإنسان فى الأيّام الباقية من عمره القصير، ولا يفكّر فى مستقبله الحقيقى الذى ينتظره فى الآخرة.

الاقتداء برسول الله فى الاهتمام بالعبادة

إنّ الله تعالى عندما يخاطب نبيّه الكريم فى مجال طلب العلم يقول له?: وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً; ?فحتى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بحاجة إلى الاستزادة فى العلم، مع أنّه أعلم خلق الله تعالى، ولكن عندما يصل الدور إلى الخُلق الرفيع نراه تعالى يخاطبه بالقول: ?وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ. ?مما يدلّل على أنّ النبى صلى الله عليه وآله قد بلغ القمّة فى الخُلق، حتى روى أنّه ما صافح النبى صلى الله عليه وآله رجلاً قط فنزع يده حتى يكون هو الذى ينزع يده منه.

وكذلك صلى الله عليه وآله قمّة فى الخلق مع الناس، فى كلّ الحالات ومع كلّ الاشخاص، يستوى عنده الفقير والغنىّ والشيخ والشابّ والرجل والمرأة والرئيس والمرؤوس، ولم يكن عنده استثناء إلا فى حالة واحدة فقط ولم يُعرف له استثناء غيرها وهى حالة العبادة، فقد روى عنه أصحابه قالوا: إذا حضرت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلاً بالله عن كلّ شىء.

فأين نحن من عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فحرىّ بنا أن نقتدى به؛ قال سبحانه وتعالى?: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.?

الاستعداد للبلاء

الإنسان عموماً عرضة للبلاء والامتحان، سواء كان فى المال أو الجمال أو العلم أو القوّة أو أضدادها؛ لذا ينبغى لكل فرد أن لا يغيب عن ذهنه أمران:

الأوّل: ليعلم أنّ البلاء كما يكون فى الشرّ كذلك يكون فى الخير؛ قال تعالى?: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتنَةً. ?ولا يغرنّه تقلّب الفاسقين فيما يحوزونه من الثروات والأموال وغير ذلك من مباهج الحياة الدنيا.

فلو تذكّر قوله تعالى?: وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لأنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ?لاستكان وما راعه الأمر بتاتاً. ثمّ ليعلم أنّ الخير ليس فى كثرة الأموال والأولاد بالضرورة، بل الخير فى كثرة العلم والحلم والقرب من الله تعالى.

الثانى: أن يعلم أنّه لا بديل من الامتحان والبلاء لإثبات الجدارة واستحقاق مزيد الأجر والثواب، وإلا كيف يتسنّى معرفة الفرد فيما يدّعيه من الإيمان والعبوديّة والإخلاص وهو لم يُختبر بعد؛ قال تعالى?: أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ.?

لا ينبغى للإنسان التوقّع بأن يكون بمأمن من الامتحان، ولكن ليرجو ألاّ يكون عرضة لمضلاّته؛ ولذا روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: لا يقولنّ أحدكم اللهمّ إنى أعوذ بك من الفتنة؛ لأنّه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلاّت الفتن.

العمى عن سبيل الله

ههنا كلمتان لا بأس بالوقوف عندهما، هما: سبيل الله، والعمى.

أمّا سبيل الله فهو ليس إلاّ الوسيلة التي تقرّب العبد إلى الله تعالى من أداء الواجبات والورع عن المحرّمات، والحثّ على تعلّمها وتعليمها قولاً وعملاً. ويُبيّنه القرآن الكريم وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

وأمّا العمى فلاشكّ أنّ المقصود به عمى البصيرة وليس البصر، وكما أنّ الإنسان قد يصاب بعمى البصر، فيسقط هنا ويتعثّر هناك، ولمعذوريته لا يعاب عليه، ولكن العيب، كلّ العيب فيمن له عينان ويرى بهما ومع ذلك يتعمّد إغماضهما فيصطدم ويهوى، فمن يعيش حياته قاصراً في بصيرته، لا يدرك طيلة حياته سوى ما يحيط به، فمثل هذا لا يؤاخذ إلا بما سمح به عقله؛ لقاعدة «قبح العقاب بلا بيان» فهو يحاسب بمستوى ما أدركه عقله، خلافاً لمن يعيش طيلة حياته مقصّراً لايسعى لإنماء بصيرته وإحيائها بالعلوم والمعارف. فالطامّة الكبرى؛ أن يكون للفرد عقل ومرشد خارجي يهديانه سواء السبيل ولكنّه يعرض عنهما فيتعمّد سلوك طريق الغيّ والضلال، فهذا يكون قد أعمى بصيرته عن عَمد وإصرار، ولذلك سيحاسب حساباً عسيراً.

أهل البيت سلام الله عليهم هم سبيل الله تعالى

ولما كان أهل البيت سلام الله عليهم هم الحبل الذي أمرنا الله تعالى بالتمسّك به وهم سبيل الله وبابه الذي منه يؤتى. كان اللازم درك هذا المعنى وهو أنّ القرب منهم بحاجة إلى السنخية اللازمة بين التابع والمتبوع، وبين القائد والمقود.

لاشكّ أنّ رؤية الناس للأئمّة سلام الله عليهم في أزمنتهم كانت سبباً لسهولة الاغتراف من سلسبيل معينهم، لكن الأمر اختلف كلَّ الاختلاف في زمن الغيبة الكبرى، فصار من يريد رؤية الإمام المهدى سلام الله عليه بحاجة إلى مزيد من البصيرة والوعى ما يرفع من التزامه الديني والأخلاقي.

إنّ المطلوب من الفرد في علاقه ومحبّته لإمام العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن يسعى لإيجاد السنخية بين طبيعته الأخلاقية وسلوكه اليومي وبين رغبة الإمام، ليرتقي إلى مستوى مشايعته حقّ المشايعة.

عدم التعرض لخلاف محبة الله

عدم التعرض لخلاف محبة الله

(ولا بالتعرّض لخلاف محبّتك)

هذه الفقرة من الدعاء هي الأخرى تحمل مطالب كثيرة بحاجة إلى التعمّق والتدبّر، ومن تلك المطالب الاستعارة للحروف وبما ينسجم مع المقصد، حيث إنّ للحروف في العربية معاني ومداليل خاصّة، وإنّ استخدامه صلوات الله وسلامه عليه للكلمات والحروف هو في غاية الحكمة بما يترتّب عليه من بلاغة، وهذا هو ديدن أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين مع الناس، فما بالك حين يتحدّثون مع الربّ العظيم.

قال: ولا بالتعرّض لخلاف محبّتك.

ولم يقل: للتعرّض لخلاف باستخدام اللام في الكلمتين.

أو: بالتعرّض بالخلاف أو بخلاف باستخدام الباء في الكلمتين.

كما لم يقل: للتعرّض بخلاف باستبدال موقع الباء واللام في الكلمتين.

فلكلّ من حرفي الجر (الباء واللام) في موقعه خصوصيّته في مقصوده سلام الله عليه. ولو جاء الاستخدام بأيّ من الموارد الأخرى التي

عرضناها آنفاً لكان نقصاً بلاغياً ومعنوياً واضحاً، ولكنّه سلام الله عليه استخدم باء التعدية واللام على أروع ما يكون الاستخدام.

إنّ أمامنا مفردات ثلاث ارتكز عليها متن هذه الجملة من الدعاء، هى: التعرّض والخلاف والمحبّة، نذكر معانيها على نحو الإجمال:

فى معنى التعرض

التعرّض هو التصدّى للأمر وطلبه، كما جاء فى الدعاء المروىّ عن الإمام الصادق سلام الله عليه: إلهى، تعرّض لك فى هذا الليل المتعرّضون»، أى أن من كانت له حاجة أخذ فى التضرّع والدعاء طلباً للرحمة الإلهية والعناية الربانية.

والتعرّض يختلف معنىً حسب متعلّقه، فقد جاء فى بعض الأدعية أيضاً: وتنجينى من تعرّض السلاطين أى أسألك اللهم أن تجعلنى بعيداً عن تصدّيهم وطلبهم لى، فأكون فى منأىً عن خطرهم؛ فإنّ السلاطين عادةً يفتكون بمن يشكّون بولائه لهم فكيف بمن يعلن عداءه لهم، على العكس من الأنبياء والأولياء حيث لا يرى منهم إلا الكفّ والإحسان، وإن كان قد أُسىء إليهم، لأنّ من شيمتهم العفو والكرم.

والشواهد على ذلك كثيرة، منها ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله مع الرجل الذى أراد الفتك به صلى الله عليه وآله حينما مكّن الله تعالى رسوله منه وعفا عنه.

وكذلك حينما عفا النبى صلى الله عليه وآله عن عتاة قريش الذين آذوه وحاربوه طيلة أكثر من عشرين سنة.

وكذلك فعل أمير المؤمنين سلام الله عليه حينما عفا عن الجماعة من أصحاب الجمل، حينما فرّوا واختبأوا فى دار عبدالله بن خلف بمعية عائشة بعد أن مكّنه الله عزّ وجلّ منهم وهزم جيشهم.

فى معنى الخلاف

لم يستخدم الإمام كلمة (ضدّ) أو (نقيض) بل استخدم كلمة «خلاف» باعتبار أنّ من الجدير بالعبد أن يطلب من الله تعالى أن يجنّبه مطلق ما من شأنه أن يعرّضه لسخطه وبغضه.

فالضدّ أمرٌ وجودىّ كالسّواد ضدّه البياض، ولا يجتمعان، لكن قد يرتفعان فيما كان لهما ثالث لا كالليل والنهار اللذين لا ثالث لهما فيكون الشىء لا أسود ولا أبيض بل لون آخر، والنقيض أمرٌ عدمىّ كالحركة وعدم الحركة، والنقيضان لا يجتمعان أبداً، ولا يرتفعان أبداً، وأمّا الخلاف فهو أمرٌ وجودى كالحلاوة، خلاف البياض، لكن يجتمع معه.

إنّ الإمام لا يطلب من الله تبارك وتعالى أن لا يبتليه بضد محبّته فحسب، أى ببغضه والعياذ بالله ولا بنقيضها أى بعدم المحبّة، بل يطلب منه تعالى أن لا يبتليه حتى بخلاف محبّته أى بما قد يجتمع مع كرهه أو بغضه؛ وذلك لكى يحرز محبّة الله الكاملة والشاملة، وأن لا يصدر عنه ما يكون مخالفاً لتلك المحبّة بأىّ حال من الأحوال.

فى إحدى زيارات الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه نلاحظ أنّ الإمام الصادق سلام الله عليه الذى تروى عنه الزيارة بعد أن يسلّم على الإمام يتوجّه باللعن على أعدائه، ولكن نلاحظ اختلافاً فى صيغة اللعن، فهو سلام الله عليه عندما يخاطبه يقول: لعن الله من خالفك، وهذا يكشف عن نقطة فى غاية الأهمية وهى أنّ الذى يخالف الإمام المعصوم يستحقّ اللعن، أمّا غير المعصوم فلا، مهما علت منزلته وعظمت مكانته؛ وما ذلك إلا لأنّ المعصوم لا يخالف إرادة الله ومحبّته أبداً، ومن ثمّ فإنّ مخالفة المعصوم تعدّ مخالفة لله تعالى.

ولذلك عندما نخاطب غير المعصوم كعلىّ الأكبر عليه السلام نقول: لعن الله من قتلك، ولكن لا نقول: لعن الله من خالفك.

فالإمام هنا يطلب من الله أن لا يبتليه بالتعرّض لمخالفته.

إنّ فى كلمات المعصومين سلام الله عليهم نكات دقيقة بحاجة إلى التدبّر من أجل الوصول إلى بعض أسرارها التى لا يدركها كلّها إلا من كان قريباً منهم وعلى نهجهم.

فی معنی حبّ الله تعالی

ثمّ إنّ الإمام لم يقل: لا تبتلينی بالتعرّض لخلافك، بل قال: لخلاف محبّتك. وهذا يكشف عن مستوى أرفع فی الأدب وأصدق فی العبودية للربّ الجليل؛ فإنّه يمكننا أن نتصوّر شخصاً ما يكنّ المحبّة لشخص آخر ويعمل على أن لا يخالفه فی كلّ ما يطلبه منه، ولكن ليس بالضرورة أن يتطابق معه فی كلّ ما يحبّ، أمّا الإمام سلام الله عليه فإنّه يطلب من الله أن يجنّبه من الابتلاء حتى بالتعرّض لخلاف ما يُحبّه تعالى.

ومن الواضح أنّ ما يحبّه الله تعالى من عبده هو الامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه، وبعبارة: القيام بالواجبات الشرعية واجتناب المحرّمات الشرعية، ويعضدهما بالسعی لأداء المستحبّات وترك المكروهات أيضاً، شريطة أن لا تؤثّر على العمل بالواجبات وترك المحرّمات، فإنّه لا قربة بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض.

فكما أنّك إذا كنت عازماً على مرافقة شخصٍ تجلّه وتريد كسب ودّه فی سفرٍ أو غيره، ولم تكن تعرف ما يحبّ وما يكره، فلا شكّ أنك ستسأل العارفين والمطّلعين على ميوله، ثمّ تعمد إلى متابعته بكلّ حيطة وحذر لئلّا يصدر عنك تجاهه ما لا يحبّ، فتتعرّض لخلاف محبّته.

فكذلك لابدّ من معرفة الأمور التی يحبّها الله تعالى لكی يُؤتی بها، والأمور التی يكرهها لكی تُتجنّب فلا يُتعرّض لخلاف محبّته، والطريق لهذه المعرفة ينحصر بالقرآن الكريم والنبیّ صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة، فلقد أوضح لنا رسول الله صلى الله عليه وآله الطريق عندما قال: إنّی تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتی.

فالآيات القرآنية والأحاديث والروايات الشريفة قد جمعت كلّ المعارف الإلهية والأحكام الشرعية الكفيلة بقيادة الإنسان إلى طريق المحبة الإلهية والنأی عن طريق السخط والمقت الإلهی.

ثلاثة مقترحات فی شهر رمضان المبارك

لعلّ من الفرص الجيّدة للسعی نحو بناء النفس كی تبغی المحبّة الإلهية، هو شهر رمضان المبارك الذی أعدّه الله تعالى لابن آدم كی يعيد فيه حساباته مع نفسه والآخرين.

وهو الشهر الذی بشّر به رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين كافّة فی قوله: قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة.

ففی هذا الشهر الكريم تكبّل الشياطين؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فإنّ الشقی من حرم غفران الله فی هذا الشهرالعظيم.

ولكی نضمن كون مسيرتنا على طريق المحبّة الإلهية ونستفيد من فيوضات شهر الله، شهر الطاعة والغفران شهر رمضان الكريم أقترح عليكم، ثلاثة أمور:

۱. محاسبة النفس فی كلّ يوم من هذا الشهر، ليعرف الفرد ما له و ما عليه، وما ينبغی له أن يستمرّ به من سلوك أو يتركه، وليمرّن وجدانه على أن يكون حكماً منصفاً وقاضياً عادلاً على ما يصدر عنه خلال اليوم والليلة، مستغفراً عن السيئات، وشاكراً لله وطالباً منه الاستزادة فی الحسنات.

۲. المواظبة على قراءة خطبة النبی المصطفى صلى الله عليه وآله الخاصّة بشهر رمضان بتأمّل وتدبّر، لتعرف الغاية التی يقصدها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من كلّ كلمة من كلماتها.

۳. محاولة الالتزام بجميع بنود الخطبة ولو لمرّة واحدة خلال شهر رمضان المبارك.

فمن لم يكن عاملاً بهذه الأمور الثلاثة فليعقد العزم من الآن على العمل بها، ومن كان عاملاً بها فليسع للمزيد؛ قال تعالى?: وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى.?

وإذا كانت بعض بنود الخطبة خارجة عن تكليفنا فليس شرطاً أن يكون الالتزام بها حرفياً، بل لنتأسَّ بها فى موارد مشابهة، مثلاً: التعامل مع ملك اليمين، فإذا كان النبى صلّى الله عليه وآله يأمرنا فى هذه الخطبة الشريفة بأن نحسن إليهم، وليس منا من يملك عبداً أو أمة فى هذا العصر، فهذا لا يعنى عدم الالتزام بهذه الفقرة من الخطبة بل يمكن تطبيقها فى موارد الذين أمرهم بأيدينا كالزوجة والأولاد والتلاميذ والأجراء و...

المعرفة شرط

لاشك أنّ معرفة الأحكام الشرعية، لاسيما الواجبات والمحرّمات، والالتزام بحدودها، تجنّب الفرد الخسارة الكبرى فى الآخرة، ولابدّ من أن تكون المعرفة صحيحة ولا يكفى مجرد تصوّر كونها كذلك؛ قال تعالى?: قُلْ هَلْ نُنبِئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً.?

ولاشكّ أنّ مثل هؤلاء ربما كانوا يصلّون ويصومون ويحجّون ويزكّون ويقاتلون ويُقتلون ويعانون ويعذَّبون؛ ظنّاً منهم أنّهم إنّما يفعلون ذلك على طريق محبّة الله تعالى، حتّى ينكشف لهم يوم القيامة الخلاف؛ لعدم إقرانهم ذلك بما أمروا به من مودّة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم فافتقدوا بذلك أهمّ ركيزة فى الوصول إلى الله تعالى، قال أمير المؤمنين سلام الله عليه: إنّ ل (لا إله إلا الله) شروطاً، وإنّى وذرّيتى من شروطها. فبذلك يساق هؤلاء إلى جهنّم مع أولئك الذين ربّما لم يصلّوا أو يصوماً حتى يوماً واحداً من حياتهم؛ فيجدون أنفسهم قرناء مع أناس لم يحرموا أنفسهم شيئاً من ملاذّ الدنيا وعاشوا عيشة المعرضين عن العبادة، وهذا الأمر يضاعف منهم الإحساس بالندم والحسرة، وهذا ما يعكسه التعبير القرآنى الذى استعمل أقوى صيغ التفضيل (وهو أفعل التفضيل المعرّف بالألف واللام) فقال: الأخسرين.

وما أكثر الأمثلة على الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، فمن الأمثلة التاريخية البارزة على ذلك الخوارج الذين خرجوا على الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه وكانوا يسعون لقتله، زاعمين التقرّب بذلك إلى الله تعالى.

فيا له من ضلال ما بعده ضلال، يقتلون من حبّه ايمان وبغضه كفر بنصّ رسول الله صلى الله عليه وآله بتيّة التقرّب إلى الله تعالى.

إذاً، ما لم يتعلّم الإنسان فرائض الله تعالى من خلال المصادر التى أشار إليها النبى الأكرم صلى الله عليه وآله: القرآن وعترته، فإنّه سيتعرّض لخلاف محبّة الله تعالى؟ وقال سبحانه وتعالى?: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونى يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ. ?واتّباع النبى صلى الله عليه وآله يعنى اتّباع ما أمر الله تعالى، لأنّه صلى الله عليه وآله عالم به عن طريق الوحى? وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى.?

الحسبان نوعان

ثمّ إنّ ههنا ملاحظة جديرة بالالتفات، وهى أنّ العبد إذا قام بالفعل وكان يحسبه حسناً، أو امتنع عن أداء فعل وكان يحسبه سيّئاً، ثمّ بان له العكس لكلا الحسبانين، فكيف سيحاسبه الله تعالى على ذلك؟

والجواب: إنّ الجهل قد يكون عن قصور، وقد يكون عن تقصير. ففى الحالة الأولى لا يعاقب الله تعالى الإنسان على ما بدر منه بسبب جهله للأمر وقصوره عن إدراك الواقع، أمّا فى الحالة الثانية أى إذا كان جهل الإنسان ناتجاً عن تقصيره، فإنّه سيكون مستحقّاً للعقوبة.

فابن ملجم مثلاً لم يصل إلى هذه الدركة الدنيئة دفعة واحدة، إلاّ بعد أن سقط بحسبانه أنّه يعمل حُسناً حتى صار يعتقد أنّ قتل إمام الحقّ، حقٌّ بل واجبٌ عليه، فحقّ عليه قوله تعالى?: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ.?

العلم وحده لا يكفى

كما أنّ العمل من دون علم يوقع صاحبه ويرديه كما فى قوله تعالى?: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْم وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ? فكذلك لاينفع الإنسان العلم من دون العمل؛ قال سبحانه وتعالى?: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُون.?

ثمّ إنّ العلم يعتبر سلاحاً ذا حدّين أى يمكن استخدامه فى الخير وفى الشرّ على السواء، ما لم يستند إلى الورع؛ قال تعالى?: إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ. ?وقال تعالى?: لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُون.?

ولو كان العلم وحده مجدياً لكان الشيطان الرجيم أرفع مستوى وأكثر فضيلة من جميع المكلّفين من الجنّ والإنس، لأنّه بلاشكّ على اطلاع دقيق بكلّ الواجبات والمحرّمات الإلهية، ولله در الشاعر حين قال:

لو كان للعلم من غير التقى شرفٌ لكان أشرفَ خلق الله إبليس

إذاً لابدّ للعلم من سلوك يصدّقه، ليؤتى أكله وينهض بصاحبه، فيكون ما تعلّمه علماً نافعاً حقّاً.

زكاة العلم تعليمه

هذا ولا ينبغى للمرء أن يؤطّر طموحه وكدحه بإطار العلم والعمل فحسب، بل ينبغى أن يحلّق إلى أسمى الغايات وأشرفها من خلال تزكية علمه، فيبادر إلى تعليمه للآخرين ويبيّن لهم ما ينبغى لهم القيام به من واجبات، وما ينبغى لهم الانتهاء عنه من المحرّمات، فيشركهم فى علمه، ليحقّق خصلة أخلاقية فاضلة كريمة وهى حبّه للعلم ونشره بين الناس، وقد ورد فى الرواية الشريفة: إنّ الله لم يأخذ على الجهّال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال لكى تتمّ الحجة على الناس جميعاً.

إذاً فقد اتّضحت أركان محبّة الله تعالى علماً وعملاً وتعليماً؛ وإذا اقترنت هذه المفردات بمحاسبة النفس ومراقبتها الدائمة، يكون المرء حينئذ قد قطع الطريق على الشيطان واتّجه بنفسه ليزداد قرباً نحو المحبّة الإلهية.

اللهُمَّ اجْعَلْنى أصُولُ بكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَأسْألكَ عِنْدَ الحاجَةِ، وَأتَضَرَّعُ إلَيْكَ عِنْدَ المَسْكَنَةِ، وَلاَ تَفْتِنّى بِالاِسْتِعَانَةِ بغَيرِكَ إذَا اضْطَرَرْتُ، وَلاَ بِالخُضُوعِ لِسُؤالِ غَيرِكَ إذَا افْتَقَرْتُ، وَلاَ بالتَّضَرُّعِ إلى مَنْ دُونكَ إذا رَهِبْتُ، فَأسْتَحِقَّ بذَلِكَ خِذْلانكَ وَمَنْعَكَ وَإعْراضَكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

?الصولة بالله تعالى

?السؤال من الله تعالى

?التضرّع إلى الله تعالى

الصولة بالله، والسؤال من الله، والتضرّع إليه

اشارة

يطلب الإمام سلام الله عليه فى الجملة الأولى من هذا المقطع من دعائه أن يوفّقه الله تعالى لثلاثة أمور وهى:

أن تكون صولته به عند الضرورة، وسؤاله إيّاه عند الحاجة، وتضرّعه إليه عند المسكنة، أى: يا ربّ، عندما أكون مضطرّاً فلتكن صولتى بك لا بغيرك، وعندما أكون محتاجاً فليكن سؤالى موجّهاً لك لا لسواك، وعندما تواجهنى مسكنة يكون تضرّعى إليك دون خلقك.

۱. الصولة بالله تعالى

۱. الصولة بالله تعالى

ونبدأ بالوقوف على الطلب الأوّل وهو الصولة عند الضرورة. فالضرورة هى التى يكون الإنسان فيها فى منتهى الحاجة والشدّة والضيق، فليس كلّ سوء يكون ضرورة للمبتلى ليتخلّص منه، ولا تستعمل كلمة الضرورة إلا حينما يشعر المرء بأنّه قد بلغ منتهاه فى الحاجة والشدّة والضيق، ولذلك فالإنسان فى حال الإضطرار يكون فى منتهى ضعفه.

أمّا الصولة فهى تعبير عن أوج القدرة والتمكّن لدى الإنسان تجاه ما يواجهه؛ لذلك فإنّ ورود لفظ الصولة فى الكلام ينقل أذهاننا إلى تصوّر الحرب والقتال، لاسيّما عندما يبلغ المقاتل ذروة القوّة والغلبة والتوفّر على مقوّمات السيطرة فى تسيير مجريات القتال ضد عدوّه الذى لا يسعفه الصمود تجاهه ولا يكون أمام ذاك العدوّ سوى الهزيمة الساحقة، ففى مثل هذه الحالة يكون الطرف الأوّل صائلًا على الطرف الثانى.

والإمام يعلّم الإنسان المؤمن فى هذه الجملة من الدعاء أن يطمح إلى السمو بمستواه فيسأل ربّه الكبير ليس فقط أن يخلّصه من الوضع الاضطرارى الهالك الذى يعيش فيه، بل يتفضّل عليه بأن يبدله غاية القوّة فيصول بقدرته سبحانه وتعالى. وما دام المؤمن يعلم بأنّ الله معه، فلم لا يصمّم على الاستعانة به ليصول بقدرته تعالى وينزل الهزيمة الساحقة بما يواجهه من اضطرار.

أمّا قوله سلام الله عليه «بِكَ» فمعناه أنّ على المؤمن أن يعلم عند الاضطرار وتلاطم أمواج البلاء وهجومها عليه، أن الله جلّ جلاله هو الجهة الوحيدة التى يجب أن يركن إليها لخلاصه، لأنّه تعالى إله كلّ شىء والقادر على كلّ شىء، وهو الذى لا تدانى قوّته قوّة.

النموذج العملى للصولة

ومن المثال على الصولة عند الضرورة ما تجسّد فى سيرة النبى الأكرم صلى الله عليه وآله، حينما لقى ما لقيه من المشركين قبل الهجرة وبعدها حتى قال: «ما أوذى نبى مثلما أوذيت» ولكنّ صولته بالله تعالى عند الضرورات واشتداد الخطب كانت تهوّن عليه الأمر.

فلقد هاجم المشركون نبىّ الله صلى الله عليه وآله من مختلف الجوانب، تارة بالترهيب عبر كيل الأذى وشنّهم الحروب عليه، وأخرى بالترغيب حين اقترحوا عليه أن يعطوه المال الوفير حتى يكون الأغنى من بينهم، أو يزوّجوه الأجمل من نسائهم، بل بلغ بهم الحدّ أن عرضوا عليه أن يترأس عليهم، كلّ ذلك مقابل أن يتنازل عمّا يدعو إليه من أمر التوحيد والنبوّة، فلا يسفّه أحلامهم ولا ينكر عليهم ما تشبّثوا من عبادة آبائهم وأجدادهم من قبل، بل وصل بهم الأمر أن اقترحوا عليه بعد أن علموا إصراره أن يعبدوا ربّه يوماً ويعبد آلهتهم يوماً آخر.

ثمّ لمّا يئسوا عن تركه لأداء مهمّته الرسالية، عرضوا عليه أن يزيل ما يحيط بمكّة من جبال لتكثر الطرق المؤدّية إليها، وأن يُجرى لهم الأنهار فلا يعتمدوا على الآبار المالحة، ثمّ تحدّوه خطلًا منهم أن يحيى آباءهم وأجدادهم.

ولكنّه صلّى الله عليه وآله قاوم كلّ صور الترهيب والترغيب، فصبر على ما ألحقوا به من الأذى، وردّ كلّ عروضهم وإغراءاتهم، كما رفض أن يأتيهم بأىّ من المعاجز التى اقترحوها عليه لعلمه بأنّهم لا يبحثون فى حقيقة أمرهم عن دليل أو حجّة، فلطالما جرت على يديه صلّى الله عليه وآله المعاجز مراراً وتكراراً أمام أعينهم، بل هم قد أيقنوا بنبوّته ولكنّهم جحدوها كبراً وحسداً وظلماً.

فصال صلى الله عليه وآله بالله عزّ وجلّ، رافضاً كلّ إغراءاتهم فضلًا عن إرهابهم، وتحزّباتهم ضدّه، قائلًا لهم بمحضر عمّه أبى طالب عليه السلام: «يا عمّ، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته».

فأفحمهم صلى الله عليه وآله بموقفه النابع أساساً من الاعتماد على الله تعالى والصولة به.

وهكذا كان أمير المؤمنين سلام الله عليه، الذى لاقى الأمرّين لاسيّما بعد شهادة أخيه المصطفى صلى الله عليه وآله، إلى أن استشهد

هو أيضاً مظلوماً مهضوماً.

ورغم ذلك لم يهن ولم ينكل ولم تبد عليه أمارات الضعف أو الذلّة والخوف، بل استقام متوكّلاً على الله تعالى صائلاً به.

وكذلك الإمام الحسين عليه السلام حين استفرد به العدوّ بعد استشهاد جميع أصحابه وأهل بيته، إذ وُصف بأنّه كان رابط الجأش نيّر الوجه، على ما كان به من قتل ولده وأهل بيته وأصحابه، وكأنّه ينتظر بشوق كثير لحظة العروج إلى الرب الجليل ومغادرة هذه الدنيا الدّنية. فلم تظهر عليه أدنى علامات الذلّ والجبن أو الارتباك والانكسار، حاشاه، بل كانت الرجال لتشدّ عليه، فيشدّ عليها بسيفه، فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها السبع فينهزمون بين يديه كأنّهم جراد منتشر كما تقول الروايات لأنّه عليه السلام كان يصول بالله تعالى على أعدائه.

فكان صلوات الله وسلامه عليه، بالرغم مما تعرّض إليه من مصائب يقول: «هوَّن عليّ ما نزل بى أنّه بعين الله» مع أنه كان يملك من العواطف ما يملكها غيره، بل أكثر وأنقى، فلم يكن سلام الله عليه قاسياً، حاشاه، بل كان يتألّم كثيراً على ما ينزل من المصاب على أهل بيته وأصحابه، ولكنّ صولته بالله تعالى هى التى جعلته كما وصفوه رابط الجأش مشرق الوجه، شجاع القلب، صابراً، لا تهدّه المصائب؛ فسلام على جدّه وأبيه وأمّه وأخيه، وسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً فيشفع لمحبّيه جعلنا الله منهم إن شاء الله تعالى.

الدعاء وحده لا يكفى

حقيقةً هذه الدرجات رفيعة جدّاً، وإذا أردنا أن نرتقيها شيئاً فشيئاً، فلنقتف أثر من نتشرف بكونهم أئمّتنا وقادتنا، ولا ريب أنّ عملية الرقىّ لا تتحقّق بالدعاء وحده، بل هى بحاجة إلى عزم وإصرار فى السعى والاستقامة. وبهذا الصدد نقل الإمام الصادق عن آبائه سلام الله عليهم أنه:

«مرّ موسى عليه السلام برجل رافع يده يدعو، فغاب فى حاجته سبعة أيّام ثمّ رجع إليه وهو رافع يده، فقال: يا ربّ، هذا عبدك رافع يديه إليك يسألك حاجة، ويسألك المغفرة منذ سبعة أيّام، لا تستجيب له، قال: فأوحى الله إليه: يا موسى، لو دعانى حتى تسقط يداه أو تنقطع يداه أو ينقطع لسانه لم أستجب له حتى يأتينى من الباب الذى أمرته».

وهذا يدلّ على أنّ استجابة الدعاء لا- تتحقّق ما لم يأتِ العبد من حيث أمره ربُّه، لا من حيث يريده هو ويرتئيه. ومن جملة أوامره سبحانه وتعالى أنّه قد خلق الأسباب وهدى للسير وفقها والالتزام بها، فلا يصحّ أن يحجم المريض عن مراجعة الطبيب مثلاً، أو يكسل القوىّ عن الكسب وطلب الرزق ويكتفى كلّ منهما بالدعاء. فهناك الكثير من الآيات والروايات التى حثّت على السعى، وعدم الاكتفاء بالدعاء، ومنها ما يحدّد نوع العمل الذى ينبغى أن يُعمل، ف: الداعى بلا عمل كالرامى بلا وتر.

كما أنّ هناك من الأسباب ما يتعلق بتربية النفس وتزكيتها مقدّمة لإستجابة الدعاء؛ فلا يمكن وصول الطالب إلى مرحلة الاجتهاد من دون دراسة، ولا ينبغى له انتظار حدوث المعجزة.

والتزكية وحدها لا توفّر رغيف الخبز، ولا تيسّر الزّواج، كما الدعاء وحده لا يكفى، إنّما الله تعالى يحبّ من عبده أن يكون إلى جنب ذلك ساعياً ومتوكّلاً عليه، ليكرمه بأياديه.

فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أحبّ الخلق إلى الله تعالى لم يكتفِ بمجرّد تحمّل الأذى الذى ألحقه به كفّار قريش، أو الدعاء لهم، وإنّما راح يواصل نشْر الدين فى أوساطهم حتى استخلص من بينهم ثلّة من المؤمنين جمعهم إليه وكوّن بهم حكومته الإلهية.

۲. السؤال من الله تعالى

إنّ من له حاجة لابدّ أن يرجع إلى من بيده قضاؤها. فالذى يصاب بمرض لا يراجع مهندساً بل طبيباً مختصّاً، ومن أراد بناء دار فلا تنفعه مراجعة الخبّاز. ومن كان جائعاً لا يشبعه الخيّاط، وهكذا.

والإمام سلام الله عليه فى هذا الشطر من الدعاء يعلّمنا أن نسأل حوائجنا كلّها من الله تعالى؛ لأنّه مصدر العطاء ومسبّب الأسباب، الذى يملك حوائج خلقه كافّة? بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ.?

۳. التضرّع إلى الله تعالى

وهكذا ينبغى للعبد إذا نزلت به مسكنة أن يتضرّع إلى لله، ولذلك يقول الإمام: وأتضرّع إليك عند المسكنة.

أمّا المسكنة فهى درجة فوق الحاجة ولذلك قُرنت بالتضرّع وهو المبالغة بالإلحاح والتوسّل فى السؤال. فقد يكون الإنسان محتاجاً ويطلب ما يسدّ حاجته أو فقيراً ويسأل عمّا يعينه، أمّا إذا كانت الحاجة ملحّة وشديدة، كمن كان مشرفاً على الموت من شدّة الجوع، فإنّه يتضرّع فى سؤاله ويتذلّل بين يدى مسؤوله حتى يستجيب له.

ولقد عُدّ المسكين أسوأ حالاً من الفقير؛ لأنّ الفقر قد أسكنه، أى قعد به، لأنّ حاجته شديدة وقدرته على استحصال ما يريد ضعيفة؛ ولذا قيل: إنّ الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا. أى إذا ذُكرا معاً اختلف معناهما، لأنّ المسكين أسوأ حالاً من الفقير، أمّا إذا ذُكر أحدهما فقد يكون بمعنى الآخر، أى يكون لكليهما معنى واحد.

وهذه الجملة من الدعاء تحرّض الفرد على أن يكون بالغ الطلب من الله تعالى كلّما زاد فقراً ومسكنة، ولا ينبغى لشدّة وطأتهما أن تفقداه ذكر ربّه، كما هو ديدن كثير من الناس.

فالإنسان المؤمن دائم السعى لمضاعفة إيمانه، ويرى فى الحاجة والمسكنة والاضطرار عوامل دفع وإلجاء أكبر للاستعانة بالله تعالى، ويقول: اللهم اجعلنى أصول بك عند الضرورة وأسألك عند الحاجة وأتضرّع إليك عند المسكنة، نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لمراضيه، إنّه سميعٌ مجيب.

الفهارس

الفهارس

۱. آيات القرآن الكريم.
۲. الأحاديث والروايات الشريفة.
۳. المصادر.
۴. محتويات الكتاب.

فهرس الآيات

الآية ورقمها السورة رقم الصفحة
البقرة
يعرِفونه كما يعرِفون أبناءهم (۱۴۶) ۲۴۶
إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجِعون (۱۵۶) ۳۳۶
ولكم فِى القصاصِ حياة يا أولِى الألبابِ (۱۷۹) ۲۳۳

كتِب عليكم الصِّيام (۱۸۳) ۷۲

فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه (۱۹۴) ۲۴۸

أيّام معدودات (۲۰۳) ۲۵۶

ومِن النّاسِ من يعجِبك قوله فِي الحياةِ الدّنيا (۲۰۴) ۱۷۷

ومِن النّاسِ من يشرِى نفسه ابتِغاء مرضاةِ اللّهِ (۲۰۷) ۱۷۷

كان النّاس امّةً واحِدةً فبعث الله النّبِيين مبشِّرين ومنذِرين (۲۱۳) ۲۷۱

لا تبطِلوا صدقاتِكم بِالمنِّ والأذى (۲۶۴) ۱۳۶

يمحق الله الرِّبا ويربِى الصّدقاتِ (۲۷۶) ۱۳۶

آل عمران

قلِ اللّهمّ مالِك الملكِ تؤتِى الملك من تشاء (۲۶) ۱۲۳، ۱۵۳

قل إن كنتم تحِبّون الله فاتّبِعونِى يحبِبكم الله(۳۱) ۷۲، ۳۶۹

ومكروا ومكر الله والله خير الماكِرين (۵۴) ۲۴۷

وأنفسنا وأنفسكم (۶۱) ۲۲۵

لِم تلبِسون الحقّ بِالباطِلِ وتكتمون الحقّ وأنتم تعلمون (۷۱) ۳۷۱

واعتصموا بحبل الله جميعاً (۱۰۳) ۳۵۸

والكاظِمِين الغيظ والعافِين عنِ النّاسِ واللّه يحِبّ المحسِنِين (۱۳۴) ۲۶۸

ويمحق الكافِرِين (۱۴۱) ۱۳۶

وما كان لِنبِىٍّ أن يغلّ (۱۶۱) ۲۹۱

هم درجات عِند اللهِ (۱۶۳) ۲۶، ۳۵۳

ولا يحسبنّ الّذِين كفروا أنّ ما نملِى لهم خير لأنفسِهِم (۱۷۸) ۳۵۷

فبِما رحمةٍ مِن اللهِ لِنت لهم ولو كنت فظّاً غلِيظ القلبِ لانفضّوا مِن حولِك (۱۵۹) ۲۹۰

النساء

وآتيتم إحداهن قنطارا (۲۰) ۳۲۶

ألم تر إِلى الّذِين يزكّون أنفسهم بلِ الله يزكِّى من يشاء (۴۹) ۳۲۹

وإن تصِبهم حسنة يقولوا هذِهِ مِن عِندِ اللهِ وإن تصِبهم سيِّئة (۷۸) ۱۶۹

ما أصابك مِن حسنةٍ فمِن اللهِ وما أصابك مِن سيِّئةٍ فمِن نفسِك (۷۹) ۱۶۹، ۲۰۸

واتّخذ الله إبراهِيم خلِيلًا (۱۲۵) ۱۲۳

مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا الى هؤلاء (۱۴۳) ۵۲، ۳۰۶

المائدة

حرمت عليكم الميتة والدم ئلحم الخنزير (۳) ۷۲

ومن يتولّ الله ورسوله (۵۶) ۲۲۰

الأنعام

ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون (۲۸) ۲۵۳

الله أعلم حيث يجعل رِسالته (۱۲۴) ۲۴۵، ۲۴۶

وكذلك نولّى بعض الظالمين بعضاً (۱۲۹) ۲۴۴

قل فلله الحجّة البالغة (۱۴۹) ۱۳۰

وأنّ هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم (۱۵۳) ۳۵۸

الأعراف

ثمّ لآتِيَنّهم مِن بين أيدِيهِم ومِن خلفِهِم وعن أيمانِهِم (۱۷) ۱۷۱

ولِباس التّقوى ذلِك خير (۲۶) ۲۶۳

الّذى آتيناه آياتِنا ... فأتبعه الشّيطان (۱۷۵) ۱۱۹

الأنفال

ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب رِيحكم (۴۶) ۳۰۳

التوبة

ويوم حنينٍ إذ أعجبتكم كثرتكم (۲۵) ۱۲۷

قل لن يصِيبنا إلّا ما كتب الله لنا (۵۱) ۷۱، ۷۲

وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله مِن فضلِهِ ورسوله (۵۹) ۱۰۱

ورِضوان مِن اللهِ أكبر (۷۲) ۶۹

وما نقموا إلّا أن أغناهم الله ورسوله مِن فضلِهِ (۷۴) ۱۰۱

هود

وما مِن دابّةٍ فى الأرض إلّا على اللهِ رِزقها (۶) ۳۴۷

إلّا من رحم ربّك ولذلك خلقهم (۱۱۹) ۳۰، ۲۵۲

النحل

وما بِكم مِن نِعمةٍ فمِن الله (۵۳) ۱۵۳

الإسراء

إن أحسنتم أحسنتم لأنفسِكم (۷) ۱۹۷

ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقِك ولا تبسطها كلّ البسطِ (۲۹) ۲۶۳، ۲۶۴

الكهف

أمّا السّفِينة فكانت لِمساكِين يعملون فِى البحرِ فأردت أن أعِيبها (۷۹) ۱۹۳

قل هل ننبِئكم بِالأخسرِين أعمالاً الّذِين ضلّ سعيهم (۱۰۳ ۱۰۴) ۳۶۸

مريم

فهب لِى مِن لدنك ولِيّاً (۵) ۱۴۲

?ويزِيد الله الّذِين اهتدوا هدًى (۷۶) ۳۶۷

طه

وعجلت إليك ربِّ لِترضى (۸۴) ۵۷

وقل ربِّ زِدنِى عِلماً (۱۱۴) ۳۵۵

الأنبياء

ونبلوكم بِالشّرِ والخيرِ فِتنةً (۳۵) ۳۵۳، ۳۵۶

الحجّ

ومِن النّاسِ من يجادِل فِی اللهِ بِغيرِ عِلمٍ ويتّبع كلّ شيطانٍ مرِيدٍ (۳) ۲۵۷، ۳۷۰

كتِب عليهِ أنّه من تولّاه فإنه يضِلّه (۴) ۲۵۷

أيّام معلومات (۲۸) ۲۵۶

النور

والّذِين كفروا أعمالهم كسرابٍ بِقِيعةٍ يحسبه الظّمآن ماءً (۳۹) ۳۷۰

ومن لم يجعلِ الله له نوراً فما له مِن نورٍ (۴۰) ۱۲۹

الفرقان

وقدِمنا إلى ما عمِلوا مِن عملٍ فجعلناه هباءً منثوراً (۲۳) ۵۹

ربّنا هب لنا مِن أزواجِنا وذرِّيّاتِنا قرّة أعينٍ (۷۴) ۱۴۲

قل ما يعبأ بِكم ربِّی لولا دعاؤكم (۷۷) ۱۹، ۷۴، ۸۱، ۱۰۹، ۱۵۸، ۲۱۰، ۳۲۰

الشعراء

ألم نربِّك فِينا ولِيداً ولبِثت فِينا مِن عمرِك سِنِين (۱۸) ۱۲۲

وتِلك نِعمة تمنّها علیّ أن عبّدت بنِی إسرائِيل (۲۲) ۱۲۲

يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بِقلبٍ سلِيم (۸۸ ۸۹) ۲۸۹

النمل

وجحدوا بِها واستيقنتها أنفسهم (۱۴) ۲۳، ۲۲۲، ۲۴۵

القصص

إنّك لا تهدِی من أحببت ولكِنّ الله يهدِی من يشاء (۵۶) ۱۷۰

العنكبوت

أحسِب النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون (۲) ۳۵۷

وإنّ الدّار الآخِرة لهِی الحيوان (۶۴) ۱۳۳

الأحزاب

لقد كان لكم فی رسولِ اللهِ اسوة حسنة (۲۱) ۸۴، ۸۵، ۳۵۶

إنّ الله وملائِكته يصلّون على النّبی يا أيّها الّذين آمنوا (۵۶) ۱۴

سبأ

وقلِيل مِن عِبادِی الشّكور (۱۳) ۱۶۶

فاطر

إنّما يخشى الله مِن عِبادِهِ العلماء (۲۸) ۳۷۱

ص

وقلِيل ما هم (۲۴) ۱۶۶

الزمر

ومن یضلِلِ الله فما له مِن هادٍ (۲۳) ۱۷۰

وبدا لهم مِن اللهِ ما لم یکونوا یحتسِبون (۴۷) ۳۳۳

فصّلت

اِدفع بِالّتِی هِی أحسن فإذا الّذِی بینک وبینه عداوة کأنّه ولِیّ حمِیم (۳۴) ۲۱۰ ۲۱۳

ومّا یلقّاها إلاّ الّذِین صبروا وما یلقّاها إلاّ ذو حظٍّ عظِیم (۳۵) ۲۱۱

الشوری

قل لا أسألکم علیهِ أجراً إلاّ المودّة فِی القربی (۲۳) ۲۲۱

الزخرف

قل إن کان للرحمن ولد فأنا أول العابدین (۸۱) ۳۳۷

الفتح

ید اللهِ فوق أیدِیهِم (۱۰) ۱۳۵

الحجرات

یمنّون علیک أن أسلموا قل لا تمنّوا علیّ إسلامکم (۱۷) ۱۲۸

الذاریات

وما خلقت الجِنّ والإنس إلاّ لِیعبدونِ (۵۶) ۹۰، ۳۵۴

إنّ الله هو الرّزّاق ذو القوّةِ المتِین (۵۸) ۱۵۸

النجم

وما ینطق عن الهوی. إن هو إلاّ وحی یوحی (۳ ۴) ۳۶۹

وأن لیس للانسانِ إلاّ ما سعی (۳۹) ۸۱، ۱۰۹، ۱۵۸، ۱۹۶، ۲۱۰، ۲۵۲، ۳۲۰

الحدید

لا یستوِی مِنکم من أنفق مِن قبلِ الفتح وقاتل (۱۰) ۱۷۲

من ذا الّذِی یقرِض الله قرضاً حسناً فیضاعِفه له (۱۱) ۱۲۸

کمثلِ غیثٍ أعجب الکفّار نباته ثمّ یهِیج فتراه مصفرّاً (۲۰) ۱۲۷

لِکیلا تأسوا علی ما فاتکم (۲۳) ۱۰۹

الحشر

لو أنزلنا هذا القرآن علی جبل لرأیته خاشعاً متصدعاً من خشیة الله (۲۱) ۳۳۷

الصف

یا أیّها الّذین آمنوا لِم تقولون ما لا تفعلون (۲و ۳) ۱۵، ۳۷۰

المنافقون

إذا جاءک المنافقون قالوا نشهد إنّک لرسول اللهِ والله یعلم إنّک لرسوله (۱) ۳۰۶

ولله العِزّة ولِرسولِهِ ولِلمؤمِنین (۸) ۱۱۷

التحریم

فإنّ الله هو مولاه وجِبرِيل وصالِح المؤمِنِين والملائِكة بعد ذلِك ظهِير (۴) ۸۶

الملك

بِيدِهِ الملك وهو على كلِّ شيءٍ قدِير (۱) ۳۸۱

القلم

وإنّك لعلى خلقٍ عظِيم (۴) ۸۵، ۲۳۱، ۲۹۰، ۳۵۵

القيامة

بلِ الإنسان على نفسِهِ بصِيرة ولو ألقى معاذِيره (۱۴ ۱۵) ۲۴

ألم يك نطفةً مِن منِيٍّ يمنى (۳۷) ۱۶۰

البلد

وهديناه النّجدين (۱۰) ۱۷۰

الشمس

قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها (۱۰) ۱۳۳، ۲۵۳

الليل

فأمّا من أعطى واتّقى. وصدّق بالحسنى. فسنيسّره لليسرى (۵ ۱۰) ۱۷۰

الزلزلة

فمن يعمل مِثقال ذرّةٍ خيراً يره. ومن يعمل (۷ ۸) ۲۰۱

القارعة

فأمّا من ثقلت موازِينه. فهو فى عيشةٍ راضِية (۶ ۸) ۵۷

الكوثر

إنّ شانِئك هو الأبتر (۳) ۲۰۷

النصر

إذا جاء نصر اللهِ والفتح ورأيت النّاس يدخلون فى دِينِ اللهِ أفواجاً (۱ ۲) ۱۷۱

فهرس الأحاديث

أهوى أخيك معنا؟ ۶۳

ائتوا بحطب ۳۳۲

إتّق الله فى نفسك ونازع الشيطان قيادك. ۶۵، ۱۶۲

أَحَقُّ يَوْم بِأَنْ يُسَرَّ الْعَبْدُ فيه يَوْمٌ يَرْزُقُهُ اللَّهُ صَدَقَاتٍ وَمَبَرَّات ۱۳۷

احمل فعل أخيك على سبعين محملاً ۲۱۸

أدائهم الأمانة لمعاوية وخيانتكم، وبطاعتهم له ومعصيتكم لى ۲۷۱

إذا حضرت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلاً بالله ۳۵۶

إذا دخل أحدكم بيته فليسلّم فإنّه ينزل البركة وتؤنسه الملائكة ۳۱۷

إذا رأيت شحّاً مطاعاً وهوىً متّبعاً ... فعليك بنفسك ودع عنك ۲۵۷

إذا صعدت روح المؤمن إلی السماء تعجّبت الملائکة ۲۵

إذا صنع الیک معروف فاذکره، إذا صنعت معروفاً فانسه ۲۷۸

إذا ظهرت البدع فعلی العالم أن یظهر علمه، فإن لم یفعل ۲۹

إذا کان لیلة الجمعة نزل من السماء ملائکة بعدد الذرّ ... ۱۴

أذلّ عزیزنا ۱۵۱

أزهد الناس فی العالِم بنوه ۲۶۵

اسْتَغْنِ عَنِ النَّاسِ ۱۰۷

أشدّ العبادة الورع ۹۳

أعظم الناس حسرة یوم القیامة من وصف عدلاً ثم خالفه ۲۰۳

اعلم أنّه تطلب الدنیا والموت یطلبک ۲۷۵

اعْمَلْ فَاحْمِلْ عَلی رَأسک ۱۰۷

أفضل الأعمال الحبّ فی الله والبغض فی الله ۳۹

أفضل الأعمال الصلاة علی محمد وآله، وسقی الماء، وحبّ علی ۳۹

أفضل الأعمال الصلاة لأوّل وقتها ۳۹

آفضل الآعمال بعد الصلاة إدخال السرور فی قلب المؤمن ۳۹

أفضل الأعمال ما عُمل بالسنّة ۴۱

افضل الجهاد کلمة حقّ عند إمام(سلطان) جائر ۳۲۳

أفضل العبادة إدمان التفکّر فی الله وفی قدرته ۹۲

أفضل مایوضع فی المیزان یوم القیامة الصلاة علی محمد وأهل بیته ۱۴

أکرم عشیرتک فإنّهم جناحک الذی به تطیر ۲۹۳

ألا وإنّ الله سائلکم عن أعمالکم حتی مسّ أحدکم ثوب أخیه ۲۰۱

ألا وإنّ لکلّ مأموم إماماً یقتدی به ویستضیء بنور علمه ۲۵۴

ألا وإنّکم لا تقدرون علی ذلک ولکن أعینونی ۲۵۵

إلهی کفی لی عزّاً أن أکون لک عبداً، وکفی بی فخراً ۱۱۲

إلهی ما عبدتُک خوفاً من نارک ولا طمعاً فی جنّتک ولکن ۵۲،۷۰

إلهی، تعرّض لک فی هذا اللیل المتعرّضون ۳۶۲

ألینهم عریکة ۲۹۰

أما أنّه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ۳۵۵

أما کنت تری أن فیهم من تتقاصر نفسه ۳۴، ۳۵

أمّا مع الحمد فلا و الله ۱۳۲

إنّ أفضل الأعمال عند الله ما عُمل بالسنّة وإن قلّ ۴۰

إنّ الإیمان قید الفتک، فلا یفتک مؤمن ۴۲

إنّ الشیطان لیجری من ابن آدم مجری الدم ۱۷۶، ۲۲۴

إنّ القوم لم يعطوا أحلامهم بعد ۲۲۰
إنّ الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدى! أكنت عالماً؟ ۱۳۱
إنّ الله جميل يحبّ الجمال ۲۰
إنّ الله أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط إذ كانت الصلاة على محمد وآله ۱۴
إِنَّ اللَّهَ قَالَ: لا تُبْطِلُوا صَدَقاتكُمْ بالْمَنِّ وَالأَذى، وَلَمْ يَقُلْ لا تُبْطلُوا بالْمَنّ عَلَى ۱۳۷
إنّ الله قد فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعَفة الناس كيلا يتبيّغ ۳۱۴
إنّ الله فوّض إلى المؤمن أموره كُلّها ولم يفوّض إليه أن يُذل ۱۱۷
إنّ الله لم يأخذ على الجهّال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ۳۷۲
إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك ۳۲۷
إنّ أمير المؤمنين نهى بالكوفة عن الصلاة فى خمسة مساجد ... ۳۰۵
إنّ أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام ۳۱۷
أن تترك المراء وإن كنت محقّاً ۳۰۰
إن قُلْتُ لك تفْعلُ؟ ۳۶
إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة ۶۸
إنّ ل (لا إله إلا الله) شروطاً، وإنّى وذرّيتى من شروطها ۳۶۸
إنّ لله عزّ وجلّ لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه ۲۶۲
إِنَّ مَاقَلَّ وكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وأَلْهَى ۱۰۳
إنّ من السنّة أن تصلّى على محمّد وعلى أهل بيته فى كلّ جمعة ألف مرّة ۱۴
أن يعرفوه بالستر والعفاف والكفّ عن البطن والفرج ۱۸۲
أن يكون ساتراً لعيوبه ۱۸۲
أنت حرّ لوجه الله تعالى، أما إنّك لم تتعمّده ۲۶۶
أنت مرضىّ عندنا ۱۸۷
إنّما الأعمال بالنيات ۱۱۳
إنّما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق ۱۴۵
إنّما سألتك كم ترجو؟ ۲۴۶
إنّه قد نبّأنى اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض كإصبعىّ ۱۷۳
إنّى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا ۳۶۶
إنّى تارك فيكم ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدى أبداً ۱۷۵
إنّى لأستريح إذا رأيتك ۶۴
أوصيكما وجميع ولدى وأهلى ومن بلغه كتابى بتقوى الله ۲۷۴
إيّاكم والبطنة، فإنّها مفسدة للبدن، ومورثة للسقم ۲۴۰
إيّاكم والكذب، فإنّ الكذب يهدى إلى الفجور ۳۰۵
إيّاكم والمحقّرات من الذنوب، فإنّ لكلّ شىء طالباً ۳۳۲

أیجیء أحدکم إلی أخیه فیدخل یده فی کیسه؟ ۲۲۰
أیعجز أحدکم اذا قارف هذه السیّئة أن یستر علی نفسه ۲۸۱
الإیمان قیّد الفتک ۲۲، ۲۴۸
أیّها الناس إنّ أنفسکم مرهونة بأعمالکم ففکّوها باستغفارکم ۲۰۱
أیّها الناس إنّی تارک فیکم الثقلین ۱۷۳
بالعدل قامت السماوات والأرض ۲۶۴
بل اجعلها هکذا، فلا تقبض أصابعک إلی کفّک ... فلا إفراط ولا ۲۶۴
بل قولوا اللهم صلّ علی محمد وعلی آل محمد. ۱۴
بلغنی أنّک کنت تذبح لهم فی کلّ منزل شاة ۳۴
بلی یابنیّ، ولکنّی اُجلّ الله تعالی أن أحلف به یمین صبر ۲۵۵
تحبّ بقاءهم حتی یخرج کراک؟ ۲۷۳
الجار ثم الدار ۳۳۳
جدّدت أربعة مساجد بالکوفة فرحاً لقتل الحسین ۳۰۵
جعلوک قطباً أداروا بک رحی مظالمهم ۲۷۳
الْجِیرَانُ ثَلاثَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ ... وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقَّانِ ۱۳۴
جیفة باللیل بطّال بالنهار ۱۰۷
حاسبوا أنفسکم قبل أن تحاسَبوا، ووبّخوها قبل أن توبّخوا ۲۰۳
الحرب خدعة ۲۴۸
الخُلق منحة یمنحها الله خلقه، فمنه سجیّة ومنه نیّة ۲۹۴
الخیر عادة ۲۵
خیرک إلینا نازل وشرّنا إلیک صاعد ۳۳۷
الداعی بلا عمل کالرامی بلا وتر ۱۹، ۳۸۰
دین الله لا یعرف بالرجال بل بآیة الحق، فاعرف الحقّ ۱۷۵
رحم الله عبداً أحیی أمرنا ۳۱
الرضا بمکروه القضاء من أعلی درجات الیقین ۷۱
رُفع عن أمّتی تسع ... والحسد والطیرة و ۲۱۴
الساتر لجمیع عیوبه ۱۸۲
سوادٌ فی الدارین ۱۰۶
سیاسة العدل ثلاث: رقّة فی حزم، واستقصاء فی عدل ۲۶۵
صاحب السجیّة هو مجبول لا یستطیع غیره ۲۹۵
صلاح ذات البین أفضل من عامّة الصلاة والصیام ۲۷۴
طوبی لمن ذلّ فی نفسه، وطاب کسبه، وصلحت سریرته ۳۰۲
العدل أساس به قوام العالم ۲۶۵

علی حبّه ایمان وبغضه کفر ۳۶۹
علی مع الحق والحق مع علی، اللهم أدر الحق معه حیثما دار ۳۲۴
علی مع الحق والحق مع علی، یدور معه حیثما دار ۵۷، ۱۷۴
العمری وابنه ثقتان، فما أدّیا إلیک عنی فعنّی یؤدّیان ... فإنهما الثقتان المأمونان ۲۲۶
غرمت علی زرعک هذا؟ ۲۴۶
فَاخْرُجْ منْ جمیع مَا اکْتَسَبْتَ فی دیوانهمْ ... وَأَنَا أَضْمَنُ لَکَ الجَنَّةَ ۳۶
فاخزن لسانک کما تخزن ذهبک وورقک ۲۴۹
فالطفوا فی حاجتی کما تلطفون فی حوائجکم ۹۶
فإنّ الشقی من حرم غفران الله فی هذا الشهرالعظیم ۳۶۶
فإنّک امرؤ ملبوس علیک؛ إن ۱۷۵
فإنّک لا تدری ما اسمک غداً ۲۷۶
فإنّما هی عزمة ۲۰۳
الفقر فقران: فقر الدنیا وفقر الآخرة ... وذاک الهلاک ۱۰۰
فکم ترجو أن تربح؟ س ۲۴۶
فلیأت کلّ انسان بما قدر علیه ۳۳۲
فمن أحبّ بقاءَهم فهو منهم ۲۷۳
فهم والجنّة کمن قد رآها ۱۹۶، ۱۹۹، ۲۰۰، ۲۰۱، ۲۰۴
فوالذی فلق الحبّة ویرأ النسمة إنّه لعهد النبی إلیّ أن لا یحبّنی الا مؤمن ۳۶۹
فیهم من یحبّ أن یفعل فعالک فلا یبلغ مقدرته ذلک فتتقاصر ۳۴، ۳۵
القاتل والمقتول فی النار ۲۴۴
قد أقبل إلیکم شهر الله بالبرکة والرحمة والمغفرة ۳۶۶
قد رکز بین اثنتین ۱۱۴
قد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحبّ أن تبلغوا معی إلیه حتی تسمعوا ردّی علیه ۲۶۷
قلیل تدوم علیه أرجی من کثیر مملول ۳۴۰
قولوا اللهمّ صلّ علی محمد وآل محمد کما صلّیت علی إبراهیم وآل إبراهیم ۱۴
کاد الفقر أن یکون کفرا ۱۰۸
کشف لی عن برهوت فرأیت شیبویه وحبتر یعذّبان فی جوف تابوت ۲۵۳
کلّ دعاء محجوب عن الله حتی یصلّی علی محمّد وأهل بیته ۱۳
کلّ شیء منک حسن جمیل ما خلا شیئاً واحداً ۲۷۳
کلّ عزیز داخل تحت القدرة فذلیل ۱۱۲
کونوا دعاة للناس بالخیر بغیر ألسنتکم ۲۹۲
لا تزالون فیها ما عشتم فأحدثوا لله شکرا ۱۰۱
لا تصلّوا علیّ الصلاة البتراء ۱۴، ۱۵

لا تعنهم على بناء مسجد ۲۷۴
لا ذليل واللهُ معزُّك ولا مغلوب واللهُ ناصرك ۱۵۲
لا قرب بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض ۱۶۱، ۳۶۵
لا قول إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنيّة، ولا قول ولا عمل ولا نيّة إلا بإصابة السنّة ۵۵
لا يحلّ مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه ۲۰۱
لا يقاس بآل محمّد من هذه الأمّة أحد ۱۷۵
لا يقولنّ أحدكم اللهمّ إنى أعوذ بك من الفتنة؛ لأنّه ليس أحد إلا ۳۵۷
لستُ من جهّالها ۲۹۷
لعلك قبّلت، أو غمزت أو نظرت ۲۸۱
لَعَمْرى إِنَّكَ حَقيقٌ بأَنْ تُسَرَّ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَحْبَطْتَهُ ۱۳۷
لعن الله من خالفك ۳۶۴
لعن الله من قتلك ۳۶۴
اللهم اجعلنى من أهل الجنّة التى حشوها البركة ۶۹
اللَّهُمَّ ارْزُقْ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّدٍ الكَفَاف ۱۰۳
اللهم إنّى أعوذ بك من الكفر والفقر ۱۰۸
اللهم اهد قومى فإنّهم لا يعلمون ۳۸۱
لو كانوا موالين لنا لواسيناهم بالدُّقّة ۱۳۵
لو وجدتُ شابّاً من شبّان الشيعة لا يتفقّه فى دينه لضربته ۸۳
لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ۳۷۸
لولا أنّ بنى أميَّة وَجَدوا مَنْ يَكْتُبُ لَهُمْ لما سَلبونا حَقَّنا ۳۶
لولانا ما عُبد الله ۳۵
ليس أحد من نساء المسلمين أعظم رزية منك ۳۲۵
لَيسَ الْعبادةُ كَثْرةَ الصِّيام والصَّلاة وإنَّمَا الْعبادةُ الْفكْرُ فى اللَّه ۹۳
ليس منّا من لم يحاسب نفسه فى كلّ يوم ۳۶، ۱۸۸، ۲۰۳،۲۵۲
المؤمن ينبغى أن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً ۱۱۷
المؤمنون لأنفسهم متّهمون ۱۹۷
ما أفضل الأعمال فى هذا الشهر ۱۹۵
ما انتصر الله من ظالم إلّا بظالم وذلك قول الله عزّ وجلّ ۲۴۴
ما أوذى نبى مثلما أوذيت ۳۷۷
مَا لى أرَاكَ مَسْرُوراً؟ ۱۳۷
ما من أيّام العمل الصالح فيها أحبّ إلى الله من أيّام العشر ۲۵۶
ما من شىء يُعبَد الله به يوم الجمعة أحبّ إلىّ من الصلاة على محمّد وآل محمّد ۱۴
ما وضع فى ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخُلُق ۲۳۹

المأمون علی الدین والدنیا ۲۲۵، ۲۲۶

محمّد ابنی من صلب أبی بکر ۲۵۳

مداراة الناس نصف الإیمان والرفق بهم نصف العیش ۲۳۲

مرّ موسی ۳۷۹

مسکین ابن آدم ... تؤلمه البقّة وتقتله الشرقة، وتنته العرقة ۱۶۰

المفتی علی شفیر جهنم ۱۲۰

ملعون ملعون من ألقی کَلّه ... ۱۰۶

ملعون من ألقی کَلّه علی الناس ۱۰۶

من ازداد علماً، ولم یزدد هدی لم یزدد من الله إلا بعداً ۱۲۰

من أعان ظالماً سلّطه الله علیه ۲۴۴

من التواضع أن ترضی بالمجلس دون المجلس ۲۹۹

من بنی مسجداً بنی الله له بیتاً فی الجنّة ۲۷۴

من تواضع لغنیّ لأجل غناه ذهب ثلثا دینه ۱۱۳

مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِی فَلَیْسَ منّی ۸۷

من صلّی صلاةً ولم یصلّ فیها علیّ وعلی أهل بیتی لم تقبل منه ۱۵

من کانت له إلی الله عزّ وجلّ حاجة فلیبدأ بالصلاة علی محمد وآله ۱۴

مَنْ لَمْ یَسُسْ نَفْسَهُ أضَاعَها ۲۵۴

من لم یقدر علی ما یکفّر به ذنوبه فلیکثر من الصلاة علی محمد ۱۴

من مات مدارياً، مات شهیدا ۲۳۱

من وضع نفسه مواضع التهمة فلا یلومنّ من أساء به الظنّ ۲۲۴

من یقوی علی عبادة علیّ بن أبی طالب علیه السلام ۱۲۴

من ینجیک منّی یا غورث ۳۶۳

المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقی ۲۵۴

نحن الحبل ۳۵۸

نحن السبیل فمن أبی فهذه السبل فقد کفر ۳۵۸

نحن أهل البیت لا یقاس بنا أحد ۳۱۵

نحن صنائع الله ۲۲۸

نعمتان مجهولتان: الصحّة والأمان ۲۳۶

النفس مجبولة علی سوء الأدب ... ومن أعان نفسه فی هوی نفسه فقد ۲۵۴

هَاهْ قَدْ أَبْطَلْتَ برَّکَ بإِخْوَانکَ وَصَدَقَاتکَ ۱۳۷

هکذا تجتمع الذنوب ۳۳۲

هوّن علیّ ما نزل بی أنّه بعین الله ۳۷۹

هیهات منّا الذلّة ۱۱۴، ۱۵۱

والله لأدعونّ الله علیک فی کلّ صلاة ۳۲۶
والله لقد خشیت أن یدال هؤلاء القوم ۲۷۱
وإن تداکّت علیه المصائب لم تکسره ۳۵۱
وأن تخلّد فیها المعاندین ۲۴۵
وأن تسلّم علی من تلقی ۳۰۰
وأن لا تحبّ أن تحمد علی التقوی ۳۰۱
وإنّ لنفسک علیک حقّاً ۱۰۷
وأنت مسدّد للصواب بمنّک ۲۵۷
وأنفق الفضل من ماله، وأمسک الفضل من لسانه ۳۰۲
وإنّما هی نفسی أروّضها بالتقوی ۲۵۲
وتنجینی من تعرّض السلاطین ۳۶۲
الورع عن محارم الله ۱۹۵، ۲۰۰
وصلّ اللهم علی الدلیل إلیک ۱۲۶
وفیم خصومتهم؟ ۱۷۵
وکَمْ تَضْرِبُهُ؟ ۱۶۲
ولا أقول کهاتین ۱۷۳
ولا ینجّی منک إلا التضرّع إلیک ۱۵۸
ولعلّ الذی أبطأ عنّی هو خیر لی لعلمک بعاقبة الأمور ۱۰۹، ۱۸۸
ولقد شهدنا فی عسکرنا هذا، أقوامٌ فی أصلاب الرجال وأرحام النساء ۶۳
یَا أَبَا الصَّبَّاحِ هَذَا الْفَتْکُ، وقَدْ نَهَی رَسُولُ الله عَن الْفَتْک ۴۳
یا أباذرّ لیکن لک فی کلّ شیء نیّة صالحة حتی فی النوم والأکل ۱۲۳
یا أخی إنّک کنت قد قلتَ ما فیَّ فأستغفرُ الله منه ۲۶۸
یَا إِسْحَاقُ إِنْ کُنْتَ تَدْرِی حَدَّ مَا أَجْرَمَ فَأَقِمِ الْحَدَّ فِیهِ ولا تَعَدَّ ۱۶۲
یا باسط الیدین بالعطیة ۳۶، ۱۳۶
یا بنیّ قم فأعطها أربعمئة دینار ۲۵۵
یا حسین وتذلّ المؤمنین ۳۳
یا علی إنّ الدنیا لو عدلت عند الله تبارک وتعالی جناح بعوضة ۱۲۷
یا علی أنت قاضی دینی ۱۷۷
یا فلان، هذه زوجتی فلانة ۲۲۴
یا محمد بن أبی بکر، انظر إذا عرقب الجمل فأدرک أختک فوارها ۴۴
یا من استصلح فاسدهم بالتوبة ۷۵
یا من أظهر الجمیل وستر القبیح ۲۷۷
یا موسی، لو دعانی حتی تسقط یداه أو تنقطع یداه أو ینقطع ۳۸۰

یأبی الله لنا ذلک ورسوله والمؤمنون ۱۵۲
یاعلیّ نوم العالم أفضل من عبادة العابد الجاهل ... ۱۱۶
یاموسی قل له: لا تشقّ قمیصک ولکن اشرح لی من قلبک ۲۵۳
یتعلّم علومنا ویعلّمها الناس ۳۱، ۴۸
یجاء یوم القیامة بالرجل الحسن الذی قد افتتن بحسنه ۱۳۰
یَحْملُ هَذَا الدِّینَ فی کُلِّ قَرْن عُدُولٌ یَنْفُون عَنْهُ تَأویلَ الْمُبْطلینَ ۸۶
یقرأون القرآن لا یتجاوز تراقیهم ۱۸۹

فهرس المصادر

القرآن الکریم
نهج البلاغة
الصحیفة السجادیة
أ
الآحاد والمثانی أبو بکر أحمد بن عمرو الضحّاک الشیبانی/ ت۲۸۷ ه/ ط. دار الحریة الریاض.
إحیاء علوم الدین أبو حامد محمد بن محمد الغزالی الشافعی الطوسی/ ت۵۰۵ ه/ ط. لجنة نشر الثقافة الإسلامیة مصر.
الإختصاص أبو عبدالله محمد بن النعمان العکبری البغدادی، الشیخ المفید/ ت۴۱۳ ه/ ط. مؤسّسة النشر الإسلامی قم.
الأربعین فی إمامة الأئمة الطاهرین محمد طاهر بن محمد حسین الشیرازی/ ت۱۰۹۸ ه/ ط. مطبعة الأمیر قم.
الإرشاد فی معرفة حجج الله علی العباد أبو عبدالله محمد بن النعمان العکبری، (الشیخ المفید) ت۴۱۳ ه/ ط. مطبعة دار المفید قم.
أسد الغابة فی معرفة الصحابة عزّ الدین أبو الحسن علی إبن أبی الکرم الشیبانی، ابن الأثیر/ ت ۶۳۰ ه/ ط. انتشارات إسماعیلیان طهران.
أضواء علی السنّة المحمّدیة محمود أبو ریة/ معاصر/ ط. دار الکتاب الإسلامی قم.
إعلام الوری بأعلام الهدی أبو علی الفضل بن الحسن الطبرسی/ ت۵۴۸ ه/ ط. مؤسّسة آل البیت ?لإحیاء التراث قم.
إقبال الأعمال السید رضی الدین علی بن موسی بن جعفر بن طاووس/ ت۶۶۴ ه/ ط. مکتب الاعلام الإسلامی قم.
الأمالی أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسی/ ت ۴۶۰ ه/ ط. دار الثقافة قم.
أمالی المفید أبو عبدالله محمد بن النعمان العکبری، الشیخ المفید/ ت۴۱۳ ه/ ط. مؤسّسة النشر الإسلامی قم.
الإمامة والسیاسة أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتیبة الدینوری/ ت۲۷۶ ه/ ط. انتشارات الشریف الرضی قم.
ب
بحار الأنوار محمد باقر بن محمد تقی المجلسی/ ت۱۱۱۱ ه/ ط. مؤسّسة الوفاء بیروت.
البلد الأمین إبراهیم بن علی الکفعمی/ ت۹۰۵ ه/
بیت الأحزان الشیخ عبّاس بن محمد رضا القمّی/ ت۱۳۵۹ ه/ ط. دار الحکمة قم.
ت
تاریخ ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمی المالکی/ ت ۸۰۸ ه/ ط. دار إحیاء التراث العربی بیروت.
تاریخ أسماء الثقات عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهین/ ت۳۸۵ ه/ ط. دار السلفیة کویت.
تاریخ بغداد أبو بکر أحمد بن علی الخطیب البغدادی/ ت۴۶۳ ه/ ط. دار الکتب العلمیة بیروت.

تاریخ مدینة دمشق أبو القاسم علی بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعی، إبن عساکر/ ت ۵۷۱ ه/ ط. دار الفکر بیروت.
تاریخ الطبری أبو جعفر محمد بن جریر الطبری/ ت ۳۱۰/ ط. مؤسّسة الأعلمی بیروت.
تحف العقول أبو محمد الحسن بن علی بن الحسین بن شعبة الحرّانی/ من أعلام القرن الرابع الهجری/ ط. مؤسّسة النشر الإسلامی قم.
التحقیق فی أحادیث الخلاف أبو الفرج عبدالرحمن بن علی بن محمد، إبن الجوزی/ ت۵۹۷ ه/ ط. دار الکتب العلمیة بیروت.
تذکرة الفقهاء الحسن بن یوسف بن المطهر، العلاّمة الحلّی/ ت۷۲۶ ه/ ط. مؤسّسة آل البیت ?لإحیاء التراث قم.
تفسیر العیّاشی أبو النظر محمد بن مسعود بن عیّاش السلمی السمرقندی العیّاشی/ ت القرن الرابع الهجری/ ط. المکتبة العلمیة الإسلامیة طهران.
تفسیر القرطبی أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاری القرطبی/ ت ۶۷۱ ه/ ط. دار إحیاء التراث العربی بیروت.
تفسیر القمّی أبو الحسن علی بن إبراهیم القمّی/ ت۳۲۹/ ط. مؤسّسة دار الکتاب قم.
التفسیر الکبیر «مفاتیح الغیب» فخر الدین محمدبن عمر الرازی/ ت۶۰۶ ه/ ط. إحیاء التراث العربی بیروت.
تفسیر مجمع البیان أبو علی الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسی/ ت ۵۶۰ ه/ ط. مؤسّسة الأعلمی بیروت.
التمحیص أبو علی محمد بن همام الإسکافی/ ت۳۳۶ ه/ ط. مدرسة الإمام المهدی ?قم.
تهذیب الأحکام أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسی/ ت ۴۶۰ ه/ ط. دار الکتب الإسلامیة طهران.
تهذیب الکمال جمال الدین أبو الحجّاج یوسف المزّی/ ت ۷۴۲ ه/ ط. مؤسّسة الرسالة بیروت.

ث

ثواب الأعمال أبو جعفر محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمّی، الشیخ الصدوق/ ت ۳۸۱ ه/ ط. منشورات الرضی قم.

ج

الجامع الصغیر جلال الدین عبدالرحمن بن أبی بکر السیوطی/ ت۹۱۱ ه/ ط. دار الفکر بیروت.
جامع المقاصد علی بن الحسین الکرکی/ ت ۹۴۰ ه/ ط. مؤسّسة آل البیت ?لإحیاء التراث قم.
الجواهر السنیة فی الأحادیث القدسیّة محمد بن الحسن بن علی بن الحسین الحرّ العاملی/ ت۱۱۰۴ ه/ ط. مکتبة المفید قم.
جواهر العقدین فی فضل الشرفین نور الدین أبو الحسن علی بن جمال الدین السمهودی/ ت۹۱۱ ه/ ط. دار المعارف بغداد.
جواهر الکلام محمدحسن بن باقر بن عبدالرحیم الجواهری/ ت۱۲۶۶ ه/ ط. دار الکتب الإسلامیة طهران.

ح

الحدائق الناضرة یوسف بن أحمد بن إبراهیم الدرازی البحرانی/ ت۱۱۸۶ ه/ ط. مؤسّسة النشر الإسلامی قم.

خ

الخصال أبو جعفر محمد بن علی بن الحسین بن بابویة القمّی، الشیخ الصدوق/ ت ۳۸۱ ه/ ط. مؤسّسة النشر الإسلامی قم.

د

الدرایة فی تخریج أحادیث الهدایة أبو الفضل أحمد بن علی بن حجر العسقلانی/ ت۸۵۲ ه/ ط. دار المعرفة بیروت.
الدعوات أبو الحسن سعید بن هبة الله، المعروف بقطب الدین الراوندی/ ت۵۷۳ ه/ ط. مدرسة الإمام المهدی ? قم.

ر

رجال الخاقانی أبو الحسن علی بن حسن بن عبّاس بن سالم الخاقانی/ ت ۱۳۳۴ ه/ ط. مکتب الإعلام الإسلامی قم.
رجال الکشی «إختیار معرفة الرجال» لشیخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن بن علی الطوسی/ ت ۴۶۰ ه/ ط. مؤسّسة آل البیت ?قم.
رسالة فی العدالة للشهید الثانی زین الدین بن علی بن أحمد الجبعی العاملی/ ت ۹۶۵ ه/

روضة الواعظین أبو علی محمد بن أحمد بن علی الفتّال النیسابوری/ ت ۵۰۸ ه/ ط. منشورات الرضی قم.

س

سنن الدارقطنی علی بن عمر بن أحمد البغدادی الدارقطنی/ ت۳۸۵ ه/ ط. دار الکتب العلمیة بیروت.

ش

شجرة طوبی محمد مهدی بن عبدالهادی المازندرانی الحائری/ ت ۱۳۸۵ ه/ ط. المطبعة الحیدریة النجف الأشرف.

شرح نهج البلاغة عزّ الدین عبدالحمید بن أبی الحدید المعتزلی/ ت۶۵۶ ه/ ط. دار إحیاء الکتب العربیة مصر.

الشفا بتعریف حقوق المصطفی ?أبو الفضل عیاض بن موسی القاضی الیحصبی/ ت ۵۴۴ ه/ ط. دار الفکر بیروت.

ص

الصواعق المحرقة شهاب الدین أحمد بن حجر الهیثمی/ ت ۹۷۳ ه/ ط. مکتبة القاهرة مصر.

ع

عدّة الداعی أحمد بن محمد بن محمد بن فهد الأسدی الحلّی/ ت ۸۴۱ ه/ ط. مکتبة الوجدانی قم.

علل الدارقطنی علی بن عمر بن أحمد البغدادی/ ت۳۸۵ ه/ ط. دار طیبة الریاض.

عوالی اللئالی العزیزیة محمد بن علی بن إبراهیم الاحسائی، إبن أبی جمهور/ ت ۸۸۰ ه/ ط. مطبعة سید الشهداء قم.

عیون أخبار الرضا ?أبو جعفر محمد بن علی بن الحسین بن بابویة القمّی، الشیخ الصدوق/ ت ۳۸۱ ه/ ط. مؤسّسة الأعلمی بیروت.

عیون الحکم والمواعظ کافی الدین أبو الحسن علی بن محمد اللیثی الواسطی/ من أعلام القرن السادس الهجری/ ط. دار الحدیث قم.

غ

غرر الحکم ودرر الکلم أبو الفتح عبدالواحد بن محمد بن عبدالواحد الآمدی/ ت ۵۵۰ ه/ ط. مکتب الإعلام الإسلامی قم.

ف

فرحة الغری السید غیاث الدین عبدالکریم بن طاووس/ ت ۶۹۳ ه/ ط. مرکز الغدیر للدراسات الإسلامیة قم.

الفضائل أبو الفضل سدید الدین شاذان بن جبرائیل بن إسماعیل إبن أبی طالب القمّی، إبن شاذان/ ت ۶۶۰ ه/ ط. المکتبة الحیدریة النجف الأشرف.

فضائل الأشهر الثلاثة محمد بن علی بن الحسین بن موسی بن بابویة القمّی، الشیخ الصدوق/ ت ۳۸۱ ه/ ط. دار المحجّة البیضاء بیروت.

فقه الرضا ?المنسوب للإمام علی بن موسی الرضا، ?ط. مؤسّسة آل البیت ?لإحیاء التراث قم.

فقه القرآن أبوالحسن سعید بن هبة الله، المعروف بقطب الدین الراوندی/ ت ۵۷۳ ه/ ط. مطبعة الولایة قم.

فوائد الأصول محمد علی الکاظمی الخراسانی/ ت ۱۳۵۵ ه/ ط. مؤسّسة النشر الإسلامی قم.

فیض القدیر فی شرح الجامع الصغیر محمد عبدالرؤوف المنادی الشافعی/ ت ۱۳۳۱ ه/ ط. دار الکتب العلمیة بیروت.

ق

قرب الإسناد أبو العبّاس عبدالله بن جعفر الحمیری البغدادی/ ت ۳۰۰ ه/ ط. مؤسّسة آل البیت ?لإحیاء التراث قم.

ک

الکافی أبو جعفر محمد بن یعقوب بن إسحاق الکلینی/ ت۳۲۸ ه/ ط. دار الکتب الإسلامیة طهران.

کامل الزیارات أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولویة القمّی/ ت۳۶۸ ه/ ط. مؤسّسة نشر الفقاهة قم.

کشف الغمّة عن جمیع الأمّة عبدالوهاب بن أحمد الشعرانی/ ت۹۷۳ه/ ط. المطبعة المیمنیة مصر.

کشف الغمّة فی معرفة الأئمه أبو الحسن علی بن عیسی بن أبی الفتح الإربلی/ ت۶۹۳ ه/ ط. دار الأضواء بیروت.

کشف اللثام بهاء الدین محمد بن الحسن بن محمد الأصفهانی، الفاضل الهندی/ ت۱۱۳۷ه/ ط. مؤسّسة النشر الإسلامی قم.

کنز العمّال علاء الدین علی المتقی بن حسام الدین الهندی/ ت۹۷۵ه/ ط. مؤسّسة الرسالة بیروت.

کنز الفوائد أبو الفتح محمد بن الکراجکی/ ت۴۴۹ه/ ط. مکتبة المصطفوی قم.

ل

لسان العرب أبو الفضل جمال الدین محمد بن مکرم بن منظور الأفریقی المصری/ ت۷۱۱ه/ ط. دار إحیاء التراث العربی بیروت.

اللهوف فی قتلی الطفوف علی بن موسی بن طاووس الحسینی/ ت۶۶۴ه/ ط. أنوار الهدی قم.

م

مجمع الزوائد نور الدین علی بن أبی بکر الهیثمی/ ت۸۰۷ ه/ ط. دار الکتب العلمیة بیروت.

المحاسن أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقی/ ت۲۷۴ ه/ ط. دار الکتب الإسلامیة طهران.

مدینة المعاجز السید هاشم بن سلمان البحرانی/ ت۱۱۰۷ه/ ط. مؤسّسة المعارف الإسلامیة قم.

المزار الکبیر محمد بن جعفر بن علی بن جعفر المشهدی/ ت۶۱۰ه/ ط. مؤسّسة النشر الإسلامی قم.

مستدرک سفینة البحار علی بن محمد بن إسماعیل النمازی/ ت۱۴۰۵ه/ ط. مؤسّسة النشر الإسلامی قم.

مستدرک الوسائل میرزا حسین بن محمد تقی بن علی محمد النوری الطبرسی/ ت۱۳۲۰ه/ ط. مؤسّسة آل البیت ?لإحیاء التراث قم.

مسکّن الفؤاد زین الدین علی بن أحمد الجبعی العاملی، الشهید الثانی/ ت۹۶۵ه/ ط. مؤسّسة آل البیت ?لإحیاء التراث قم.

مشکاة الأنوار أبو الفضل علی بن رضی الدین الطبرسی/ ت۵۴۸ ه/ ط. دار الحدیث قم.

مصباح الکفعمی تقی الدین إبراهیم بن علی الکفعمی/ ت۹۰۵ه/ ط. دار الرضی قم.

معجم الفروق اللغویّة الحسن بن عبدالله بن سهل بن مهران البغدادی، أبو هلال العسکری/ ت۳۹۵ ه/ ط. مؤسّسة النشر الإسلامی قم.

معجم المؤلفین د. عمر رضا کحالة/ معاصر/ ط. دار إحیاء التراث العربی بیروت.

مفاتیح الجنان الشیخ عبّاس بن محمد رضا القمّی/ ت۱۳۵۹ه/

مقاتل الطالبیین علی بن الحسین بن محمد القرشی الأموی الأصفهانی/ ت۳۵۶ه/ ط. مؤسّسة دار الکتاب قم.

المقنع محمد بن علی بن الحسین بن بابویة القمّی، الشیخ الصدوق/ ت۳۸۱ه/ ط. موسّسة الإمام الهادی قم.

مکارم الأخلاق رضی الدین أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسی/ ت۵۴۸ه/ ط. منشورات الشریف الرضی قم.

مکاشفة القلوب أبو حامد محمد بن محمد الغزالی الطوسی/ ت۵۰۵ه/ ط. مصطفی إبراهیم تاج القاهرة.

من لا یحضره الفقیه أبو جعفر محمد بن علی بن الحسین بن بابویة القمّی، الشیخ الصدوق/ ت۳۸۱ه/ ط. مؤسّسة النشر الإسلامی قم.

منازل الآخرة عبّاس بن محمد رضا القمّی/ ت۱۳۵۹ه/ ط. مؤسّسة النشر الإسلامی قم.

میزان الحکمة محمد الری شهری/ معاصر/ ط. دار الحدیث قم.

ن

نصب الرایة فی تخریج أحادیث الهدایة أبو محمد جمال الدین عبدالله یوسف الزیلعی/ ت۷۶۲ه/ ط. دار الحدیث القاهرة.

نیل الأوطار محمد بن علی بن محمد الشوکانی/ ت۱۲۵۵ه/ ط. دار الجیل بیروت.

و

وسائل الشیعة محمد بن الحسن العاملی/ ت۱۱۰۴ه/ ط. مؤسّسة آل البیت ?لإحیاء التراث قم.

ی

ینابیع المودّة سلیمان بن إبراهیم القندوزی الحنفی/ ۱۲۹۴ه/ ط. دار الاسوة قم.

پی نوشتها

() بحار الأنوار: ۱ / ۲۰۴ ح۲۴ باب۴، مذاکرة العلم ومجالسة العلماء.

() کنز الفوائد: ۱۳ الفصل الأوّل، مختصر الکلام فی أنّ للحوادث أوّلاً.

() مستدرک سفینة البحار: ۹ / ۲۸ باب فضل کتابة الحدیث وروایته.

() وهو أحد أدعیة الصحیفة السجّادیة (الدعاء رقم۲۰) التی ینتهی سندها إلی الإمام زین العابدین سلام الله علیه، والتی تحتوی علی أکثر من خمسین دعاءً منها هذا الدعاء. لقد تضمّنت هذه الصحیفة من الکنوز ما بلغت من العظمة حتی عُبّر عنها بأخت القرآن، وإنجیل أهل البیت سلام الله علیهم، وزبور آل محمد صلّی الله علیه وآله.

() نقله جمهرة من علماء العامّة، منهم السیوطی فی الجامع الصغیر: ۱ / ۶۵۶ ح ۴۲۶۶، والمتقی الهندی فی کنز العمال: ۲ / ۷۸ ح ۳۲۱۵ وغیرهما.

() وردت فی فضل الصلوات علی محمد وآله روایات کثیرة، فقد روی عن الإمام الباقر سلام الله علیه أنّه قال: ما من شیء یُعبَد الله به یوم الجمعة أحبّ إلیّ من الصلاة علی محمّد وآل محمّد. (الحدائق الناضرة: ۱۰/ ۱۹۸).

وعن الإمام الصادق سلام الله علیه أنّه قال: إذا کان لیلة الجمعة نزل من السماء ملائکة بعدد الذرّ فی أیدیهم أقلام من الذهب وقراطیس الفضة لا یکتبون إلی لیلة السبت إلا الصلاة علی محمد وعلی آل محمد، فأکثروا منها. ثمّ قال: إنّ من السنّة أن تصلّی علی محمّد وعلی أهل بیته فی کلّ جمعة ألف مرّة وفی سائر الأیّام مئة مرّة. (تذکرة الفقهاء: ۴/ ۱۰۳).

وعنه سلام الله علیه أیضاً: أفضل ما یوضع فی المیزان یوم القیامة الصلاة علی محمد وعلی أهل بیته. (قرب الإسناد: ص۱۴ ح۴۵).

وعن الإمام الرضا سلام الله علیه أنّه قال: من لم یقدر علی ما یکفّر به ذنوبه فلیکثر من الصلاة علی محمد وآله فإنّها تهدم الذنوب هدماً. (الحدائق الناضرة: ۸/ ۴۷۱).

کما ورد استحباب الصلوات علی محمد وآله فی أوّل الدعاء ووسطه وآخره؛ فعن الإمام الصادق سلام الله علیه أنّه قال: من کانت له إلی الله عزّ وجلّ حاجة فلیبدأ بالصلاة علی محمد وآله ثمّ یسأل حاجته ثمّ یختم بالصلاة علی محمد وآل محمد، فإنّ الله عزّ وجلّ أکرم من أن یقبل الطرفین ویدع الوسط إذ کانت الصلاة علی محمد وآله لا تحجب عنه. (الوسائل: ۷/ ۹۵ ح۱۱ الباب ۳۶، استحباب الصلاة علی محمد وآله فی أوّل الدعاء ووسطه وآخره).

ومع أنّ النبی الأکرم صلی الله علیه وآله قد بیّن بنفسه الشریفة کیفیة الصلاة علیه، وذلک بُعید نزول قوله تعالی?: إِنَّ اللهَ وَمَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِی یا أَیُّها الَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیهِ وَسَلِّمُوا تَسلِیماً (?سورة الأحزاب، الآیة: ۵۶) حین سأله المسلمون: یا رسول الله قد علّمتنا السلام علیک، فکیف الصلاة علیک؟ فقال: قولوا اللهمّ صلّ علی محمد وآل محمد کما صلّیت علی إبراهیم وآل إبراهیم إنک حمید مجید (ذکره العامّة فی صحاحهم ومسانیدهم کافّة، فراجع).

کما أکّد صلی الله علیه وآله علیهم بعد ذلک بعدم بترها، أی الاکتفاء بالصلاة علیه منفرداً دون ذکر الآل؛ قال صلی الله علیه وآله: لا تصلّوا علیّ الصلاة البتراء. فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون اللهم صلّ علی محمد وتسکتون، بل قولوا اللهم صلّ علی محمد وعلی آل محمد. (ذکره ابن حجر فی صواعقه: ۱۴۶ فی الآیات النازلة فی أهل البیت سلام الله علیهم الآیة الثانیة، والقندوزی فی ینابیعه: ۱/ ۳۷ رقم۱۴ علی ما رواه السمهودی فی جواهر العقدین: ۲/ ۱۵۵، والشعرانی فی کشف الغمة: ۱/ ۲۱۹، وغیرهم فراجع). =

= وقال صلّی الله علیه وآله: من صلّی صلاةً ولم یصلّ فیها علیّ وعلی أهل بیتی لم تقبل منه. (ذکره الدارقطنی فی علله: ۶/ ۱۹۷ ح۱۰۶۶ وسننه أیضاً: ۱/ ۳۵۵ ح۶ وابن حجر فی الدرایة فی تخریج أحادیث الهدایة: ۱/ ۱۵۸ ح۱۸۹، وابن الجوزی فی التحقیق فی

أحاديث الخلاف: ۱/ ۴۰۲ الحديث الثالث، والزيلعى فى نصب الراية: ۱/ ۴۲۷، والشوكانى فى نيل الأوطار: ۲/ ۳۲۲ باب ما جاء فى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وغيرهم).

وحذّرهم صلى الله عليه وآله من احتجاب دعاء العبد عن الله تعالى ما لم يصلّ فيه على محمّد وأهل بيته. (راجع ما ذكره السيوطى فى الجامع الصغير: ۱/ ۶۵۶، ح۴۲۶۶، والمناوى فى شرحه فيض القدير: ۳/ ۷۲۵، ح۴۲۶۶، والمتقى الهندى فى كنز العمال: ۲/ ۷۸، ح ۳۲۱۵ والقاضى عياض فى الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله: ۲/ ۶۵ والهيثمى فى مجمع الزوائد: ۱۰/ ۱۶۰ وغيرهم فراجع).

رغم هذا كلّه إلا أنّك تجد قسماً من المسلمين وللأسف الشديد لا يؤدّون الصلاة على النبى وآله هكذا كاملةً تامّة، كما أرشدهم لها صلى الله عليه وآله، ويصرّون على مخالفة أمره، فيؤدّونها بتراء، فى حين يروون عنه صلى الله عليه وآله حديث النهى عن الصلاة البتراء فيقولون: قال صلى الله عليه وسلّم (!): لا تصلّوا علىّ الصلاة البتراء.

فليتدبّروا قول الله تعالى??: يَا أَيُّها الّذينَ آمَنوا لِمَ تَقُولُون ما لا تَفْعَلُون ?كَبُرَ مقْتاً عِندَ اللهِ أن تَقُولوا ما لا تَفْعَلُون (?سورة الصفّ، الآية: ۲ ۳).

«المؤسّسة»

() سورة الفرقان، الآية: ۷۷.

() الدعوات: ص۱۹ ح۱۱.

() الكافى: ۶ / ۴۳۸، باب التجمل وإظهار النعمة.

() راجع مقاتل الطالبيين: ۶۵.

() سورة النمل، الآية: ۱۴.

() ما لا ـ يمكن التفكيك بين أجزائه فى الامتثال. مثاله: الصلاة؛ خلافاً لأجزاء المركّب غير الارتباطى كالحقوق المختلفة فى ذمّة الشخص، فسقوط بعضها بالأداء يبرئ ذمّته فى المورد.

() سورة القيامة، الآية: ۱۴ و۱۵.

() عدّة الداعى: ۱۹۳.

() عيون الحكم والمواعظ: ۱۳۶ الفصل الحادى عشر من الباب الأوّل.

() سورة آل عمران، الآية: ۱۶۳.

() راجع الكافى: ۲ / ۴۰ ح۱ باب السبق إلى الإيمان.

() الأمر الذى يظهر مدى اطمئنانها إليه لكونه طالباً فى مدرسة دينية، وهذا يكشف عن عظم مسؤولية علماء وطلبة العلوم الدينية، لأنّ الناس يضعون فيهم كامل ثقتهم ولا يحتملون صدور الخطيئة منهم.

() هو الشيخ مرتضى بن الشيخ محمد أمين بن الشيخ مرتضى بن الشيخ شمس الدين التسترى، الدزفولى، الأنصارى (۱۲۱۴ – ۱۲۸۱ ه). يرجع نسبه الى الصحابى الجليل جابر بن عبد الله الأنصارى. فقيه، أصولى. وُلد بدزفول، وتوفّى بالنجف الأشرف فى ۱۸ جمادى الثانية. من آثاره: كتاب فى أصول الفقه ويعرف بالرسائل، كتاب فى المتاجرة ويعرف بالمكاسب، كتاب فى الطهارة، كتاب فى الصلاة، كتاب فى النكاح، إلى غير ذلك.

() هذه القصّة موجودة فى «أعيان الشيعة» وفى «أعلام الشيعة»، وتعود إلى أيام الشيخ الأنصارى رحمه الله أى لما قبل زهاء مئة وأربعين سنة.

() قد يحتّم على الإنسان أحياناً أن يُظهِر علمه ولا يجوز له السكوت؛ عملاً بتكليفه الشرعى، خصوصاً إذا ما استشرت البدع فى الناس

وطغی الباطل ومحق الدین؛ فقد روی عن الصادقین علیهما السلام أنّهما قالا: إذا ظهرت البدع فعلی العالم أن یظهر علمه، فإن لم یفعل سُلب نور الإیمان (وسائل الشیعة: ۱۶/ ۲۷۱، ح۹، باب۴۰ وجوب إظهار العلم عند ظهور البدع) ولاـ کلام فی هذا، ولکن ما أکثر الحالات التی لیس فیها وجوب ولکن الفرد لا یستطیع أن یملک نفسه عن التحدّث رغبةً فی إظهار ما یملک من معلومات؟!

() انظر مصباح الکفعمی: ۶۴۷ فصل ۴۶.

أقول: إنّ هذه الکلمات قد عبّرت عن کرم الله تعالی بما لم أره فی غیرها من الکلمات. فإن الید تمثّل رمزاً لإظهار جملة من مصادیق القدرة عند الإنسان، ففیها مثلاً تتجلّی قدرته فی المنع والإعطاء، والبطش والکفّ وغیر ذلک، والأدعیة والخطابات الدینیة لمّا کانت موجّهة للبشر فهی تراعی وتحاکی حالاتهم وأفهامهم؛ فکأنّ المعنی فی عبارة: یا باسط الیدین بالعطیة أن کلّ قدرة الله تعالی هی فی الإعطاء، المراد منه غایته لا مبدأه وکما قیل عن المعانی فی المقام: «خذ الغایات واترک المبادی».

() قال تعالی?: إلّا من رحم ربّک ولذلک خلقهم ?أی لیرحمهم.

() أبو الصلت، عبد السلام بن صالح الهروی نسبة إلی هراة من مدن أفغانستان خادم الإمام الرضا سلام الله علیه ومن الرواة الثقات، وثّقه عامة رجالیی الشیعة وبعض رجالیّی العامّة، منهم: عمر بن شاهین فی کتابه تاریخ أسماء الثقات: ۱۵۶ رقم ۸۷۶ وما رواه البغدادی فی تاریخه من توثیق یحیی بن معین لأبی الصلت. تاریخ بغداد: ۱۱/ ۵۰، ضمن ترجمة الهرویّ، کذلک فی تهذیب الکمال: ۱۸/ ۷۳ رقم ۳۴۲۱ فی ترجمته.

() عیون أخبار الرضا: ۲/۲۷۵ ح۶۹ باب۲۸.

() هو الشیخ محمد شریف المازندرانی المتوفی سنة ۱۲۴۵ ه. أستاذ الشیخ الأنصاری، وقد أدرک السید مهدی بحر العلوم رضوان الله علیه. کان یحضر درسه أکثر من ألف طالب. جواهر الکلام: ۱ / ۹.

() المحاسن: ۲ / ۳۵۹، ح ۸۰.

الروایة صحیحة إن اعتبرنا الحسین بن أبی العلاء ثقة، کما لیس بالبعید، وإن کان محلّ کلام بین علماء الرجال، ولکنّه بلا شک من خیرة أصحاب الإمامین الباقر والصادق سلام الله علیهما.

() من المعروف عن الأئمّة سلام الله علیهم أنّهم لا یذکرون النصائح الحسّاسة لعامّة الناس أو إلی الذین لا یتحمّلونها، الأمر الذی یفرض علینا نحن الشیعة وأهل العلم خاصّة أن ننتبه أکثر من غیرنا ونتأمّل فی کلمات المعصومین سلام الله علیهم.

() الکافی: ۱ / ۱۹۳ ح ۶، باب أنّ الأئمة ولاة الأمر.

() کما فی الحدیث: حاسبوا أنفسکم قبل أن تحاسبوا. الوسائل: ۱۶/ ۹۹ ح ۹، باب۹۶.

() الکافی: ۲ / ۴۵۳ ح ۲، باب محاسبة العمل.

() مدینة المعاجز: ۵ / ۳۰۷ ح ۶۵.

() انظر عوالی اللآلی: ۱/ ۲۷۳ ح۹۷.

() روی أنّ رجلا جاء إلی رسول الله صلی الله علیه وآله فقال: أخبرنی ما أفضل الأعمال؟ فقال: =

= الإیمان بالله. (فقه الرضا: ۳۷۶). وروی عن النبی صلی الله علیه وآله أنّه قال: أفضل الأعمال الصلاة لأوّل وقتها. (جامع المقاصد: ۲ / ۲۵). وروی أیضاً: أفضل الأعمال الحبّ فی الله والبغض فی الله. (مشکاة الأنوار: ۲۲۲).

وأیضاً: أفضل الأعمال ما أکرهت علیه النفوس. مسکّن الفؤاد: ۴۷.

وروی عن الإمام الحسین بن علی علیهما السلام أنّه قال: صحّ عندی قول النبی صلی الله علیه وآله: أفضل الأعمال بعد الصلاة إدخال السرور فی قلب المؤمن بما لا إثم فیه. (بحار الأنوار: ۴۴/ ۱۹۴، باب۲۶، ح۷). وروی أیضاً: أفضل الأعمال الصلاة علی محمد وآله، وسقی الماء، وحبّ علی بن أبی طالب علیه السلام. (مستدرک سفینة البحار: ۴ / ۲۱).

() وهی عبارة عن ثبوت وصف أو حکم علی شخص خاصّ بحیث لا یتعدّی ذلک الوصف إلی غیره وإن کان مماثلاً له فی الأوصاف؛ إذ المناط فیها هو أن یکون الحکم وارداً علی الأشخاص لا علی العنوان الثابت فی القضیة الحقیقیة.

() الکافی: ۱ / ۷۰ ح۷، باب الأخذ بالسنّة.

() راجع ص ۳۰ -۳۱ من الکتاب (موضوع: أکمل الإیمان).

() راجع مقاتل الطالبیین: ۶۴.

() تهذیب الأحکام: ۱۰/ ۲۱۴ ح ۵۰، باب۱۵ القضاء فی قتیل الزحام.

() بحار الأنوار: ۳۲ / ۱۸۲، باب وقعة الجمل.

() آیة الله العظمی السید مهدی الحسینی الشیرازی قدّس سرّه.

() محمد بن مسعود العیاشی من علماء الطائفة المعروفین، عاش فی بغداد وتوفّی عام ۳۲۰ ه، وکان ممن عاصر الشیخ الکلینی فیکون بذلک من المعاصرین لفترة الغیبة الصغری حتی قریب انصرامها عام ۳۲۹ ه حیث بدأت الغیبة الکبری.

() تزعّم الحوزة العلمیة فی مدینة قم المقدّسة بعد رحیل مؤسّسها المرحوم الشیخ عبدالکریم الحائری، ولعلّ العشرات بل المئات من الأفاضل الموجودین الآن فی قم حضروا درسه أو التقوه، وهذه القصّة التی وقعت إبان مرجعیته العامّة للشیعة مدوّنة فی تاریخه، ونُقلت عنه کثیراً، ومن الذین نقلوها مراراً السید مصطفی الخونساری رحمه الله، الذی کان ملازماً له.

() أحد المساجد المعروفة فی قم المقدّسة.

() کان هذا استدراکاً من سماحته بمناسبة أنّ حدیث سماحته هذا کان قد صادف لیلة عرفة.

() لأنّ أداء الصلاة فی أوّل وقتها مستحبّ ولیس واجباً، ووقت الصلاة موّسع لایحاسب علی فواتها إن أدرکه الأجل خلال الوقت، أما تقدیم الاعتذار والاستحلال من العباد فهو واجب فوریّ یحاسَب المرء علی ترکه إن لم یؤدّه وأدرکه الموت. فلو مات الإنسان فی أول الوقت ولم یصلّ الفریضة التی حلّ وقتها لایقال له لِم لَم تؤدّها؟ لأنّ الله سبحانه قد وسّع من وقت الصلاة، ولم یحصر وقت أدائها فی أوّل الوقت، بل جعل لها الفضیلة فی أدائها، ولایحاسَب المکلف علی الصلاة إلا إذا ترکها عامداً حتی فات وقتها إلی غیرها، أما حقّ الناس، فإن مات عنه، حوسب علیه.

() منازل الآخرة: ۳۱.

() سورة النساء، الآیة: ۱۴۳.

() انظر لسان العرب: ۹/ ۳۱۶، مادة لطف.

() الکافی: ۱/ ۷۰، ح۹، کتاب فضل العلم.

() وسائل الشیعة: ۱/ ۳۳ ۵۴، أبواب مقدّمة العبادات من کتاب الطهارة.

() المتقدم آنفاً.

() إشارة لما جاء فی زیارة أمیرالمؤمنین سلام الله علیه حین یقف الزائر علی باب السلام فیقول: السلام ... علی میزان الأعمال، انظر المزار: ۱۸۴.

() سورة القارعة، الآیة: ۶ ۸.

() قال رسول الله صلّی الله علیه وآله: علی مع الحق والحق مع علی، یدور معه حیثما دار، شرح نهج البلاغة: ۱۸ / ۷۲.

() شرح النهج: ۲/ ۲۸۲.

() سورة الفرقان، الآیة: ۲۳.

() بحار الأنوار: ۶۷/ ۱۹۸، باب ۵۳ النیّة و شرائطها و مراتبها.

() ابحثوا عن كتب الأدعية المؤلّفة عبر مئات السنين، ربّما تجدونها بالمئات. وإنّني رأيت العشرات منها ما بين مطبوع ومخطوط، ولكنّ الملاحظ أنّ كتاب «مفاتيح الجنان» هو الوحيد الذى أصبح معروفاً لدرجة ربّما لا يعلم كثير من سواد الشيعة بوجود كتاب فى الأدعية غيره!

() بحار الأنوار: ۳۲/ ۳۴۵، باب۴ إحتجاجه عليه السلام على أهل البصرة.

() أدرك أبو حمزة (واسمه ثابت بن دينار) أربعة من الأئمة المعصومين سلام الله عليهم، فقد عاصر الإمام زين العابدين والإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم سلام الله عليهم، وهناك خلاف فى كونه أدرك الإمام الحسن والإمام الحسين سلام الله عليهما. والمتيقّن أنّه أدرك أربعة من ذرية الحسين سلام الله عليه (أعنى السجّاد والباقر والصادق والكاظم سلام الله عليهم). وهناك قول بأنّه أدرك الإمام الرضا سلام الله عليه أيضاً، لأنّ هناك روايات تقول بأنّه كان أيّام الإمام زين العابدين سلام الله عليه شابّاً وأيّام الإمام الكاظم سلام الله عليه شيخاً كبيراً.

وكان لأبى حمزة الثمالى أولاد من خيرة أصحاب الأئمة، فكانوا خيرة الأولاد ومن خيرة آباء، وهم محمد وعلى وهما ثقتان، وكان عنده ابن يسمّى حسيناً، وسبط بهذا الاسم أيضاً، ولكن اختلف علماء الرجال هل حسين هذا هو ابنه أو سبطه أم هما اثنان؛ قال العلامة المجلسى وجماعة إنّهما شخصان أحدهما ابنه والآخر ابن بنته، وكلاهما ثقتان.

() رجال الكشى: ۳۳، ح ۶۱.

() روى عن أميرالمؤمنين سلام الله عليه أنّه قال: إتّق الله فى نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف الى الآخرة وجهك، واجعل لله جدّك. (غرر الحكم ودررالكلم: ۲۶۹ رقم ۵۸۴۰).

() فلو لم يكن الشيخ الطوسى أو الشيخ المفيد أو المحقق الحلّى مثلاً يذكرون أسماءهم على مؤلّفاتهم وكتبهم فتُعرف أنّها لهم لما اعتُمِد عليها ولا حصل الاطمئنان بها والرجوع إليها.

() كما لو تزوّج شخص بامرأة بعد البحث والسؤال ثمّ تبيّن له أنّ الواقع يخالف ما قيل له؛ أو تلميذ يثق بأستاذ ثمّ يتبين له بعد ذلك أنّه لم يكن لائقاً، أو العكس، أو شخص يتعب نفسه سنين طويلة فى جمع ثروة كبيرة، ثمّ يبدو له أن يحوّلها إلى عملة قويّة كالدولار مثلاً = = ويتبيّن له بعد فترة أنّ تلك العملة التى استلمها كانت مزوّرة، أو سجّلت فى السوق هبوطاً مريعاً بحيث ذهبت بأرباح سنين طويلة من التعب والعناء فى التجارة والكسب.

أعرف شخصين كانا صديقين لسنوات طويلة وكان كلّ منهما يثق بالآخر تمام الثقة، ولكنّهما اختلفا بعد ذلك عندما كبر سنّهما حتى انتهى بهما الأمر إلى أن اشتكى كلّ منهما على الآخر واستمرّا على الشكوى وصرفا الأموال ولم يتصالحا أو يصلا إلى نتيجة إلى أن ماتا. قال لى أحدهما مندهشاً ذات مرّة: إنّنى أعرف فلاناً (يعنى صاحبه) منذ أربعين سنة وكنت أثق به كثيراً، فكيف تصرّف معى هكذا؟! وكان يتساءل: هل كانت ثقتى به كلّ هذه المدّة فى غير محلّها؟

() بحار الأنوار: ۶۷ / ۱۹۶، باب النيّة وشرائطها ومراتبها.

() كما فى الدعاء: اللهم اجعلنى من أهل الجنّة التى حشوها البركة (وسائل الشيعة: ۷ / ۳۹۸. الدعاء بعد صلاة النافلة فى يوم الجمعة). و «حشوها البركة» أى ملؤها وكلّ ما فى داخلها بركة، فما من شىء فيها إلا وهو مبارك، والبركة تعنى النعمة الدائمة ولا توجد نعمة دائمة فى الدنيا لأنّها لا محالة تنتهى بموت الإنسان مهما طال به العمر. أمّا الجنّة فنعيمها دائم.

() سورة التوبة، الآية: ۷۲.

() منازل الآخرة: ۳۱.

() سورة التوبة، الآية: ۵۱. وروى عن الامام زين العابدين سلام الله عليه أنّه قال: الرضا بمكروه القضاء من أعلى درجات اليقين. التمحيص: ۶۰ ح ۱۳۱.

() سورة البقرة، الآیة: ۱۸۳.

() سورة المائدة، الآیة: ۳.

() سورة آل عمران، الآیة: ۳۱.

() أعرف شخصین کانا صدیقین حمیمین توفّی أحدهما والآخر أخبرنی بما کان منه من إساءة الظنّ بالأوّل فی حیاته بسبب بعض القرائن وصرّح له بذلک أیضاً، لأنّه کان یزعم أنّه متیقّن من الأمر، وبعد موته انکشف له أنّ ظنه کان خاطئاً وأنّ صدیقه کان بریئاً! فتألّم کثیراً لذلک، ولقد رأیته یبکی بحرقة، وعندما سألته عن السبب؟ قال لی: أنا لا أبکی لموته ولکن لما صارحته به من فقدان ثقتی به، مع أنّ الأمر کان خلاف الواقع. فمثل هذا الشخص یبقی معذّباً إذا کان صاحب وجدان وضمیر حیّ.

() سورة الفرقان، الآیة: ۷۷.

() الصحیفة السجّادیة، دعاء ۱۳ فی التوبة.

() أی وضع نفسه مکان السائل لیبیّن فداحة الأمر لنا.

() سورة النجم، الآیة: ۳۹.

() سورة الفرقان، الآیة: ۷۷.

() بحار الأنوار: ۷۵ / ۳۴۶، باب۲۶ مواعظ الرضا علیه السلام، ح۴.

() سورة الأحزاب، الآیة: ۲۱.

() لقد رأیت أخیراً کتاباً لأحد المستشرقین مترجماً فی إحدی البلاد الإسلامیة، وکانت الترجمة مطبوعة عدّة طبعات حتی أنّ النسخة التی حصلت علیها کانت من الطبعة السابعة أو الثامنة! یختلق الکاتب علی رسول الله صلی الله علیه وآله أموراً ما تُنبئ عن استمرار النفَس اللاأخلاقی الذی کال التهم لأنبیاء الله ورسله من قبل، مع أنّ کلّ کتب التاریخ بما فیها کتب المنصفین من المستشرقین تشهد أنّ رسول الله صلی الله علیه وآله هو أطهر إنسان خلقه الله. فمن الذی یجب أن یتصدّی للردّ علی مثل هذه التخرّصات، خصوصاً وهی تحدث فی بلد إسلامی وتشجّع علیه، حتی أنّها طبعت هذا الکتاب وفی مدینة واحدة من مدنها أکثر من سبع طبعات.

() سورة القلم، الآیة: ۴.

() سورة التحریم، الآیة: ۴.

() وسائل الشیعة: ۱۱/ ۱۵۰، باب۱۱ وجوب الرجوع فی القضاء ... رقم ۳۳۴۵۸.

() وسائل الشیعة: ۲۰ / ۲۱، باب۲ کراهة العزوبة وترک التزویج، ح۲۴۹۲۱.

() سورة الذاریات، الآیة: ۵۶.

() هو أحمد بن محمد بن أبی نصر، من أصحاب الإمام الکاظم والإمام الرضا سلام الله علیهما وقیل: إنّه أدرک الإمام الجواد سلام الله علیه أیضاً. وهو أحد ثلاثة أشخاص ثانیهما محمد بن عمیر، والثالث صفوان بن یحیی، انعقد إجماع الفقهاء علی العمل برواياتهم.

() بحار الأنوار: ۶۸/ ۳۲۱. روی الکلینی رحمه الله فی الکافی روایة بسندین معتبرین عن البزنطی، فی سلسلتها عبارة «عن بعض رجاله» وهذا معناه أنّ أحد الرواة مجهول، ولکن الشیخ الطوسی رضوان الله علیه ذکر أنّ إجماع الطائفة جری علی العمل بما رواه البزنطی إلا ما خرج بدلیل. وهناک روایات کثیرة بهذا المضمون ولکن إن قلنا إنّ بعضها غیر معتبر سنداً فهذه الروایة معتبرة سنداً؛ لما تقدّم.

() قال المجلسیّ رحمه الله: وفی قدرته عطف تفسیری لقوله فی الله فإنّ التفکّر فی ذات الله وکنه صفاته ممنوع. (بحار الأنوار: ۶۸/ ۳۲۱ ح۳، باب ۸۰ المنکر والإعتبار والاتّعاظ).

() وسائل الشیعة: ۱۵ / ۱۹۷ باب۵ استحباب التفکر، رقم ۲۰۲۶۵.

() الکافی: ۲/ ۷۷، ح۵، باب الورع.

() إشارة الی آیة الله العظمی السیّد میرزا مهدیّ الحسینی الشیرازی قدّس سرّه.

() الکافی: ۲/ ۲۲۲، باب الکتمان.

() روضة الواعظین: ۴۵۴.

() مکارم الأخلاق: ۴۴۶، فی موعظة رسول الله صلی الله علیه وآله لابن مسعود.

() سورة التوبة، الآیة: ۵۹.

() سورة التوبة، الآیة: ۷۴.

() کما ذکر ذلک وفصّله الشیخ الرضی(رضی الله عنه) فی شرحه علی الکافیة، وورد البحث فی کتب اللغة إجمالاً.

() الکافی: ۱۴۰ /۲ باب الکفاف.

مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وآله بِرَاعِی إِبِلٍ، فَبَعَثَ یَسْتَسْقِیهِ، فَقَال: أَمَّا مَا فِی ضُرُوعِهَا فَصَبُوحُ الْحَیِّ، وأَمَّا مَا فِی آنِیَتِنَا فَغَبُوقُهُمْ. فَقَال رَسُولُ اللَّه صلی الله علیه وآله: اللَّهُمَّ أَکْثِرْ مَالَهُ ووُلْدَهُ. ثُمَّ مَرَّ بِرَاعِی غَنَمٍ فَبَعَثَ إِلَیْهِ یَسْتَسْقِیهِ فَحَلَبَ لَهُ مَا فِی ضُرُوعِهَا وأَکْفَأَ ما فِی إِنَائِهِ فِی إِنَاءِ رَسُولِ اللَّه صلی الله علیه وآله وبَعَثَ إِلَیْهِ بِشَاةٍ وقَال: هَذَا ما عِنْدنا وإِنْ أَحْبَبْت أَن نَزِیدکَ زِدناک؟ فَقَال: رَسُولُ اللَّه صلی الله علیه وآله: اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ الْکَفَاف. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: یا رَسُولَ اللَّهِ دَعَوْتَ لِلَّذِی رَدَّکَ بِدُعَاءٍ عَامَّتُنَا نُحِبُّهُ، ودَعَوْتَ لِلَّذِی أَسْعَفَکَ بِحَاجَتِکَ بِدُعَاءٍ کُلُّنَا نَکْرَهُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلی الله علیه وآله: إِنَّ مَا قَلَّ وکَفَی خَیْرٌ مِمَّا کَثُرَ وأَلْهَی، اللَّهُمَّ ارْزُقْ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّدٍ الکَفَاف.

() إذا تمعّنتم فی کلمات الزیارة التی یزورها الإمام خاصّة وتلک التی یعلّمها الأصحاب والشیعة لرأیتم بعض الفرق، فمثلاً توجد فی زیارة أنصار الإمام الحسین سلام الله علیه فی آخر زیارة الإمام الحسین سلام الله علیه المعروفة بزیارة «وارث» عبارة: بأبی أنتم وأمّی، یخاطب بها أنصار الإمام الحسین سلام الله علیه. ولو نظرتم إلی سند هذه الزیارة لرأیتم أنّها الزیارة التی علّمها الإمام الصادق سلام الله علیه صفوان وقال له: زر بهذه الزیارة (یعنی زیارة وارث). أما الإمام الصادق سلام الله علیه وهو إبن المعصوم فلا ینبغی أن یخاطب غیر المعصوم مهما عظم قدره بقوله: بأبی أنت وأمّی، إذن فهو سلام الله علیه قد زار جدّه الحسین سلام الله علیه بزیارة أُخری. وهذه من النکات اللطیفة.

() تهذیب الأحکام: ۶/ ۳۲۷ ح۹۰۲، باب۹۳ المکاسب.

() من لا یحضره الفقیه: ۲/ ۶۸ ح۱۷۴۱، باب فضل الصدقة.

() بحار الأنوار: ۱۳/ ۳۵۴، ح۵۲، باب۴ بعثة موسی وهارون علیهما السلام.

() تذکرة الفقهاء: ۲۰/ ۲۹۷.

() الکافی: ۵/ ۷۷، باب ما یجب من الإقتداء بالأئمة.

() میزان الحکمة: ۳/ ۳۲۲۰.

() عوالی اللآلئ: ۲ / ۷۱، ح۱۸۴.

() سورة النجم، الآیة: ۳۹.

() سورة الفرقان، الآیة: ۷۷.

() کما فی دعاء الإمام الحجّة بن الحسن عجّل الله تعالی فرجه الشریف المستحبّ قراءته فی لیالی شهر رمضان المبارک، والمعروف بدعاء الافتتاح، من قوله: ولعلّ الذی أبطأ عنّی هو خیر لی لعلمک بعاقبة الأمور. (إقبال الأعمال: ۱/ ۱۳۹).

() سورة الحدید، الآیة: ۲۳.

() الخصال للصدوق: ۴۲۰، ح۱۴، باب التسعة.

() تحف العقول: ۲۱۵.

() الجواهر السنیة: ۷۹.

() بحار الأنوار: ۶۷/ ۲۱۰، باب۵۳ النیّة وشرائطها.

() بحار الأنوار: ۴۴: ۲۳ الباب ۱۸ / ح ۷.

() اللهوف فی قتلی الطفوف: ۴۲.

() شجرة طوبی: ۷۵.

() مکارم الأخلاق: ۴۴۱.

() الکافی: ۵/ ۶۳، باب کراهة التعرّض لما لا یطیق.

() کان رجلًا علی دین موسی علیه السلام وکان عنده اسم الله الأعظم، إذا دعا الله تعالی به أجابه، فمال إلی فرعون، فأخذ منه الإسم الأعظم. انظر تفسیر مجمع البیان: ۴/ ۳۹۴ مورد الآیة ۱۷۵ من سورة الأعراف.

() سورة الأعراف، الآیة: ۱۷۵.

() بحار الأنوار: ۲/ ۳۷ ح ۵۰، باب۹ استعمال العلم والإخلاص.

() رسالة فی العدالة: ۲۶۸.

() سورة الشعراء، الآیة: ۲۲.

() سورة الشعراء، الآیة: ۱۸.

() سورة النساء، الآیة: ۱۲۵.

() سورة آل عمران، الآیة: ۲۶.

() مکارم الأخلاق: ۴۶۴، وصایاه صلی الله علیه وآله لأبی ذر.

() بحار الأنوار: ۴۶/ ۷۵، ح۶۵، باب مکارم أخلاق الإمام السجاد وعبادته صلوات الله وسلامه علیه.

() ورد فی دعاء الصباح للإمام أمیر المؤمنین سلام الله علیه: وصلّ اللهم علی الدلیل إلیک فی =

= اللیل الألیل والثابت القدم علی زحالیفها فی الزمن الأول یعنی به الرسول الأعظم صلی الله علیه وآله. (مفاتیح الجنان دعاء الصباح).

() روی عن الرسول الأـعظم صلی الله علیه وآله أنّه قال: یا علی إنّ الدنیا لو عدلت عند الله تبارک وتعالی جناح بعوضة لما سقی الکافر منها شربة من ماء. من لا یحضره الفقیه: ۴/ ۳۶۲.

() سورة التوبة، الآیة: ۲۵.

() سورة الحدید، الآیة: ۲۰.

() إشارة الی قوله تعالی?: یمنّون علیک أن أسلموا قل لاـ تمنّوا علیّ إسلامکم بل الله یمنّ علیکم أن هداکم للإیمان إن کنتم صادقین ?الحجرات: ۱۷.

() سورة الحدید، الآیة: ۱۱.

() سورة النور، الآیة: ۴۰.

() بحار الأنوار: ۷/ ۲۸۵، باب۱۳ ما یحتجّ الله به علی العباد.

() سورة الأنعام، الآیة: ۱۴۹.

() الأمالی للمفید: ۲۲۷ ح۶ مجلس ۲۶.

() بحار الأنوار: ۶۸ / ۵۴، ح۸۶، باب۶۱.

() سورة العنكبوت، الآية: ۶۴.

() مستدرک الوسائل: ۸ / ۴۲۴، ح۱۴، باب وجوب کفّ الأذی عن الجار.

() روی عَنْ مُعَلَّی بْنِ خُنَیْس قَالَ: خَرَجَ أَبُو عَبْد اللَّه علیه السلام فی لَیْلَة قَدْ رُشَّتْ وَهُوَ یُرِیدُ ظُلَّةَ بَنی سَاعدَةَ فَاتَّبَعْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ سَقَطَ منْهُ شَیْءٌ. فَقَالَ: بسْم اللَّهِ اللَّهُمَّ رُدَّ عَلَیْنَا. قَالَ: فَأَتَیْتُهُ فسَلَّمْتُ عَلَیْه، قَالَ فَقَالَ: مُعَلَّی! قُلْتُ: نَعَمْ، جُعلْتُ فدَاکَ. فَقَالَ لی: الْتَمسْ بیَدکَ فَمَا وَجَدْتَ منْ شَیْء فَادْفَعْهُ إِلَیَّ. فَإِذَا أَنَا بخُبْزٍ مُنْتَشر کَثِیر فَجَعَلْتُ أَدْفَعُ إِلَیْه مَا وَجَدْتُ، فَإِذَا أَنَا بجراب أَعْجزُ عَنْ حَمْله منْ خُبْز، فَقُلْتُ: جُعلْتُ فدَاکَ أَحْملُهُ عَلَی رَأْسی؟ فَقَالَ: لاَ أَنَا أَوْلَی به منْکَ وَلَکن امْض مَعی. قَالَ: فَأَتَیْنَا ظُلَّةَ بَنی سَاعدَةَ فَإِذَا نَحْنُ بقَوْم نیَام فَجَعَلَ یَدُسُّ الرَّغیفَ وَالرَّغیفَیْن حَتَّی أَتَی عَلَی آخرهمْ ثُمَّ انْصَرَفْنَا. فَقُلْتُ: جُعلْتُ فدَاکَ یَعْرفُ هَؤُلاء الْحَقَّ؟ فَقَالَ: لَوْ عَرَفُوهُ لَوَاسَیْنَاهُمْ بالدُّقَّة. وَالدُّقَّةُ هِیَ الْمِلْحُ. (الکافی: ۴/ ۹، باب صدقة اللیل).

() ومن ذلک قول الله تعالی?: یَدُ اللهِ فَوْق أیْدِیهِمْ (?سورة الفتح، الآیة: ۱۰) والمقصود قدرة الله تعالی وسلطته ومکنته وکذلک فضله ونعمته لأن الله تعالی لیس له ید کأیدینا أو غیر ذلک من الأعضاء.

() انظر مصباح الکفعمی: ۶۴۷ فصل۴۶، من أدعیة لیلة الجمعة.

() سورة البقرة، الآیة: ۲۶۴.

() سورة البقرة، الآیة: ۲۷۶.

() سورة آل عمران، الآیة: ۱۴۱.

() سورة آل عمران، الآیة: ۱۴۱.

() مستدرک الوسائل: ۷/ ۲۳۴، باب۳۴ عدم جواز المنّ فی الصدقة.

() سورة مریم، الآیة: ۵.

() سورة الفرقان، الآیة: ۷۴.

() فقولهم: «عقد» یعنی أنّها لیست إیقاعاً، والفرق بین العقد والإیقاع أنّ الأول لا یتقوّم إلا بطرفین؛ إیجاب وقبول. فالواهب یقول: وهبت، والذی تنتقل إلیه الهبة یقول: قبلت، خلافاً للإیقاع فإنّه لا یُشتَرط فیه القبول. وخرج بقولهم: بلا عوض مثل البیع فإنّه تملیک بعوض، فلو قال الواهب: وهبتک کذا، وسکت، دون أن یضیف عبارة (بلا عوض)، فلا یقدح ذلک فی العقد؛ لأنّ مقتضی الهبة أن یکون بلا عوض، وإلا لم یکن هبة. فذِکر هذا القید فی التعریف إنّما هو علی نحو الإقتضاء ولیس العلیة التامّة، أی أنّ الهبة بطبعها تقتضی أن تکون بلا عوض.

() یقال والشیء بالشیء یذکر: إنّ مَلِکاً قال لرجل وکان زاهداً مبتعداً عنه: لماذا لا تأتینی وأنت عبدی؟ عجب الزاهد وقال: کیف أصبحتُ عبداً لک؟! قال الملک: ألستَ من رعایای. قال الزاهد: وکیف أکون عبداً لک وأنت عبد عبدی؟ قال الملک مستغرباً غاضباً: وکیف ذلک؟! قال: أنت عبد الهوی وأنا سیّد الهوی، فأنت عبد لعبدی!

() مستدرک الوسائل: ۱۱ / ۱۸۷، الباب ۶، الحدیث ۲.

() بحار الأنوار: ۴۴ /۲۸۳ باب ۳۴.

() البلد الأمین: ۲۸۴ أدعیة شهر شعبان.

() اللهوف فی قتلی الطفوف: ۹۷.

() سورة النحل، الآیة: ۵۳.

() سورة آل عمران، الآیة: ۲۶.

() سورة الذاریات، الآیة: ۵۸.

() سورة النجم، الآیة: ۳۹.

() سورة الفرقان، الآیة: ۷۷.

() من لا یحضره الفقیه: ۱: ۴۸۷ باب دعاء قنوت الوتر...

() سورة القیامة، الآیة: ۳۷.

() نهج البلاغة: ۵۵۰ رقم ۴۱۹ الحکم القصار.

() وسائل الشیعة: ۴ / ۲۸۶ الباب ۶۱ ح ۵۱۷۶.

() الکافی: باب النوادر: ۲۶۰.

() سورة سبأ، الآیة: ۱۳.

() سورة ص، الآیة: ۲۴.

() سورة النساء، الآیة: ۷۸.

() سورة النساء، الآیة: ۷۹.

() سورة الزمر، الآیة: ۲۳.

() سورة القصص، الآیة: ۵۶.

() سورة البلد، الآیة: ۱۰.

() قال تعالی?: فأمّا من أعطی واتّقی ? وصدّق بالحسنی ? فسنیسّره للیسری ? وأمّا من بخل واستغنی ? وکذّب بالحسنی ? فسنیسّره للعسری ?سورة اللیل، الآیة: ۵ ۱۰.

() سورة النصر، الآیة: ۱.

() کان رسول الله صلّی الله علیه وآله یذهب بشخصه الکریم إلی القبائل والوفود الذین کانوا یأتون إلی مکّة فی موسم الحج – وکان الحجّ موجوداً قبل الإسلام ولکن الإسلام خلّصه من الطقوس الوثنیة – فکان صلّی الله علیه وآله یعرض علیهم الإسلام فکان بعضهم یرفض =

= وقسم قلیل یقبل دعوته، وکان بعضهم یسیء الأدب مع النبی صلّی الله علیه وآله وربما لا یدعه یتکّلم.

تصوّر کم کان الأمر صعباً فی البدایة، وکم کان یعنی الدخول فی الإسلام؛ وهذا یعنی أنّ الهدی الصالح والطریقة الحقّة التی کان علیها غالب المسلمین الأوائل، أعنی تلک الثلّة المؤمنة منهم، لم تکن تقلیداً أو من باب «حشر مع الناس عید» بل کان إطارها النیّة الصادقة والعقیدة الراشدة.

() سورة الحدید، الآیة: ۱۰.

() سورة الأعراف، الآیة: ۱۷.

() تفسیرالقمی: ۱ / ۱۸۰.

() بحار الأنوار: ۳۳/ ۳۶۸، باب۲۳، ح۶۰۶.

() نهج البلاغة: ۴۶ الخطبة ۲ بعد انصرافه من صفّین.

() أی حسبک.

() الأمالی للمفید: ۳ ح ۳، المجلس الأوّل.

() قال رسول الله صلی الله علیه وآله: إنّ الشیطان لیجری من ابن آدم مجری الدم (... مستدرک الوسائل: ۱۶/ ۲۲۰ ح ۱۶، باب۹۳ صحّة التوبة فی آخر العمر).

() شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۴ / ۷۳.

() قال المسعودى: فى أيّام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال، فكان له لعثمان يوم قُتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادى القرى وحنين وغيرهما مائتا ألف دينار، وخلّف إبلاً وخيلاً كثيرة. تاريخ ابن خلدون: ۱ / ۲۰۴.

() بحار الأنوار: ۳۸ / ۷۴، باب ۶۰.

() قال ابن يعفور: قلت لأبى عبد الله (الصادق) عليه السلام: بما يعرف عدالة الرجل بين المسلمين حتى يقبل شهادته لهم وعليهم؟ فقال: أن يعرفوه بالستر والعفاف والكفّ عن البطن والفرج واليد واللسان، ويعرف باجتناب الكبائر التى أوعد الله عليها النار من شرب الخمر والزنا والربا وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وغير ذلك، والساتر لجميع عيوبه. (بحار الأنوار: ۸۵ / ۳۸)

() فقد حرّم معظم الفقهاء رضوان الله عليهم على المؤمن الخروج بلباس الشهرة إلى المحالّ العامّة= = وهو اللباس الذى يوجب أن يعيّره الناس بسببه، ومن لم يحرِّمه منهم عدَّه مكروهاً. ومما يؤكّد حرمة الشهرة روايات عديدة عن المعصومين سلام الله عليهم منها رواية عن الإمام الصادق عليه السلام؛ حيث يقول: الشهرة خيرها وشرُّها فى النار (الكافى: ۶ / ۴۴۴ باب كراهية الشهرة، ح ۳).

() فقد ورد عن الإمام الصادق سلام الله عليه: أحبّ إخوانى إلىّ من أهدى إلىّ عيوبى. تحف العقول: ۳۶۶.

() أحد كبار فقهاء الشيعة ومراجع التقليد فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى، تلمّذ على الشيخ الأنصارى ومن بعده تلمّذ هو ومجموعة زملاء له – منهم الآخوند الخراسانى– على المجدّد الشيرازى، وصاروا كلّهم مراجع تقليد، وبقى الشيخ محمد طه نجف مرجعاً أعلى للتقليد حتى وفاته ثمّ انتقلت المرجعية بعده إلى الآخوند الخراسانى.

() الكافى: ۲ / ۴۵۳ باب محاسبة العمل ح ۲.

() الكافى: ۶۱۴ باب ترتيل القرآن. والترقوتان هما العظمان المكتنفان بالحلقوم.

() روى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: ربّ تال للقرآن والقرآن يلعنه. مستدرك وسائل الشيعة: ۴ / ۲۴۹ باب ۷ ح ۲.

() عن على بن أبى حمزة قال كان لى صديق من كتاب بنى أمية فقال لى استأذن لى على أبى عبد الله سلام الله عليه فاستأذنت له فلما دخل سلّم وجلس ثمّ قال: جعلت فداك إنى كنت فى ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً وأغمضت فى مطالبه، فقال أبو عبد الله سلام الله عليه: لولا أنّ بنى أميّة وجدوا من يكتب لهم ويجبى لهم الفىء ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقّنا، ولو تركهم الناس وما فى أيديهم ما وجدوا شيئاً إلا ما وقع فى أيديهم ... بحار الأنوار: ۱۳۸ / ۴۷ باب ۵. مرّ تفصيل القصّة فى صفحة ۳۶.

() يقول علماء الأخلاق: إنّ كلّ فضيلة هى وسط بين رذيلتين هما الإفراط والتفريط. فالكرم وسط بين البخل والإسراف، والشجاعة وسط بين الجبن والتهوّر، وهكذا. وكلّ شىء جاوز حدّه انقلب إلى ضدّه. ومثال ذلك وضع الملح فى الطعام فإنّ زيادة الكمية نقصٌ كما نقصانها. فالفضائل مطلوبة، ولكن ضمن حدودها، فإن تجاوزتها انقلبت إلى أضدادها.

() سورة الكهف، الآية: ۷۹.

() وهو أنّه سؤال العارف الذى يعرف الشىء ولكنّه يسأل ليفهمه الناس.

ويلاحظ أنّ الإمام لم يقل: «ما أفضل هذه الأعمال؟» بل قال: ما أفضل الأعمال؟ أى أعمّ ممّا ذكره النبى صلى الله عليه وآله فى الخطبة، فإنّ الجمع المحلّى ب «أل» ظاهر فى العموم.

() راجع الأمالى للصدوق: ۱۵۳ ح ۴ المجلس العشرون (تمام الخطبة).

() نهج البلاغة: ۲۰۳ رقم ۱۹۳.

() سورة النجم، الآية: ۳۹.

() سورة الإسراء، الآية: ۷.

() عيون الحكم والمواعظ: ۶۶ الفصل الأوّل مما أوّله الألف واللام.

() الأمالی للصدوق: ۱۵۳ ح ۴ المجلس العشرون.

() سورة الزلزلة، الآیة: ۷ – ۸.

() راجع ثواب الأعمال: ۲۸۰ – ۲۹۵ (ضمن خطبة طویلة).

() فقه القرآن: ۲ / ۳۳ باب المکاسب المباحة.

() بحار الأنوار: ۶۸ / ۲۵۹، باب۷۳ رقم ۳.

() الکافی: ۲/ ۴۵۳ ح۲ باب محاسبة النفس.

() الفضائل لابن شاذان: ۱۵۴ ضمن حدیث طویل.

() مستدرک الوسائل: ۱/ ۱۲۵ ح ۱۰، باب۱۸، تأکّد استحباب الجدّ والإجتهاد.

() سورة الکوثر، الآیة: ۳.

() سورة النساء، الآیة: ۷۹.

() سورة النجم، الآیة: ۳۹.

() سورة الفرقان، الآیة: ۷۷.

() سورة فصّلت، الآیة: ۳۴.

() سورة فصلّت، الآیة: ۳۵.

() تحف العقول: ۵۰.

() وربما لوحظ المعنیان فی کلمة (دنیا)، لأنّ الدنیا تلی الآخرة، فهی أقرب بالنسبة لنا من الآخرة، فیقال إنّها دنیا أی دانیة قریبة بالنسبة لنا، وإنّها دنیئة المنزلة أیضاً قیاساً إلی سموّ الآخرة ورفعتها، فمن هذا الباب سمّیت (دنیا)..

() الکافی: ۲ / ۱۷۳ ح ۱۳ باب حق المؤمن علی أخیه وأداء حقّه.

() سورة المائدة، الآیة: ۵۶.

() سورة الشوری، الآیة: ۲۳.

() سورة النمل، الآیة: ۱۴.

() نُقل عن شخص أنّه کتب رسالة جوابیة لشخص دنیء ضمّنها عبارة تغیظه، فکانت النتیجة أن ألحق به ذلک الدنیء أضراراً کبیرة، وعندما سئل الشخص: لماذا کتبت تلک العبارة؟ أجاب: أردت أن أُغیظه لأنّی کنت أعرف أنّه یتأذّی منها کثیراً فتعمّدت إیذاءه! فمثل هذا الشخص لم یعمل ما من شأنه أن یجنّبه عداوة الأدنین.

() نهج البلاغة: ۴/ ۴۱ رقم ۱۵۹. وفیه عن أمیر المؤمنین علیه السلام أنّه قال: من وضع نفسه مواضع التهمة فلا یلومنّ من أساء به الظنّ.

() الکافی: ۸/ ۱۱۳، حدیث آدم مع الشجرة.

() فی مدینة قم المقدّسة.

() انظر الاختصاص للمفید: ۸۷.

() سورة آل عمران، الآیة: ۶۱.

() روی عن أبی محمد علیه السلام، أنّه قال لأبی علی حین سأله عن العمری وابنه: العمری وابنه ثقتان، فما أدّیا إلیک عنی فعنّی یؤدّیان، وما قالا لک فعنّی یقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان. الکافی: ۱ / ۳۲۹ ح۱ باب فی تسمیة من رآه الإمام.

() انظر: نهج البلاغة: ۳۸۵ رقم ۲۸ من کتاب له علیه السلام إلی معاویة جواباً. وفیه قوله علیه السلام: فإنا صنائع ربّنا، والناس بعد صنائع لنا...

() الدعوات: ص ۲۲۰.

() سورة القلم، الآية: ۴.

() الكافى: ۲/ ۱۱۷ ح ۵، باب المداراة، وفيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش.

() مما يُذكر فى هذا المجال: أنّ فصحاء العرب وبلغاءهم اجتمعوا فى الجاهلية ليصوغوا جملة تكون رادعة للقتل والتناحر، وبعد نقاش ومداولة طويلة، أقرّوا عبارة (القتل أنفى للقتل) بعد أن أُعجبوا بها كلّ الإعجاب من حيث اللفظ وقلّة عدد الحروف وعمق المعنى، ولكنّ الله عزّ وجلّ أنزل على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله آية القصاص التى قال فيها?: وَلَكُمْ فِى الْقَصَاصِ حَيَاةٌ يَا أولِى الأَلْبَابِ (?سورة البقرة، الآية: ۱۷۹) فأمر النبىُّ صلى الله عليه وآله أصحابَه أن تكتب هذه العبارة من الآية? فِى الْقَصَاصِ حَيَاةٌ ?وتعلّق على جدار الكعبة إلى جانب عبارة كفّار قريش التى كانت معلّقة فى المكان نفسه، وجاء فصحاء القوم فرأوا الآية، ورأوا أنّ لفظها أبلغ وأجزل، ومعناها أتمّ وأجمل من عبارتهم فرفعوا لوحتهم، وذلك لأنّهم لاحظوا أنّه لا تكرار فى الآية فضلاً عن عمق المعنى المؤدّى بكلمة (القصاص) وأرجحيّتها على كلمة (القتل)، وفضلاً عن وجود كلمة (الحياة) ومعطياتها التى تفتقر إليها عبارتهم، ممّا جعلهم يرضخون لبداعة الأُسلوب القرآنى وإعجازه.

() شجرة طوبى: ۲ / ۳۶۸ المجلس الخامس والأربعون.

() كشف اللثام: ۲ / ۵۳۳.

() مستدرك الوسائل: ۱۶/ ۲۱۰ ح ۶، باب۱ كراهة كثرة الأكل.

() صحيح أنّ الله تعالى قد يسلّط ظالماً على ظالم فى بعض الموارد ليرى الظالم ظلمه من خلال ظالمه، مصداقاً لقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: من أعان ظالماً سلّطه الله عليه. الخرائج والجرائح: ۳/ ۱۰۵۸. ولكن هذا لا يعنى كرامة له من الله أو استجابة لدعائه بل يكون من قبيل قول الإمام الصادق عليه السلام: «ما انتصر الله من ظالم إلاّ بظالم وذلك قول الله عزّ وجلّ: (وكذلك نولّى بعض الظالمين بعضاً) الكافى: ۲ / ۳۳۴ ح۱۹ والآية ۱۲۹ من سورة الأنعام.

() الوسائل: ۱۱/ ۱۱۳ ح۱ باب تحريم قتال المسلمين على غير سنّة- كتاب الجهاد.

() سورة النمل، الآية: ۱۴.

() روى أن رجلا من نسل عمر بن الخطاب كان يشتم على بن أبى طالب عليه السلام إذا =

= رأى موسى بن جعفر عليه السلام، ويؤذيه إذا لقيه. فقال له بعض مواليه وشيعته: دعنا نقتله، فقال: لا، ثمّ مضى راكباً حتى قصده فى مزرعة له فوطأها بحماره، فصاح لا تدس زرعنا، فلم يصغ إليه، وأقبل حتى نزل عنده فجلس معه وجعل يضاحكه، وقال له: كم غرمت على زرعك هذا؟ قال: مائة درهم. قال: فكم ترجو أن تربح؟ قال: لا أدرى. قال: إنّما سألتك كم ترجو؟ قال: مائة أخرى. قال: فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبها له. فقام فقبّل رأسه، فلما دخل المسجد بعد ذلك وثب العمرى فسلّم عليه وجعل يقول: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) سورة الأنعام، الآية: ۱۲۴. فوثب أصحابه عليه وقالوا: ما هذا؟ فشاتمهم، وكان بعد ذلك كلما دخل موسى خرج يسلّم عليه ويقوم له. فقال موسى لمن قال ذلك القول: أيّما كان خيراً، ما أردتم أو ما أردت؟ مقاتل الطالبيين: ۳۳۲.

() مثل زهير بن القين، الذى ذُكر فى كتب السير أنّه كان عثمانى الهوى، أى من الذين يطالبون إمام الهدى على بن أبى طالب بدم عثمان، غير أنّ التاريخ أثبت أنّه لم يكن معانداً للحقّ، وأنّ انحرافه لم يكن عن تقصير بل كان عن قصور. ومثله الحرّ بن يزيد الرياحى الذى كان فى جيش يزيد ووقف أمامَ أبى عبد الله الحسين عليه السلام حتى أورده أرض كربلاء.

() سورة البقرة، الآية: ۱۴۶.

() سورة آل عمران، الآية: ۵۴.

() راجع الفروق اللغویّة: ۲۰۶ ۲۰۷ رقم ۸۱۴ و ۸۱۵ الفرق بین الحیلة والمکر.

() سورة البقرة، الآیة: ۱۹۴.

() راجع لسان العرب: ۵/ ۱۸۳ مادّة مکر.

() من لا یحضره الفقیه: ۴/ ۳۷۸ رقم ۵۷۹۴ من ألفاظ رسول الله صلی الله علیه وآله التی لم یسبق إلیها.

() أعلام الوری: ۲۲۵.

() مستدرک الوسائل: ۹/ ۲۴ رقم ۹، باب۱۰۲ وجوب حفظ اللسان.

() قال ابن مالک فی ألفیّته: طا، ت «افتعال» رُدّ إثر «مطبقِ»

أی إذا جاء تاء الافتعال بعد حرف من حروف الإطباق کالضاد مثلاً، وجب إبداله طاءً. انظر شرح ابن عقیل: ۲ / ۵۸۱ – ۵۸۲ فی إبدال حرف التاء طا.

() سوی أولئک الذین عصمهم الله وجعلهم حججاً علی عباده.

() سورة هود، الآیة: ۱۱۹.

() سورة النجم، الآیة: ۳۹.

() نهج البلاغة: ۴۱۶ من کتاب له سلام الله علیه إلی عثمان بن حنیف.

() الکافی: ۲ / ۴۵۳.

() منتهی الآمال: ۲/ ۵۵۵.

() سورة الشمس، الآیة: ۱۰.

() سورة آل عمران، الآیة: ۱۶۳.

() قال جابر بن عبد الله: قلت لأمیر المؤمنین علیه السلام: ... یا مولای، لمن تکلّم، ولمن تخاطب ولیس أری أحداً؟ فقال: یا جابر، کشف لی عن برهوت فرأیت شیبویه وحبتر وهما یعذّبان فی جوف تابوت فی برهوت، فنادیانی: یا أبا الحسن، یا أمیر المؤمنین، ردّنا إلی الدنیا نقرّ بفضلک، ونقرّ بالولایة لک. فقلت: لا والله، لا فعلت، لا والله، لا کان ذلک أبداً، ثمّ قرأ قوله تعالی?: ولو رُدّوا لعادوا لما نُهوا عنه وإنّهم لکاذبون. ?بحار الأنوار: ۲۷/ ۳۰۶، ح۱۱، باب۷.

() شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ۶ / ۵۳ رقم ۶۷ من کلام له سلام الله علیه لما قلّد محمد بن أبی بکر مصر.

() محاسبة النفس: ۱۱.

() غرر الحکم: ۲۳۹ رقم ۴۸۲۷ الإدبار عن نفسک الأمّارة بالسوء.

() منیة المرید: ۲۰۰ رقم ۱۷ إیصاء الطالب بالرفق.

() نهج البلاغة: ۴۱۶ ۴۲۰ رقم ۴۵.

() الکافی: ۷/ ۴۳۵، باب کراهة الیمین.

() الأشهر الحرم: ذو القعدة، ذو الحجة، محرّم، ورجب.

() یعنی: عشر ذی الحجّة. إقبال الأعمال: ۳۱۷.

() سورة الحج، الآیة: ۲۸.

() سورة البقرة، الآیة: ۲۰۳.

() مصباح الشریعة الإمام الصادق سلام الله علیه: ۱۹

() الفروق اللغویة: ۱۰۹، رقم ۴۲۹.

() سورة الحج، الآية: ۴۳.

() فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ لله عزّ وجلّ لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فإذا دعوت فأقبل بقلبك، ثمّ استيقن بالإجابة. الكافي: ۲ / ۴۷۳ ح۱، باب الإقبال على الدعاء.

() سورة الأعراف، الآية: ۲۶.

() سورة الإسراء، الآية: ۲۹. وهذا تعبير أدبيّ رفيع فيه إشارة إلى أنّ عنق الإنسان مساوٍ لحياته كما جاء أيضاً فى قوله تعالى?: فكّ رقبة (?سورة البلد، الآية: ۱۳) والمقصود تحرير إنسان فكأنّ البخيل عندما يريد أن ينفق كمن يراد قطع عنقه، وهذا يعنى أنّ البخيل يجعل المال كلّ حياته.

() تفسير العياشى: ۲/ ۲۸۹ مورد الآية

عن ابن سنان عن أبى عبد الله سلام الله عليه فى قوله تعالى?: ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ?قال: فضمّ يده وقال: هكذا، فقال: ?ولا تبسطها كلّ البسط ?وبسط راحته وقال: هكذا.

() عوالى اللآلى: ۴/ ۱۰۳.

() عيون الحكم والمواعظ: ۲۸۴.

() بحار الأنوار: ۷۵/ ۸۳ ح۸۷، باب۱۶.

() دعائم الإسلام: ۱/ ۸۲.

() السفود: حديدتان يوضع بينهما اللحم ويسدّان من أسفلهما ثمّ يوضعان فى التنور لكى يستوى اللحم ويشوى.

() مسكّن الفؤاد: ۶۱.

() سورة آل عمران، الآية: ۱۳۴.

() الإرشاد: ۱۴۵، باب ذكر طرف من أخبار على بن الحسين عليهما السلام.

() سورة البقرة، الآية: ۲۱۳.

() الغارات: ۲ / ۴۸۷.

() هو من علماء العامّة المعروفين ومن التابعين، وكان ممّن يحضر عند الإمام السجّاد سلام الله عليه.

يجلّه العامّة كثيراً ويذكرونه بعبارات المدح والإطراء، فيقولون مثلاً: لقى من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله كذا، وروى عنهم الحديث، ويقولون: كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق: أنّه لا يوجد من هو أعلم من الزهرى، ومن كان طالباً للدين فليأخذه من الزهرى و...

أمّا نحن الإمامية فرأيُنا فيه مختلف، ونعتقد أنّ حضوره عند الإمام السجّاد سلام الله عليه كان من أجل العلم فقط - لا العمل - كما تنبئ عن ذلك سيرته، وفى الحديث: «من إزداد علماً ولم يزدد هدىً، لم يزدد من الله إلّا بعداً» (مجموعة ورّام: ۱/ ۲۲۰ باب ما جاء فى أهل العلم المغترّين)، وروى عن أبى عبد الله سلام الله عليه أنّه قال: «يُغفَر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد» (الكافى: ۱/ ۴۷ ح۱ باب لزوم الحجّة على العالم). فقد روى أصحابنا أنّ الزهرى هذا كان ملازماً لقصر عبد الملك بن مروان وبنى مروان عشرات السنين، وأنّه كان يذمّ أمير المؤمنينعليه السلام!

وإذا كان الجهلة يُعذَرون فى ذلك، فإنّ الزهرى العالم لا يعذر البتّة، وليس اشتغاله بتعليم وتأديب أبناء حكّام الجور بنافع له - فقد ذكروا أنّه كان معلّماً لأولادهم وأنّه كان يعلّمهم أحكام الصوم والصلاة - لأنّه كان يصبّ فى تقوية حكم الظالمين.

() فمن كتب الخاصّة «بحار الأنوار» نقلاً عن «تحف العقول»، كما رواها عدّة من محدّثى العامّة فى كتبهم. وهى رسالة مهمّة جدّاً تستحقّ تأليف كتاب فى شرح كلّ كلمة منها. رواها العامّة لأهميّتها فلم يشأوا أن تخلو كتبهم من رسالة بهذه الأهميّة، ولكنّهم مع

الأسف لم یذکروا أنّها من الإمام السجّاد علیه السلام بل قالوا: کتب إلیه بعض الصالحین، أو أخ فی الدین، وابن عساکر یروی أنّها لأبی حازم الأعرج. وأبو حازم الأعرج هو من موالی أمیر المؤمنین سلام الله علیه وصحابیّ جلیل من أصحاب الإمام السجاد علیه السلام، وفوق هذا فإنّه الثقة الصالح علی ما فی کتبهم لترجمته.

() تحف العقول: ۲۷۵.

() انظر رجال الکشی: ۴۴۱ ترجمة صفوان بن مهران الجمال.

() الفصول المهمّة: ۲/ ۲۴۰، ح۲، باب ۱۰.

() تهذیب الاحکام: ۳/ ۲۶۴ ح۶۸، باب۲۵ فضل المساجد والصلاة فیها.

() نهج البلاغة: ۴۲۱ رقم ۴۷ من وصیة له سلام الله علیه للحسن والحسین سلام الله علیهما.

() ولکن قبل ذلک لا بأس بالإشارة إلی أنّ السابع من شهر صفر هو یوم شهادة الإمام الحسن سلام الله علیه کما ذکر ذلک جمهرة من أعاظم علماء الشیعة – وهناک قول آخر هو أنّ شهادته کانت فی آخر صفر، وهناک أقوال أُخری أیضاً – ولکنّی لم أعثر فی کتب المتقدّمین کالکلینی والطوسی والکفعمی وغیرهم أنّ ولادة الإمام الکاظم سلام الله علیه کانت فی السابع من صفر، نعم ذکر ذلک بعض المتأخّرین وهو ضعیفٌ.

() کفایة الأثر: ۲۲۶ باب ما جاء عن الحسن سلام الله علیه.

() عدة الداعی: ۸۴.

() تهذیب الأحکام: ۳/ ۸۴ ح۱۲.

() مستدرک الوسائل: ۱۲/ ۳۶۱ ح۱۵ باب تحریم کفر المعروف.

() ولا یخفی أنّ هذا التظاهر بعدم التذکّر إنّما هو من باب التواضع للمؤمن ومحاولة عدم خدش کرامته، فلا یندرج تحت کتمان الحقّ کما حکی عن أنس بن مالک حین استشهده أمیر المؤمنین علیه السلام علی جملة من البدریین بخصوص ما سمعه من رسول الله صلی الله علیه وآله فی غدیر خم، فقال: کبرت سنّی ونسیت. فقال له الإمام: إن کنت کاذباً فضربک الله بیضاء لا تواریها عمامة. (الغدیر: ۱/ ۱۹۲ نظر فی حدیث إصابة الدعوة).

() جواهر الکلام ۴۱/ ۲۸۰ ثبوت الزنا بالإقرار أو البیّنة وتعریف الشهادة.

() من لا یحضره الفقیه: ۴/ ۳۱ رقم ۵۰۱۷ کتاب الحدود الزنا واللواط.

() روی عن الإمام الباقر سلام الله علیه أنّه قال: (إنّ الخلق منحة یمنحها الله خلقه فمنه سجیّة ومنه نیّة). وسائل الشیعة: ۱۲/ ۱۵۱، ح۱۵۹۱۷، باب۱۰۴ استحباب حسن الخلق مع الناس.

() کما فی الخبر: «إنّ أهل الجنّة لا یتحسّرون علی شیء فاتهم من الدنیا کتحسّرهم علی ساعة مرّت من غیر ذکر الله». مستدرک الوسائل: ۵/ ۲۸۸ رقم ۵۸۷۸، باب۲ کراهة ترک ذکر الله تعالی.

() سورة الشعراء، الآیة: ۸۸ ۸۹.

() سورة القلم، الآیة: ۴.

() سورة آل عمران، الآیة: ۱۵۹.

() الأمالی للطوسی: ۳۴۰ ح۶۹۵.

() المراجعات: ۳۲۶، تاریخ بغداد: ۱۱/ ۲۳۹ رقم ۵۹۸۵، کنز العمّال: ۱۳/ ۶۹۶ رقم ۳۷۷۸۲. کما نقل الغزالی فی کتاب احیاء علوم الدین: ۲/ ۳۵ آداب النکاح، وکتاب مکاشفة القلوب له أیضاً: ۲۳۸ باب ۹۴، قولها: أنت الذی تزعم أنک نبیّ الله.

() سورة آل عمران، الآیة: ۱۶۱.

() مستدرک سفينة البحار: ۸/ ۹ باب السرقة والغلول وحدّهما.

() الكافي: ۲/ ۱۰۵ ح۱۰، باب الصدق وأداء الأمانة.

() روى عن أمير المؤمنين سلام الله عليه أنّه قال في وصيّته لابنه الإمام الحسن سلام الله عليه: وأكرم عشيرتك فإنّهم جناحك الذي به تطير. نهج البلاغة: ۳/ ۳۷ رقم ۳۱ ذيل الوصيّة.

() وسائل الشيعة: ۱۲/ ۱۵۱/ ح۱۵۹۱۷، باب۱۰۴ استحباب حسن الخلق مع الناس.

() دلائل الإمامة: ۲۳۳ ح۲۶، الخبر في باب ذكر معجزاته سلام الله عليه.

() وكان تأليف ذلك الكتاب قد استغرق سنوات طويلة اضطرّ خلالها مؤلّفه إلى مراجعة أحد مصادره وهو كتاب جواهر الكلام في ظروف بالغة الصعوبة بسبب احتياجه لهذا الكتاب الذي يستعرض آراء العلماء في كلّ مسألة مع بيان أدلّتها، وحيث إنّ صاحب النسخة اليتيمة في ذلك الوقت لم يكن على استعداد لأسباب تخصّه لأنْ يعيرها للمؤلف ليأخذها إلى بيته، كما لم يكن بمقدور المؤلف الدخول إلى بيت الرجل تحاشياً للإحراج، الأمر الذي اضطرّهُ إلى التوافق معه على الاستفادة من الكتاب عند باب البيت داخل الزقاق، رغم الإحراج والتعب الكبيرين اللذين كانا يتسبّبان له.

() راجع الكافي: ۲/ ۱۲۲ ح۶، باب التواضع.

() نهج البلاغة: ۴/ ۲۹ رقم ۱۲۳.

() سورة الأنفال، الآية: ۴۶.

() وسائل الشيعة ۵/ ۲۵۰، أبواب أحكام المساجد، باب ۴۳، ح۳.

() الكافي: ۳/ ۴۹۰، ح۲، باب مساجد الكوفة.

() شذرات الذهب: ۱/ ۶۴. وقد أفاد الأستاذ محمود أبو رية في كتابيه (شيخ المضيرة) و (أضواء على السنّة المحمدية) حين سلّط الضوء على سيرة هذا الرجل معتمداً في بحثه على جملة من مصادرهم المعتبرة في التاريخ والسيرة. فمن أراد الاستزادة فليراجع.

() مستدرک الوسائل: ۹/ ۸۶ ح ۱۴ باب تحريم الكذب.

() سورة المنافقون، الآية: ۱.

() سورة النساء، الآية: ۱۴۳.

() الكافي: ۵/ ۳۱۲، ح۳۸، باب النوادر.

() ويمكن أن تطلق على الأعيان أيضاً كما في المرويّ عن طاووس حين أشرف على عليّ بن الحسين سلام الله عليه وهو ساجد في الحجر فقال: رجل صالح من بيت طيّب. (لسان العرب: ۱/ ۵۶۴ مادة طيب).

() أصول الكافي: ۱/ ۴۱۰ ح۳ باب سيرة الإمام بنفسه والمطعم والملبس إذا ولي الأمر.

() كنز العمال: ۱۲/ ۱۰۴ ح۳۴۲۰۱. ورواه عن أمير المؤمنين سلام الله عليه السيد هاشم البحراني في غاية المرام: ۷/ ۱۵۸.

() روضة الواعظين: ۱۰۷. وروى نحوه ابن الأثير في أسد الغابة: ۴/ ۲۴ من ترجمة أمير المؤمنين سلام الله عليه، كما جاء في زهده وعدله.

() مستدرک الوسائل: ۸/ ۳۵۶، ح۳، باب۳۱ استحباب الإبتداء بالسلام.

() علل الشرائع: ۲/ ۵۸۲ ح۲۳، باب نوادر العلل.

() آية الله العظمى السيد ميرزا مهدى الحسينى الشيرازى قدس سره.

() سورة الفرقان، الآية: ۷۷.

() سورة النجم، الآية: ۳۹.

() انظر الفروق اللغوية: ۱۹۳ رقم ۷۷۳ الفرق بين الحقّ والصدق.

() عوالى اللآلى: ۱/ ۴۳۲ ح ۱۳۱.

() لقوله صلى الله عليه وآله فى على سلام الله عليه: «على مع الحق والحق مع على، اللهم أدر الحق معه حيثما دار».

هذا الحديث مما اتفق عليه المخالف والمؤالف. رواه ابن طاووس فى الطرائف: ۱۰۲ وابن عساكر فى تاريخ دمشق: ۳۰/ ۶۳ وغيرهما.

() ويقصد قبر الإمام على الرضا سلام الله عليه وقبر هارون العباسى القريبين من بعضهما.

() الغدير: ۲ / ۳۶۹.

() الآحاد والمثانى: ۳۶۹ ح ۲۹۷۰.

() انظر كنز العمّال: ۵/ ۶۳۶ رقم ۱۴۱۱۸ والقرطبى فى تفسيره: ۳/ ۲۶۲ من تفسير الآية ۲۵۳ من سورة البقرة، وهو مشهور. كما يذكر الرواة أنّه قال: «والله لوددت أنّى كنت شجرة فى جانب الطريق مرّ على جمل فاخذنى فادخلنى فاه فلاكنى ثمّ ازدردنى ثمّ أخرجنى بعراً ولم أكن بشراً». منهم المتقى الهندى فى كنز العمّال: ۱۲/ ۵۲۸ رقم ۳۵۶۹۹ والمصنّف لابن أبى شيبة: ۸/ ۱۴۴ رقم ۷ وغيرهم.

() روى أنّه لمّا أراد أن يمنع المغالاة فى مهور النساء تصدّت له إحدى المسلمات فقالت: يابن الخطّاب! الله يعطينا وأنت تمنع. وتلت هذه الآية?: وآتيتم إحداهن قنطاراً ?فقال: كلّ الناس أفقه من عمر. (راجع الرازى فى تفسيره الكبير: ۹/ ۱۳ مورد الآية ۲۰ من سورة النساء).

() انظر كتاب سليم بن قيس: ۲۴۸، وفيه: أنّ عمر بن الخطاب بعث إلى واليه على البصرة أبى موسى الأشعرى حبلاً طوله خمسة أشبار وقال له: «أعرض من قبلك من أهل البصرة، فمن وجدته من الموالى ومن أسلم من الأعاجم قد بلغ خمسة أشبار، فقدّمه فاضرب عنقه» ثمّ إنّ الأشعرى راجع عمر وخوّفه من تفرّق الناس عنه ... فكفّ عمر عن ذلك.

() بيت الأحزان: ۸۴ فى امتناع على سلام الله عليه بيعة أبى بكر، والامامة والسياسة: ۱/ ۳۱ فى ابايه على سلام الله عليه بيعة ابى بكر.

() روى الهيثمى فى مجمع الزوائد: ۹/ ۲۰۳، والدولابى فى الذرية الطاهرة: ۱۱۹، والطبرانى فى معجمه الكبير: ۱/ ۱۰۸ ح ۱۸۲، وابن الأثير فى أسد الغابة: ۵/ ۵۲۲. وغيرهم فضلاً عن الخاصة ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله لبضعته الزهراء سلام الله عليها: إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك.

() سورة النساء، الآية: ۴۹.

() الكافى: ۲/ ۲۸۸ ح ۳ باب استصغار الذنب.

() كشف الغطاء: ۲/ ۳۰۹. محاكاةً لما روى عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه وآله فى حقّ الجار أنّه قال: «مازال جبرائيل يوصينى بالجار حتى ظننت أنّه سيورثه» (روضة الواعظين للنيسابورى: ۳۸۷).

() سورة الزمر، الآية: ۴۷.

() راجع الأربعين للقمّى الشيرازى: ۴۱۷.

() مناقب آل أبى طالب: ۳/ ۲۲۲.

() سورة البقرة، الآية: ۱۵۶.

() قد يقال إنّ طلب الإمام هذا من قبيل القضية الشرطية، التى تكون صادقة حتى مع عدم صدق الطرفين الشرط والمشروط وقد ورد فى القرآن الكريم نماذج عديدة لذلك؛ قال سبحانه وتعالى?: قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (?سورة الزخرف، الآية: ۸۱) والحال أنّه لا ولدَ لله تعالى، ولا النبى بعابدٍ لذلك الولد. أو قوله تعالى?: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله (?سورة الحشر، الآية: ۲۱) بينما لم يحمّل الله الجبل مسؤولية وأمانة حمل القرآن، ولم يتصدّع الجبل. ولكن المهمّ فى الأمر هو وجود قضية شرطية وهى قضية مجرّدة تسبح فى آفاق الذهن، ولا وجود لمصداق خارجى لها.

فمثل هذه العبارة إن صدرت عن معصوم فإنما تدلّ على نوع من التوجّه الاكثر إلى الله تعالى، الغرض منها طلب المزيد من القرب إليه سبحانه، لما يشعر به المعصوم من قصور لأداء الأعمال والعبادات اللائقة بالربّ العزيز.

ويمكن أن يقال أيضاً: إنّ الإمام لم يقيّد تعبيراته بالتقصير. يقول سلام الله عليه ضمن دعاء آخر: «خيرك إلينا نازل وشرّنا إليك صاعد» (الصحيفة السجادية، ضمن دعائه فى أسحار كلّ ليلة من شهر رمضان) وإن كان يمكن توجيه العبارة كالتالى: أى عجزنا عن أداء حقّ عبادتك، إليك صاعد، فما يصدر منك هو الخير، وما يصدر عنّا هو العجز، الذى يعبّر عنه الإمام بكلمة الشرّ.

() تهذيب الأحكام: ۴/ ۲۵۱، ح۲۱، باب ۶۰ من أسلم فى شهر رمضان وحكم من بلغ الحلم فيه ومن مات وقد صام بعضه أو لم يصم منه شيئاً.

() نهج البلاغة: ۴/ ۶۸، رقم ۲۷۸.

() سورة العنكبوت، الآية: ۲.

() سورة الفرقان، الآية: ۷۷.

() روى عن أبى عبد الله سلام الله عليه أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ...: وسمّى شهر رجب الأصبّ، لأن الرحمة تصبّ على أمّتى فيه صبّاً. (الحدائق الناضرة: ۱۳/ ۴۵۳).

() سورة هود، الآية: ۶.

() الكافى: ۲/ ۸۹ ح۶، باب الصبر.

() مثير الأحزان لابن نما الحلى: ۵۴.

() انظر لسان العرب لابن منظور: ۱۴/ ۸۵ (مادّة بلا).

() سورة الأنبياء، الآية: ۳۵.

() سورة الذاريات، الآية: ۵۶.

() مستدرك الوسائل: ۵/ ۴۱۷، ح۳، باب كراهة العبث فى الصلاة.

() سورة طه، الآية: ۱۱۴.

() سورة القلم، الآية: ۴.

() الكافى: ۲/ ۱۸۲ ح۱۵، باب المصافحة.

() عوالى اللآلى: ۱/ ۳۲۴ ح۶۱.

() سورة الأحزاب، الآية: ۲۱.

() سورة الأنبياء، الآية: ۳۵.

() سورة آل عمران، الآية: ۱۷۸.

() سورة العنكبوت، الآية: ۲.

() نهج البلاغة: ۴/ ۲۰ رقم ۹۳.

() روى عن أبى حفص الصائغ أنّه سمع الامام الصادق سلام الله عليه يقول فى قوله تعالى?: واعتصموا بحبل الله جميعاً ?سورة آل عمران، الآية: ۱۰۳، قال: نحن الحبل. عنه مناقب آل أبى طالب لابن شهرآشوب: ۲/ ۲۷۳.

() روى عن الامام الباقر سلام الله عليه فى قوله تعالى?: وأنّ هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ?قال: نحن السبيل فمن أبى فهذه السبل فقد كفر. تفسير القمّى: ۱/ ۲۲۱ تفسير الآية ۱۵۳ من سورة الانعام.

() ولطالما عرفنا من يذهب نفسه بكاءً وتضرّعاً دون أن يتشرّف بلقاء الإمام سلام الله عليه، بينما سمعنا كثيراً عن أشخاص نالوا شرف

الرؤيـة، بـل وزيـارته لهم بشـخصه الكريم والتحـدّث معهم طويلاً ـ ولمرّات عديـدة، دون أن يخوضوا أعمالاً عبادته خاصّـة، ولم يكن ليحدث ذلك لولا وجود السنخية بين أنفسهم وبين شخص الإمام وطبيعة لقائه والتشرف برؤيته، واكتساب شحنات الإيمان من فيضه.

() انظر مصباح المتهجد: ۱۵۲ رقم ۳۷ نافلة الليل.

() البلد الأمين: ۱۴۳، أدعية الساعات للأئمة الاثنى عشر سلام الله عليهم.

() نزل رسول الله صـلى الله عليه وآله فى غزوة ذات الرقاع تحت شـجرة على شـفير واد، فأقبل سـيل فحال بينه و بين أصـحابه ... فقال رجل من المشـركين لقومه: أنا أقتل محمداً؛ فجاء وشدّ على رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، ثمّ قال: من ينجيك منّى يا محمد؟ فقال: ربّى وربّك. فنسـفه جبرئيل عليه السـلام عن فرسه. فسـقط على ظهره. فقام رسول الله صـلى الله عليه وآله وأخـذ السـيف وجلس على صـدره، وقـال: من ينجيك منّى يا غورث؟ فقال: جودك وكرمك يا محمـد. فتركه، فقام وهو يقول: والله لأنت خير منّى واكرم. الكافى: ۸/ ۱۲۷ ح۹۷.

() راجع تاريخ الطبرى: ۳/ ۵۴۳، وغيره من كتب السير والتواريخ.

() انظر فرحة الغرىّ: ۸۲ زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

() من لا يحضره الفقيه: ۲/ ۵۹۶، زيارة علىّ بن الحسين عليهما السلام المقتول بكربلاء.

() وسائل الشيعة: ۴/ ۲۸۶، ح۷، باب ۶۱ جواز التطوّع بالنافلة أداءً وقضاءً لمن عليه فريضة، واستحباب الابتداء بالفريضة.

() وسائل الشيعة: ۲۷/ ۳۳، باب۵، رقم۳۳۱۴۴. هذا الحديث متواتر يرويه العامّة والخاصّة.

() فضائل الأشهر الثلاثة: ۷۷، ح۶۱.

() المصدر السابق: ۷۷، ح۶۱.

() سورة مريم، الآية: ۷۶.

() سورة الكهف، الآية: ۱۰۳ ۱۰۴.

() ينابيع المودّة: ۱/ ۸۹، رقم ۳۵.

() فإنّ أفعل التفضـيل له ثلاث صـيغ: الأولى الإضافة، والثانية مع (من) والثالثة مع (أل) وهى أقواها لأنّها مطلقة فيما تكون فى الحالتين الأخريين مقيّدة بمتعلّق الإضافة أو (مِن).

() روى الطبرانى بإسـناده عن عمران بن الحصـين، أنّ رسول الله صـلى الله عليه وآله قـال لعلى عليه السـلام: لا ـ يحبّـك الا ـ مؤمن، ولا يبغضك الا منافق. الاوسط: ۲/ ۳۳۷. وروى مسـلم بسنده عن زِر قال: قال على عليه السلام: والذى فلق الحبّة ويرأ النسمة إنّه لعهد النبى الأـمّى صـلى الله عليه وآله إلىّ أن لا يحبّنى الا مؤمن، ولا يبغضـنى إلّا منافق. صـحيح مسـلم: ۱/ ۶۱، الى غير ذلـك من مصادر العامّة والخاصّة.

() سورة آل عمران، الآية: ۳۱.

() سورة النجم، الآية: ۳ ۴.

() سورة النور، الآية: ۳۹.

() سورة الحج، الآية: ۳.

() سورة الصف، الآية: ۲ ۳.

() سورة فاطر، الآية: ۲۸.

() سورة آل عمران، الآية: ۷۱.

() استعارة من قول النبى صلى الله عليه وآله: زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه. عدّة الداعى: ۶۳.

() الكافى: ۱/ ۴۱ ح۱ باب بذل العلم.

() لم ترد مفردة صولة فى النصوص الأدبية إلا قليلاً، ولعلّ السبب فى ذلك يعود إلى قلّة حصول مصداقها، رغم كثرة الحروب وكثرة الدواوين التى تؤرّخ لها، فيما ورد التعبير بالجولة والسجال وغيرها كتعبير عن اشتداد نار الحرب.

() كشف الغمّة فى معرفة الأئمّة: ۳۴۶.

أقول: مع علمه صلى الله عليه وآله بأنّ من كانوا قبله من الأنبياء والرسل، منهم مَن نُشر بالمناشير أو ألقى فى النار، ومنهم من أُلقى فى غيابة الجبّ إلا أنّه صلوات الله عليه وعلى آله قد امتاز عليهم وعلى أوصيائهم جميعاً فيما تعرّض له هو وأهل بيته صلوات الله عليهم من بعده.

() راجع بحار الأنوار: ۱۶/ ۴۰۲ باب ۱۲ باب نادر فى اللطائف فى فضل نبيّنا صلى الله عليه وآله فى الفضائل والمعجزات على الأنبياء عليهم السلام.

() الغدير: ۷/ ۳۵۹ رقم۱۱ سيدنا أبو طالب وقريش.

() انظر مثير الأحزان لابن نما: ۵۴. من أخبار المقصد الثانى فى وصف موقف النزال وما يقرب من تلك الحال.

() عوالم الإمام الحسن سلام الله عليه: ۲۸۹.

() الجواهر السنية: ۷۰.

() نصّ حديث النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله. انظر كتاب الدعوات.

() كما فى قوله صلى الله عليه وآله: اللهم اهد قومى فإنّهم لا يعلمون. راجع الصحيح من السيرة للسيد العاملى: ۲۵۱، آية النهى عن الاستغفار للمشرك.

() سورة الملك، الآية: ۱.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبيّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت

–عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩